

مدخل الى العهد الجديد

الجزء الأول

بولس ومرقس

الأب بولس نديم طرزي

تعريب نقولا أبو مراد

منشورات النور

منشورات النّور
لبنان ٢٠٠١

صدرت الطبعة الأولى باللغة الانكليزيّة عن دار نشر

SVS, "ST. Vladimir's Seminary Press" Crestwood, NY,
10707، السنة ١٩٩٩.

المحتويات

إلى إمكانية

تمهيد

هذا هو الجزء الأوّل في مشروع سلسلة المدخل إلى العهد الجديد التي تتألّف من أربعة أجزاء . يتناول بالبحث أقدم كتابات العهد الجديد: رسائل بولس وإنجيل مرقس . أمّا الجزء الثاني فيدرس لوقا وأعمال الرسل، والثالث يوحنّا والرؤيا ، والرابع متّى والكتابات الأخرى ، وتَشَكُّل قانون العهد الجديد . سبب هذا الترتيب زمنيّ في الدرجة الأولى : أردت أن أقدّم للكتابات بحسب التسلسل الذي ظهرت فيه حتّى تتكوّن لدى القارئ إلفة مع الكتابات الأولى لكي يسهل عليه فهمها كمصدر للكتابات اللاحقة عندما نتطرّق إليها . إنّ مبدأ تفسيري العلاقات النصّيّة مؤسّس ، في جزء منه ، على تحديد الزمن الذي كتبت في حقل الدراسات العلميّة بشكل عامّ ، وفي جزء آخر على اقتناع راسخ – ناتج من سنين من الدراسة والبحث – بأنّ العهد الجديد ، باستثناءات قليلة ، نتاج أدبي واحد بمعنى أنّه لا يعطى إلينا بأصوات غير متّفقة ، أو « وجهات نظر مختلفة » كما يزعم كثيرون . بهذا المعنى هو شبيه بالعهد القديم : فكما كان حزقيال ومدرسته وراء العهد القديم كلّه ، هكذا أيضًا وضع بولس وتلاميذه الكتابات التي صارت تعرف بالعهد الجديد . لذا أبدأ ببولس ، وعندما أتطرّق إلى سائر كتب العهد الجديد سأظهر صلتها بـ « المدرسة البولسيّة » .

هذه السلسلة كسابقتها في العهد القديم ، ليست مدخلًا إلى

الكتاب المقدّس يشبه أيّ مدخل آخر . فهي لا تلخّص ولا تستشهد بالآراء العلميّة القائمة حول النصوص ، كما أنّها لا تحاول أن تتطرّق إلى كلّ قضيّة من قضايا التفسير في كلّ من أسفار الكتاب المقدّس . فهي تركّز على الهدف الأساس لكلّ من الكتابات وموضوعه - الرسالة الأولى التي أراد المؤلّف أن يبلغها - وعلى التقنيّات الأدبيّة المستعملة لتمرّ الفكرة إلى قرّائها أو سامعيها . غايتي الأساسيّة في هذا المدخل أن أعطي قارئي مفتاحًا لفهم أيّ نصّ ككلّ ، ولكي أتمّ هذا بفعاليّة أكثر ضمن المجال المحدود المعطى لي ، لن أتطرّق إلى شؤون قد يجدها القارئ مهمّة . نترك التفصيل للتفاسير المطوّلة التي سيستمرّ نشرها من St Vladimir's Seminary Press، عندما تنتهي هذه السلسلة .

أوجّه شكري العميق إلى توم ديكسترا الذي يستحقّ الآن أكثر من قبل ، لقب « معاون » وذلك لأنّه أخذ على عاتقه مهمّة تسهيل المخطوط الإنكليزيّ الصعب على القارئ العامّ . مع ذلك يبقى النصّ صعبًا . لذا من الضروريّ أن يكون عند القارئ من الاستعداد لفهم هذا الكتاب فهمًا جيّدًا ، وهذا عن طريق قراءة الجزء الثالث من المدخل إلى العهد القديم (والأفضل قراءة الأجزاء الثلاثة جميعها) . ولا حاجة إلى أن أقول إنّه من الضروريّ أيضًا معرفة الكتابات المقدّسة التي سأعالجها في هذا المدخل معرفة جيّدة . أمّا الإفادة الكبرى من هذا الكتاب فتتحقّق عندما يستعمل في مجموعات للدراسة يقودها من كانت له معرفة كبرى بما في الحقل الكتابيّ اليوم .

يبقى لي أن أقول كلمة هنا عن سبب إهدائي هذا الكتاب إلى زوجتي

إمكيه (Imkje) . لم أؤجّل هذا الإهداء ولم أنسه ، ولكنّي حفظته إلى الآن . فقد أردت دائمًا أن أكتب في كتاب ما أراه في الحياة الحقيقيّة : بالنسبة إليّ إمكيه وبولس الرسول في ارتباط عميق . فقد عاشت هي بأصالة من دون أن توفّر أيّ جهد ما علّمه بولس واعتبره جوهر مشيئة الله ، أي حبّه لنا : الحبّ غير المشروط للقريب ، أيّ قريب ، لمجرّد كونه قريبًا . واستتبع هذا اهتمام حقيقيّ بالآخر : التفتيش عن حاجة الآخر الحقيقيّة – الذي لا يساوي بالضرورة الشعور بهذه الحاجة – والتصرّف على هذا الأساس . فقد رأيت هذا فيها على مستويين متطلّبين : الأمومة والتمريض (فهي كممرّضة من واجبها أن تهتمّ بالآخر « المجهول ») . و« المستويان » يتطلّبان ، بالإضافة إلى الدفء والاهتمام الأصيل بالشخص ، تمييزًا حادًّا بين حاجات هذا الشخص الحقيقيّة والمزيّفة ، ثمّ – وهذا أصعب الكلّ – العمل بأيّ ثمن على تحقيق هذا الاقتناع . فكلّما كان تعليم بولس يتحدّى أنانيّتي وكسلي كنت أراقبها ؛ كانت تلطّف لي الإنجيل وعلى هذا أنا شاكر لها إلى الأبد ، أكثر ممّا يمكنها أن تتصوّر . لقد كنت دائمًا آمل أن نلتقي بالرسول ، ولكن لتعذّر تقديمه إليها ، قرّرت أن أفعل ما هو ممكن : أن أقدّم لها إرث بولس المكتوب . لعلّها تجد وقرّائي السلوان والحكمة والقوّة في إنجيل بولس ، أبي الوحيد في يسوع ، المسيح ، الذي صلب من أجلنا وقام إلى مجد أبيه ، إلهنا . أصلّي بحرارة لكي تدرك هي وهم ، في النهاية ، أنّ العمل القاسي الذي يعكسه هذا الجزء لا يمكن أن يكون نتاج الغرور ، بل هو تعبير عن محبّة الله لهم التي أُمِرْتُ بها بواسطة بولس .

بولس نديم طرزي

القسم الأوّل

بولس

١

بولس ورسائله

إنضمّ بولس متأخّرًا إلى الحركة التي نشأت ضمن يهوديّة القرن الأول للميلاد ، والتي تبنّت الإيمان بأنّ يسوع هو مسيّا الله المنتظَر منذ وقت طويل . وبقي هذا الواقع مصلّتًا فوق رأسه كسيف ديموقليس طوال حياته . لذا خصّص جزءًا لا يستهان به من كتاباته للدفاع عن مكانة رسوليّته وعن كونها تعادل تلك التي للرسل الآخرين . وممّا لا ريب فيه أنّ رسوليّة بولس وتعليمه حول يسوع كانا عرضة للشكّ ، الأمر الذي حتّم عليه أن يدافع عن حقيقة « إنجيله » ، الذي دعاه « الإنجيل » (مع التشديد على التعريف) .

ولكن ، كيف يمكن لمن انضمّ متأخرًا ، ومَن كان ، كما أقرَّ هو نفسه ، يضطهد الكنيسة بغية تدميرها (غلاطية ١:١٣) ، أن يعارض على نحو علنيّ بطرس ويعقوب اللذين عرفا يسوع شخصيًّا وبرزا في قيادة الكنيسة ؟ لقد هدف من وراء هذا إلى أمر أساس وإلَّا لما أعطاه هؤلاء « الأعمدة » ، أي يعقوب وصفا ويوحنّا « يمين الشركة » ، عند لقائهم به أوّل مرّة (غلاطية ٢:٩) . لو لم يكن الدفاع عن بولس ممكنًا ، على أساس المبادئ المقبولة بعامّة لدى قيادة الكنيسة ، لما توصَّل هو في أورشليم إلى حدّ تحدّي « الأعمدة » في حلبتهم ووسط مناصريهم .

كان النقاش، آنذاك، حول مسألة الختان وضرورته لمن آمن من الأمم. ونجح بولس في دعم كلامه النظريّ «باختبار» ليبرهن وجهة نظره، فقد أحضر معه تيطس الأمميّ كدليل أكيد على أنّ القيادة الأورشليميّة قد قبلت مؤمنًا غير مختتن من دون أن تفرض عليه الختان (غلاطية ٢:١-٣). وثبّت في الوقت ذاته إقرارًا رسميًّا بالمساواة بين رسوليّته ورسوليّة بطرس. وتركّز عمل بولس على «الخطأة» غير المختتنين، أمّا بطرس فاهتمّ باليهود الذين وُجِّهَتْ إليهم وعود الله أوّلًا. وتأسّست هذه الرسوليّة على الاعتراف بأنّ الله، الذي كان يعمل في رسالة بطرس، هو نفسه الذي يعمل في إنجيل بولس للأمم (غلاطية ٢:٨). فاعتبر الكلّ أنفسهم أنّهم يخدمون الإله نفسه المشهود له في (ما نسمّيه اليوم العهد القديم) الكتاب، وهذا ما جعل بولس على قدم المساواة مع الرسل والآخرين.

بالنسبة إلى يهود القرن الأوّل، الذين لم يكونوا موحّدين صارمين فحسب، بل كانوا أيضًا يحظرون تصوير إلههم أو صنع تمثال له، كان الله ظاهرًا في الكتاب المقدّس، أي في الشريعة والأنبياء والكتب. ولمّا لم يكن ثمّة تصوير له، فكلّ إشارة إليه كانت فعلًا إشارة إلى هذا الكتاب؛ بتعبير آخر: كلّ كلام على الإله يفرض استشهادًا من هذا الكتاب[1]. فقط، عندما نأخذ هذا الأمر على محمل الجدّ، نستطيع أن ندرك جيّدًا أنّ لقاءً، كالذي أشرنا إليه بين بولس والقيادة المسيحيّة

(١) لو لم تكن هذه هي الحال لما تمكّن اليهود، أو بعضهم على الأقل، من أن يجابهوا العالم التلفيقيّ الذي كانوا يعيشون فيه.

اليهوديّة ، ممكن : إذا كان يسوع هو مسيّا الله ، فهو حتمًا « المسيّا » الكتابيّ للإله « الكتابيّ » ؛ هذا يعني أنّ يسوع هو ما يقول الكتاب إنّه هو ، وما صنعه الله من خلاله هو ما يقول الكتاب إنّ الله سيصنعه في الأيام الأخيرة ليتمّم التصميم الإلهيّ المعلنَ في الكتاب نفسه .

كان بولس الفرّيسيّ قد تربّى على الكتاب المقدّس وتدرّب جيدًا عليه ، وكان ذا مقدرة كبيرة على مجادلة أيٍّ كان في مضمونه ومعناه . ولكنْ ، ما هي الحجّة التي أقامها والتي أقنعت « الأعمدة » بصدقيّة « إنجيله » مع أنّهم لم يتبنّوها بحماسة ؟ أغلب الظنّ - وهذا أقصى ما يرجوه البحث التاريخيّ - أنّ هذه الحجّة هي ما أدّى إلى حدوث ذلك المنعطف في حياته ، أي خبرة الاهتداء التي جعلت منه مدافعًا عن الكنيسة وبانيها وخادمها ، بعد أن كان في بادئ الأمر ، مزمعًا على تدميرها . ما الذي يمكن أن يسبّب حدوث مثل هذا الاهتداء ؟ قبل الشروع في الإجابة عن هذا السؤال ، أودّ التذكير ، مرّة أخرى ، بأنّ المرجع الوحيد الشرعيّ لمشيئة الله وقصده وتصميمه وأفعاله في عالمنا ، بالنسبة إلى بولس اليهوديّ الإسرائيليّ والفرّيسيّ ، هو الكتاب . كان بولس قد تعلّم من الكتاب ، أنّ المسيّا ، الممثّل المختار للإله الكتابيّ ، ليحقّق خلاص الله وغلبته (**يشوعاه**) ، عليه أن يكون غالبًا ، أمّا يسوع فقد صُلِبَ ، والصليب أشدّ أنواع الموت إذلالًا وتعييرًا في الأمبراطوريّة الرومانيّة . بدا له مستحيلًا أن يكون يسوع هذا مسيّا الإله الكتابيّ ، ولذلك كان لا بدّ لتلك الحركة الجديدة ، التي قامت بين اليهود والتي اعتبرت يسوع مسيّا من أن « تبسل » ، أي أن تعلن ملعونة من الله ،

فتخرج من جماعة إسرائيل وتزال. وهكذا كان بولس يتمّم رسالة « مقدّسة » عندما أراد أن يخضع الجماعة الناشئة من أولئك الذين آمنوا بمسيّانيّة يسوع. وبينما كان يسعى لتحقيق هدفه في دمشق، أذهلته صلابة بعضهم على الأقلّ. فإمّا كانوا « عماة » لا يرون ما في الكتب، وإمّا أنّهم « رأوا » فيها ما يسوّغ موقفهم. ربّما هذا ما حدا ببولس إلى أن يقرأ مرّة أخرى كتاب إشعياء، ذلك الكتاب المقدّس المصغّر الذي يروي قصّة الله مع مدينته أورشليم، القصّة التي تنتهي بإنشاء أورشليم السماويّة[1]. كتاب إشعياء هو الكتاب المسيّانيّ بامتياز، ويزخر بالنبوءات المسيانيّة، وما من شكّ في أنّ بولس استوقفه وصف عبد يهوه المتكرّر في « كتاب تعزية إسرائيل » (إشعياء ٤٠–٥٥) الذي يعلن « الأخبار السارّة »، أخبار إعادة بناء مدينة الله أورشليم. فقاده التفكير المليّ في هذه الفقرات إلى أن « يرى »، بوضوح، أنّ « هزيمة » يسوع المخزية على الصليب، كانت في الحقيقة، جزءًا لا يتجزّأ من مشروع الخلاص الذي سينجزه الله في مدينته.

غير أنّ « كتاب التعزية » الإشعيانيّ تحدّث عن الحكم الإلهيّ العادل (**مشفاط**)، الذي يؤدّي إلى الخلاص، على أنّه إنجاز مدهش إلى حدّ أنّ الأمم كلّها تأتي إلى أورشليم لتشاهد مجد الله وتقدّم له الهدايا، كما كانت العادة في الشرق الأدنى القديم، لإكرامه والاعتراف بأعماله العظيمة. بهذا المعنى يقول الكتاب إنّ مجد الله الذي ينير أورشليم سيكون « نورًا للأمم ». وهكذا تكون عالميّة الله، أي الاعتراف بالله من

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، صفحة ٢٦١.

قبل الأمم، الوجه الآخر لغلبة الله التي يتمّمها «خادمه». بتعبير آخر: ما لم تندفع الأمم إلى أورشليم لتعاين مجد يهوه وتسير بنوره، لن تتحقّق نبوءة إشعياء بخصوص أورشليم الجديدة، وتاليًا سيكون موت «الخادم باطلًا»، الأمر الذي يتعارض مع ما يقال في أناشيد «خادم الربّ». إذا كان يسوع المصلوب هو مسيّا الله، فالأمم ينبغي أن تعلم وتدعى. بتعبير أدقّ: إنّ قبول الأمم بيسوع المصلوب ربًّا لهم هو التأكيد على أنّه بالحقيقة المسيّا. قرأ بولس بشكلٍ صحيحٍ أنّ الرسالة الإشعيانيّة ليست شأنًا يهوديًّا داخليًّا، بل شأن الإله العالميّ، وقرأ أيضًا خصوصًا أنّ الله، من خلال «خادمه»، أوضح نفسه إلهًا لليهود والأمم على حدّ سواء. وهذا يستتبع قبوله إلهًا من اليهود والأمم كليهما. ولكنْ، إذا كان الله بالحقيقة إله الكلّ بيسوع المصلوب - كما هو الأمر بالنسبة إلى بطرس ويعقوب من جهة وإلى بولس من جهة أخرى -، فهو هكذا بالتساوي، أي أنّ الاعتراف به الهًا من قِبَل الأمم ينبغي ألّا يكون مشروطًا بقبول اليهود به. الرسالة الإشعيانيّة معطاة لليهود والأمم وعلى اليهود والأمم أن يقبلوها من دون قيد أو شرط. وينبغي ألّا تشكّل «قساوة» اليهود عائقًا أمام عبور الأمم إلى الله، كما سيقول بولس في رسالته إلى أهل روما. بالإيمان بأنّ الله قد حقّق تصميمه بيسوع المصلوب يستطيع كلّ واحد أن يصير جزءًا من شجرة «الزيتون» التي لله، وله وحده، والتي أزهرت من وعده لآباء إسرائيل (رومية ١١:١٦؛٢٨) وليس لليهود. إذ «ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليّون» (٩:٦ب).

كان هذا الفكر أساس الاتفاق الذي تمّ التوصّل إليه في اجتماع أورشليم بين بولس و« الأعمدة » ، وهو الذي أدّى إلى الإقرار بأنّ رسالة بولس إلى الأمم تعادل رسالة بطرس إلى اليهود . فهم بولس هذا الاتفاق وكذلك فعل بطرس . أمّا بولس فيوجز وجهة نظره في الرسالة إلى أهل روما قائلًا : « ... لأنّه لا فرق بين اليهوديّ واليونانيّ ، لأنّ ربًا واحدًا للجميع غنيًّا لجميع الذين يدعون به . لأنّ كلّ من يدعو باسم الربّ يخلص » (١٠:١٢-١٣). تصرّف بطرس في بادئ الأمر وفق هذه النظرة . ففي أنطاكية ، بعد اجتماع أورشليم ، كان برنابا ، رفيق بولس في الاجتماع ، وبطرس ، أحد الأعمدة ورسول الختان ، يؤاكلان الأمم . غير أنّ رجال يعقوب تدخّلوا ومارسوا ضغوطًا على الجميع ليكفّوا عن هذه الممارسة ، معيدين « التمييز » بين اليهود والأمم . اعتبر بولس ما حصل إخلالًا بالاتفاق الأوّل « الرسميّ » وتاليًا الملزم ، فقرّر أن يتقيّد هو به مستقلًا . كلّ ما اتفق عليه في أورشليم ، مدينة الله هو ، بالنسبة إليه ، التعبير ذو السلطة الأقوى عن « صوت الله ومشيئته » . كانت المعضلة واضحة وهكذا كان أيضًا اختياره : « أفأستعطف الآن الناس أم الله ؟ أم أطلب أن أرضي الناس ؟ فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبدًا للمسيح » (غلاطية ١:١٠) . كان دائمًا يعتبر نفسه عبدًا أي خادمًا للمسيح ، وقد أوضح ذلك مرارًا في مراسلاته . يتقيّد العبد / الخادم بمشيئة سيّده ويسعى إلى إرضائه . هذا السيّد ، في حالة بولس ، هو الله الذي تكلّم في اجتماع أورشليم حيث أعطي بولس « يمين الأعمدة » ، أي يمين ممثّلي مشيئة الله في جماعة الذين آمنوا من اليهود

يسوع المسيّا . كلّ إخلاف بهذا القرار عنى عند بولس إخلافًا بعهد أخذه على نفسه أمام الله !

ذيل : العبارة اليونانيّة doulos

الترجمة الدقيقة للعبارة اليونانيّة doulos هي « عبد » ، مع أنّها تترجم غالبًا بـ « خادم » . سبب اختياري الترجمة الأولى هو لأنّها تناسب بيئة الأمبراطوريّة الرومانيّة في القرن الأوّل . كانت عبارة doulos تشير إلى مَن كان ملك ربّ (سيّد) . يعني هذا أنّ الـ doulos كان يتوجّب عليه إتمام مراد سيّده من دون أن يقيم أيّ اعتبار لمشاعره الخاصّة . لم تكن للـ doulos مشيئة خاصّة لا من جهة القانون ولا من جهة الفعل :

« ومن منكم له عبد يحرث أو يرعى يقول له إذا دخل من الحقل تقدّم سريعًا واتكئ . بل ألا يقول له أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمني حتّى آكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت . فهل لذلك العبد فضل لأنّه فعل ما أمر به ؟ لا أظن . كذلك أنتم أيضًا ، **متى فعلتم كلّ ما أمرتم به فقولوا إنّنا عبيد بطالون ، لأنّنا إنّما عملنا ما كان يجب علينا** » (لوقا ١٧ :٧-١٠) .

الـ doulos ملزم بمشيئة سيّده ومستعبد لها . يعني هذا ، في حالة بولس ، فقدان مشيئته الخاصّة :

« لأنّه إن كنت أبشّر فليس لي فخر **إذ الضرورة**[١] **موضوعة**

(١) تعني العبارة اليونانيّة anagke ما كان فرضًا أو قسرًا على أحد .

عليّ. فويل لي إن كنت لا أبشّر! فإنّه إن كنت أفعل هذا طوعًا فلي أجر. **ولكن إن كان كرهًا فقد استؤمنت على وكالة**. فما هو **أجري** إذ وأنا أبشّر أجعل إنجيل المسيح بلا نفقة، **حتّى لم أستعمل سلطاني في الإنجيل**» (١ كورنثوس ٩:١٦-١٨).

بعد تلك الحادثة الشائنة في أنطاكية لم يكن أمام بولس خيار آخر سوى أن يتابع عمله مستقلًا متمّمًا الجزء المختصّ به من الاتفاق المبرم في أورشليم، أي أن يكون رسولًا للأمم مطلق الصلاحيّة بحسب الإنجيل الذي أقرّه الله نفسه. لم يكن من شأن بولس أن ينظر كيف يتمّم بطرس الجزء المختصّ به، وذلك وفق المبدأين الآتيين:

١) لن يكون بولس مسؤولًا عن رسالته أمام بطرس أو أيّ من القادة الآخرين بل أمام الله، ذلك لأنّ الله نفسه هو الذي سيصدر حكمه في يوم الربّ:

« هكذا فليحسبنا الإنسان كخدّام المسيح ووكلاء سرائر الله. ثم يسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أمينًا. وأمّا أنا فأقلّ شيء عندي أن يحكم فيّ منكم أو من يوم بشر. بل لست أحكم في نفسي أيضًا. فإنّي لست بشيء في ذاتي. لكنّني لست بذلك مبررًا. ولكن الذي يحكم فيّ هو الربّ. إذًا لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتّى يأتي الربّ الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب. وحينئذ يكون المدح لكلّ واحد من الله» (١ كورنثوس ٤:١-٥).

٢) كلّ رسول مسؤول عن المكان المناط به، لا عن الأراضي المعطاة لآخرين:

« لا نفتخر إلى ما لا يقاس في أتعاب آخرين بل راجين إذا نما إيمانكم أن نتعظّم بينكم حسب قانوننا بزيادة ، لنبشّر إلى ما وراءكم ، لا لنفتخر بالأمور المعدّة في قانون غيرنا » (٢ كورنثوس ١٠:١٥-١٦) . « ... ولكن كنت محترصًا أن أبشّر هكذا . ليس حيث سمّي المسيح لئلا أبني على أساس لآخر » (رومية ١٥:٢٠) .

لم يستطع بولس ببساطة أن ينسى ما جرى في أورشليم . كان إنجيله يقضي بأن يحمل الأمم تقدماتهم إلى الله الذي صنع خلاصه في مدينه أورشليم . ومَن غير يعقوب والذين حوله يستطيع أن يمثّل وجه الله للأمم المندفعين أفواجًا إلى تلك المدينة ليرفعوا تقدماتهم إلى الله ؟ لكنّ يعقوب والقيادة الأورشليميّة لم يريدوا هذا التقدمات ، وكان بولس على استعداد أن يقضي سنوات محاولًا إقناعهم بهذا الأمر لتتأكّد حقيقة الإنجيل كإتمام لوعود الله التي قطعها « بأنبيائه في الكتب المقدّسة » (رومية ١:١-٢) ، لدى اليهود والأمم على حدّ سواء . فقط عندئذٍ تصير أورشليم مدينة الله التي فيها يشعّ مجده والتي سوف يُدعى اليهود والأمم في العالم أجمع ليسيروا بنورها . فضّل يعقوب أن يتمسّك بيهوديّته تمسّكًا شديدًا على أن يقبل مشيئة الإله الكتابيّ المعلنة بكلمة وعده الذي تحقّق في الإنجيل . وشكّل هذا التمسّك عائقًا أمام كلّ من رسالة بطرس إلى اليهود ورسالة بولس إلى الأمم . فقد كان باستطاعة اليهود والأمم الذين لم يقبلوا بيسوع مسيًا أن يستغلّوا موقف يعقوب ، « العمود » بامتياز ، كعذرٍ لينفروا من تصوير الإنجيل « المسيحَ مصلوبًا ، عثرة لليهود وجهالة للأمم » (١ كورنثوس ١:٢٣-٢٤) . وقد كان ثمّة

حافز قويّ لرفض « المسيح مصلوبًا » وذلك بسبب دلالة العار[١] التي كان الصلب في الأمبراطوريّة الرومانيّة يوحيها إلى الجميع ، يهوديًا كانوا أم أمميًا .

أراد بولس أن يعبّر رمزيًّا عن العقيدة الأساسية لموقفه القائل بأنّ ثمة جماعة لله واحدة تضمّ اليهود والأمم من دون تفريق بينهم[٢] فطوّع ، بعد أن صار وحده على أثر القطيعة مع برنابا ، تيموثاوس اليهوديّ وتيطس الأمميّ غير المختون ، جاعلًا إياهما رفيقيه الرسميّين في إتمام رسالته[٣] . وهكذا لم تكن لديه أبدًا نيّة المساومة . إلّا أنّ اللافت في قرارات بولس هو أنّها تعكس فهمًا ثابتًا لا يتبدّل للإنجيل يضاف إليه وعي ما قد يترتّب من نتائج فيما إذا رُفِضَ هذا الإنجيل أو قُبِلَ في وقت معيّن . وعندما صعد إلى أورشليم ليدافع عن حقيقة إنجيل الله بحضور « الأعمدة » اليهوديّين اصطحب معه تيطس الأمميّ غير المختون . وعندما استهلّ رحلته إلى قلب العالم الأمميّ اختار تيموثاوس اليهوديّ معاونًا له ، بعد أن جعله يختتن ، مؤكّدًا بهذا « لأعمدة » أورشليم وللأمم على السواء أنّه لا الختان ولا الغرلة ينفعان إذا كان الأمر يتعلّق بالإنجيل ؛ إذ على كلّ من يقرّر أن يقبل الانجيل أن يقبله وفق شروطه الخاصّة :

« ... لأنّه (أي الإنجيل) قوة الله للخلاص لكلّ من يؤمن ،

---

(١) أنظر غلاطية ٦:١٤ وتفسير غلاطية ، صفحة ١٤ و٣٢٤ .

(٢) أنظر تفسير غلاطية ، صفحة ٣٨-٣٩ و١٤٠-١٤٣ .

(٣) ١ كورنثوس ٤:١٥-١٧؛ ١٦:١٠؛ ٢ كورنثوس ٢:١٣؛ ٧:٥-١٦؛ ٨:٦،١٦-٢٤؛ فيليبّي ٢:١٩-٢٤؛ ١ تسالونيكي ٣:١-٦ .

لليهوديّ أوّلًا ثم لليونانيّ . لأنّ فيه معلن برّ الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب : أمّا البارّ فبالإيمان يحيا » (رومية ١:١٦-١٧) .

« ... لا فرق بين اليهوديّ واليونانيّ لأنّ ربًا واحدًا للجميع غنيًّا لجميع الذين يدعون به . لأنّ كلّ من يدعو باسم الربّ يخلص » (رومية ١٠:١٢-١٣) .

ولكن ، لماذا دعوت مقدونية ، وبشكل أخصّ فيليبّي ، محطة بولس الأولى خارج آسيا الصغرى ، قلب العالم الأمميّ ؟ كما سبق وأشرت عندما تحدّثت عن تيطس وتيموثاوس ، يعبّر بولس عن التزامه حقيقة الإنجيل الواحد بطريقة رمزيّة خالصة وفقًا لجانب أو آخر من الإنجيل يودّ أن يشدّد عليه أو يجرّبه . حتّى خلافه مع زميله برنابا في أنطاكية ، كان بولس قد نشر الإنجيل برفقته في المناطق التي كانت جزءًا من مملكة السلوقيّين[١] وكانت تضمّ سوريا وبابل وآسيا الصغرى ، أي « بيت » يهوديّة الزمن الرسوليّ واليهوديّة الناشئة . بعد القطيعة مع برنابا ترك بولس « البيت » اليهوديّ وتجرّأ وحده إلى خارج حدوده الأمينة إلى مقدونية (أرض الإسكندر ، أبي الهلينيّة) ولاحقًا إلى أخائيا (أرض « اليونانيّين » ، أي الأمم بامتياز) . هناك كان إنجيله - وتاليًا رسوليّته - على وشك أن يوضعا على المحكّ وذلك لأنّه كان « رسولًا إلى الأمم » . وفيليبّي المدينة المقدونيّة في زمن بولس كانت مستعمرة رومانيّة ، يقطنها عدد كبير من الجنود الرومان وعائلاتهم . بقيت فيليبّي مستوطنة صغيرة

---

(١) بمفيلية وبيسيديا وليقاونية . حتّى لو اعتبرنا أنّ قبرص كانت تقع تحت سيطرة البطالسة يبقى الاستنتاج العامّ هو ذاته .

حتّى السنة ٤٢ قبل الميلاد حين هزم أوكتافيان وأنطونيوس في جوارها كاسيوس وبروتوس، قاتلَي يوليوس قيصر. وبأمر من أنطونيوس استوطن هناك عدد من الجنود الرومان، وأعلنت « مستعمرة رومانيّة » وسمّيت مستعمرة Vitrix Philippensis احتفاء بالنصر الذي تمّ إحرازه. بعد هزيمة أنطونيوس على يد أوكتافيان في أكتيوم السنة ٣٠ قبل الميلاد طرد هذا الأخير كثيرين من الحرس الأمبراطوريّ الذين وقفوا إلى جانب أنطونيوس، من أراضيهم في إيطاليا ومنحهم حصصًا في فيليبّي، التي أعيد تأسيسها باسم مستعمرة Julia Philippensis إكرامًا لابنة أوكتافيان، ثم دعيت في ما بعد مستعمرة Julia Augusta Philippensis عندما نال أوكتافيان لقب « أوغسطوس » من مجلس الشيوخ في السنة ٢٧ قبل الميلاد. أضف إلى ذلك أنّ أهميّتها كانت تكمن في أنّها تقع على الـ Via Egnatia، أي الطريق الذي يعبر شبه جزيرة البلقان ويربط إيطاليا بالشرق. هكذا كانت فيليبّي في نظر بولس، إذا صحّ التعبير، « روما صغيرة »، وكان إرساء الإنجيل هناك بالنسبة إليه مساويًا لغرسه في قلب الأمبراطوريّة الرومانيّة ذاتها التي كانت تشكّل مجمل « العالم المسكون » (oikoumene) سواء بالنسبة إلى اليهوديّ أو لمواطن رومانيّ مثله. لمجرّد أن يقبل واحد من الفيليبيّين الإنجيل، يستطيع بولس أن يثبت أنّه « في المسيح يسوع صارت بركة إبراهيم للأمم » حقًّا (غلاطية ٣: ١٤)، وكذلك « حقُّ الإنجيل » الذي جاهد بولس « للحفاظ » (٢: ٥) عليه في لقاء أورشليم. يظهر الارتباط الوثيق بأورشليم بوضوح في أنّ بولس تعهّد منذ تلك الوقت بأن « يذكر فقراء » أورشليم (٢: ١٠)، أي أن يتحقّق من أنّ الأمم يقرّون دومًا بأنّهم

« زيتونة بريّة ... طعّمت ... لتشارك في أصل الزيتونة (المقدّس) (أي الآباء) » (رومية ١١:١٧) . وبالفعل واصل بولس عمله وبذل أقصى جهده ليجعل من جمع المال لكنيسة أورشليم أمرًا ضروريًا في كنائسه الأمميّة (٢ كورنثوس ٨-٩). كما أشرت سابقًا كانت هذه « التقدمة » من كنائسه لربّ أورشليم جزءًا لا يتجزّأ من كلمة الخلاص كما وردت في إشعياء .

فقط على هذا الأساس يمكننا أن نفهم المقطع الغريب الآتي من الرسالة إلى أهل فيليبّي : « وأنتم أيضًا تعلمون أيّها الفيليبيّون أنّه في بدء الإنجيل ، لما خرجت من مكدونية ...» (١٥:٤) . غريب حقًّا أن يربط بولس « بدء » الإنجيل بخروجه من مكدونية وليس بوصوله إليها . لماذا فعل هذا ؟ الجواب الوحيد هو أنّ هذه « البداءة » تعكس الوقت الذي فيه تأكّدت في نظر بولس حقيقة الإنجيل الذي كان يبشّر به ، أي الوقت الذي فيه صار ذلك الإنجيلُ **الإنجيلَ** (بالتشديد على التعريف) في نظر الجميع ، يهودًا وأمميّين ، لأنّ « الأمم » ، – ممثّلين بالفليبيّين – واليهود قبلوه . فقط عندئذٍ أصبحت « أخبار إشعياء السارّة » حقيقة ؛ وعندئذٍ استطاع بولس أن يكتب بوضوح وجزم ، « إلى كنيسة الله التي في كورنثوس » عاصمة مقاطعة أخائيا الرومانيّة ، أرض « اليونانيّين / الأمم » بامتياز :

« لأنّ اليهود يسألون آية واليونانيّين يطلبون حكمة . ولكنّنا نحن نكرز بالمسيح مصلوبًا **لليهود عثرة ولليونانيّين جهالة ، وأمّا للمدعوين يهودًا ويونانيّين فبالمسيح قوّة الله وحكمة الله** ... ومنه (أي الله) أنتم

بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله **وبرًا وقداسة وفداء** » (١ كورنثوس ١:٢٢-٢٣،٣٠)[(١)].

عندما غادر بولس فيليبّي عرّج على تسالونيكية عاصمة مقاطعة مقدونية الرومانيّة ، وأسس هناك كنيسته الثانية من الأمم . وبينما هو في أثينا في طريقه إلى كورنثوس أرسل تيموثاوس إلى تسالونيكية ليتفقّد الرعية هناك (١ تسالونيكية ٣:١-٢) . التقاه تيموثاوس عندما كان في كورنثوس ونقل إليه ما صادفه ، وهذا دفع بولس إلى كتابة أوّل رسالة إلى كنيسة أمميّة ، هي رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكية . ولمّا كانت كورنثوس عاصمة مقاطعة أخائيا الرومانيّة قرّر بولس أن يمكث هناك وقتًا كافيًا ليبرز زرع كلمة الله في قلب اليونان في أقرب نقطة لأثينا ؛ وهناك أيضًا أراد أن يضيف فتحًا آخر رمزيًا إلى جدول إنجيله ، تطلّب منه هذا إقامة طويلة ، ثمانية عشر شهرًا على الأقلّ ، هذا بحسب أعمال الرسل ١٨:١١،١٨.

يصف كتاب أعمال الرسل إقامة بولس في كورنثوس بطريقة تعكس المعنى الذي أعطاه بولس لهذه المدينة كفرصة ليثبّت كيف يستطيع إنجيله أن يوحّد اليهود والأمم في كنيسة واحدة . ففي هذا الكتاب نجد ذكرًا لكلّ من اليهود والأمم : فهناك الزوجان **اليهوديّان** أكيلا وبريسكيلا اللذان أتيا من إيطاليا (١٨:٢-٤) ؛ وهناك جدال **في المجمع** حيث نجح بولس في إقناع **اليهود واليونانيّين** (الآية ٤) ؛ إقامته

---

(١) في الآية ٣٠ يطبّق بولس عبارات البرّ والقداسة والفداء الكتابيّة على الأمم واليهود على حدّ سواء ، من دون التفريق بينهم .

المؤقّتة في بيت **ملاصق** (Synomorousa) للمجمع (الآية ٧)؛ يقال عن رئيس المجمع **إنّه آمن بالربّ مع جميع بيته** (الآية ٨). فقط عندئذٍ نقرأ أنّ بولس بأمرٍ من الله «أقام سنة وستة أشهر يعلّم بينهم كلمة الله» (الآية ١١)، ومدّد إقامته (الآية ١٨) حتّى بعد أن ضرب رئيس المجمع اللاحق من قبل إخوانه اليهود (الآية ١٧) لأنّه، على الأرجح، اعترف بالإنجيل البولسيّ[١]. يعكس كلّ ما سبق الحديث عنه نيّة بولس بأن يغرس في القلب الرمزيّ للعالم الأمميّ الكنيسة **الواحدة** للإنجيل **الواحد**، الجماعة **الواحدة** (جماعة اليهود والأمم) للإله **الواحد** (إله كتاب المجمع) المجتمعة حول الربّ المصلوب **الواحد** (المضمون الأساس في الإنجيل البولسيّ). تقوم هذا الجماعة الواحدة التي من اليهود والأمم **خارج** المجمع، ذلك «لأنّه ليس كلّ الذين من إسرائيل إسرائيليّون» (رومية ٩:٦ب)، لكنّ اليهود، بمعنى ما، هم أقرب إلى الإنجيل، أو «أوّلون» على حدّ تعبير الرسالة إلى أهل روما. رغم هذا عليهم إمّا أن يقبلوا إنجيل بولس أو يرفضوه، وما لم يقبلوه لن يكون لهم الخلاص (رومية ١:١٦-١٧). يعني كلّ هذا أنّ بولس، في رسالته إلى أهل روما، كان يدعو قارئيه المقيمين في عاصمة الأمبراطوريّة، إلى اتباع المثل الذي وضعه أمام كلّ العالم (oikoumene)[٢] في كورنثوس، عاصمة اليونان وتاليًا ممثّلة

(١) يحمل الاسم ذاته الذي يذكره بولس في مطلع الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١:١). إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ هذا الاسم يرد فقط في هذين الموضعين في العهد الجديد يمكننا أن نفترض أنّ المقصود هو الشخص نفسه.

(٢) أنظر لاحقًا تعليقي على الرسالة إلى أهل روما.

المسكونة. وهذا بدروه يفسّر حجم المراسلات التي كرّسها **للمحافظة** على كنيسة كورنثوس: فهي «نموذج» «للكنيسة البولسيّة» التي تواجه شتّى أنواع العداوة وتتخطّاها، من الداخل كانت أم من الخارج.

رغم كلّ الجهود التي بذلها بولس كان فشله في أورشليم كبيرًا، فقد رفض يعقوب وجماعته أن يأخذوا المال الذي جمعه بولس عند الأمم. نستنتج هذا من التغيير الذي طرأ على اللهجة بين الرسالة إلى أهل روما والرسالة إلى أهل فيليبّي[١]. كما نلاحظ التبدّل في أعمال ١٨:٢٢ حيث لم يعلّق الكاتب أهمّية على زيارة بولس أورشليم: «ولمّا نزل في قيصريّة، صعد وسلّم على الكنيسة ثم انحدر إلى أنطاكية». وهكذا أيضًا بالنسبة إلى زيارة بولس إلى أنطاكية، حيث حصلت القطيعة بينه وبين الرسل الآخرين: «وبعدما صرف زمانًا خرج...» (الآية ٢٣أ). كان بولس يودّ العودة مسرعًا ليتفقّد كنائس غلاطية التي كان قد أسسها ويقوّيها (الآية ٢٣ب) قبل أن يمكث في أفسس ويجعلها مركزًا له (١ كورنثوس ٨:٥-٩؛ أنظر أيضًا أعمال ١٩؛ ٢٠:١٧-٣٨)[٢].

يعود اختيار تلك المدينة، على الأرجح، إلى مكانتها كعاصمة

---

(١) أنظر لاحقًا التعليق على هاتين الرسالتين.

(٢) ترك في أفسس بريسكيلا وأكيلا (١٨:١٨-٢١)، وهما اثنان من أبرز العاملين معه (أنظر ١٨:٢٤-٢٦)، حيث يؤدّيان دورًا مهمًا في نقل تعليم بولس إلى أبولوس؛ رومية ١٦:٣؛ حيث يرد ذكرهما في مطلع لائحة التسليمات؛ ١ كورنثوس ١٦: ٩، حيث يميزان من مجموع الإخوة؛ ٢ تيموثاوس ٤:٩-١٩، حيث يظهر أنّهما بقيا إلى النهاية من أتباع بولس القليلين.

مقاطعة آسيا الرومانيّة - الأمر الذي يسهّل السفر والاتصال - وإلى موقعها الجغرافيّ كمركز لدائرة تضمّ كنائس بولس الأمميّة : غلاطية وفيليبّي وتسالونيكية وكورنثوس . من جهة أخرى كانت أفسس تتمتّع بأهميّة رمزيّة ذلك لأنّها تقع في الغرب الأقصى لما كان المملكة السلوقيّة ، وإلى جانب البحر من اليونان ، أي على الحدود الفاصلة بين اليهوديّة وأراضي الأمم . من هذه المراكز كتب بولس رسائله إلى الغلاطيّين والكورنثيّين . أمّا الرسالة إلى أهل روما فقد كتبها إمّا في أفسس أو في كورنثوس خلال زيارته الأخيرة كنائسه المقدونيّة والأخائيّة (أعمال ٢٠ : ١-٦) ، قبل زيارته الأخيرة إلى أورشليم وقبل القطيعة النهائيّة مع قادة الكنيسة التي حصلت هناك عندما رفض هؤلاء المال الذي جمعه من أجل « الفقراء » . وتبع ذلك خلاف « يهوديّ داخليّ » انتهى بسجن بولس من قبل السلطات الرومانيّة في قيصريّة فلسطين . ثم قاده احتكامه لقيصر إلى روما ، ومن هناك كتب رسالتيه إلى أهل فيليبّي وإلى فيلمون قبل إعدامه . ثمّة إمكانيّة أخرى ، وهي أنّ السلطات الرومانيّة قبضت عليه في أفسس حيث كتب رسالتيه الأخيرتين ، ثمّ لقي حتفه هناك أيضًا .



٢

الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكية

لمّا عاد تيموثاوس إلى كورنثوس من رحلته إلى تسالونيكية ، أخبر بولس بالصعوبات التي يواجهها المؤمنون هناك . الصعوبة الأولى والأهمّ هي أنّ القيادة الأورشليميّة قرّرت أن تضع عوائق على طريق الإنجيل الذي كان بولس يبشّر به لدى الأمم . ورفضت تعليمه حول تحرّر الأمم من ضرورة الختان ومن طاعة الناموس الموسويّ رفضًا قاطعًا . ردّ بولس على هذا الوضع بتسطير رسالة تعالج ثلاثة من إصحاحاتها الخمسة هذه المسألة .

عند قراءتنا هذه الرسالة نلاحظ على الفور أنّ بولس ، إلى جانب التعليق على إنجيله ، يكرّس وقتًا وطاقة لا يستهان بهما للدفاع عن رسوليّته . سبب هذا واضح . لقد أدرك خصوم بولس أنّه من الصعوبة بمكان إثبات الخطأ بشكل ملموس ؛ فقد كان فرّيسيًّا متدرّبًا تدريبًا جيّدًا في أمور الكتاب ، ولذلك كان قادرًا على أن يتناول كلّ نقطة ويردّ عليها . هذا بالإضافة إلى أنّه استطاع ، في اجتماع أورشليم ، أن يدفع « الأعمدة » أنفسهم إلى الاعتراف بمساواته لهم (« أعطوه اليمين ») . لهذا لجأ خصوم بولس إلى التهجّم على شخصه قائلين إنّ بولس انضمّ لاحقًا ، ولم يكن منذ البدء تلميذًا أصيلًا ليسوع ، الأمر الذي يعني أنّه

ليس سلطة قائمة في ذاتها ، وأنّ كلّ شيء يقوله موضع شكّ . بتعبير آخر : كان الخصوم يدعون أتباعه إلى الشكّ في سلطته ، خصوصًا عندما فسّر لهم مضمون الإنجيل . كانت هذه الحجّة قوية ، وذلك لأنّ كنائس بولس تأسّست بشكل عامّ على سلطته الشخصيّة . فإذا تمّ التقليل من شأن هذه السلطة ، سوف تبحث تلك الرعايا عن « سلطة أعلى » ، وهذه قد لا تكون سوى القيادة اليهوديّة المسيحيّة في أورشليم . والسلطات هناك عارضت بولس في مسائل أساسيّة تتعلّق بتفسير الكتاب . ولم تكتف برفض تفسيره اتفاق أورشليم ، لكنّها استمالت بطرس وبرنابا ، وهما رسولان ، للوقوف إلى جانبها ضدّه . وإذا « ثبت » مرّة أنّ بولس على خطأ ، فهذا يعني أنّه قد يخطئ مرّة أخرى ؛ وللتأكّد أنّه لم يكن على ضلال ، على أتباعه أن يتفحّصوا باستمرار تعليمه مقارنين إيّاه مع تعليم « الأعمدة » و« الرسل والآخرين ». وإذا تضاربت الآراء فالحقّ إلى جانب هؤلاء « الأعمدة » و« الرسل الآخرين » .

وهكذا وجد بولس نفسه مجبرًا على الدفاع عن إنجيله ورسوليّته **في الوقت ذاته** . وهذا بالضبط ما نجده ، هنا ، في الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكية وفي مراسلاته التالية .

التحيّة (١:١)

الرسالة موجّهة إلى كنيسة (ekklesia) التسالونيكيّين ، أي إلى الجماعة المجتمعة بكاملها ، ولهذا يجب أن تكون ذات سلطة . لكنّ بولس فضّل أن يكتب بلهجة أبويّة ، ربّما لأنّه خشي أن تكون ردّة فعل

سامعيه سلبيّة، فتتسبّب رسالته «بتعكير مزاجهم». وآثر أن يذكر اسمه، من دون لقب «رسول»، مع اسمي مساعديه، سلوانس وتيموثاوس، ففي نهاية المطاف رسوليّته في خطر.

المقدّمة (١:٢-٩)

لمّا كان كلّ التسالونيكيّين عمليًّا من الأمم، (الآية ٩ب)، استهلّ بولس رسالته بتذكيرهم بأمرين أساسين في حياتهم الجديدة: الإيمان بمعنى التزام إلههم الجديد، والمحبّة التي هي خلاصة ما يطلبه منهم. ويذكّرهم أيضًا بأنّه عليهم، في المطاف الأخير، أن يكونوا مسؤولين أمام الله نفسه، عند مجيء الربّ، لا أمام السلطات البشريّة (الآية ٣)، حاثًّا إيّاهم على أن يدركوا أنّهم شعب الله «المختار» بالإنجيل الذي أتاهم به (الآيتان ٤-٥)، وهذا أمر جديّ للغاية.

أمّا الإنجيل فيفرض عليهم أن يشاركوا بولس في الضيق وفي الفرح الذي يمنحه روح الله (الآية ٦). وهذا ما فعلوه، وقد صاروا قدوة يحتذي بها آخرون؛ فالإنجيل الذي بدأ في مقدونية[1] يذاع الآن ليس في أخائيا حيث بولس فحسب، بل في كلّ العالم المعروف، أي في الأمبراطوريّة الرومانيّة، التي يهدف بولس الآن إلى نقله إليها (الآيتان ٧-٨). أمّا المضمون الأساس لهذا الإنجيل فهو الرجوع إلى الإله الكتابيّ وانتظار ابنه القائم الذي سينقذنا من غضب الدينونة العتيدة (الآيتان ٩-١٠).

(١) أنظر الفصل السابق.

التذكير بخدمة بولس الرسوليّة (٢:١-١٦)

بعد ذلك، يتابع بولس فيذكّرهم بأنّهم عالمون بالضيق الذي تكبده من أجل الإنجيل؛ فقد حمل الإنجيل إليهم وسط ما لاقاه من عذاب في فيليبّي (الآيتان ١-٢). وهذا دليل على أنّه كان يسير على الصراط المستقيم. والألم شجع بولس على المضي قدمًا في رسالته، فأظهر أنّه أمين على الإنجيل والرسوليّة (الآيتان ٤-٥). لم يكن يطلب سوى موافقة الله، لذلك لم يكن يأبه لما يقوله الناس (الآية ٦). لهذا السبب لم يستخدم سلطته الرسوليّة (الآية ٧أ)، بل تصرّف نحوهم كأمّ مرضع أو كأب (الآيات ٧ب-٨، ١١). حتّى إنّه لم يطلب منهم أن يكرّموه كرسول بل كان يعمل، وهو بينهم، لسدّ حاجاته الماديّة بنفسه (الآية ٩). ومع ذلك تسلّموا كلماته وقبلوها ككلمة الله، الأمر الذي يؤكّد رسوليّته (الآية ١٣). وأدّى بهم قبولهم هذا إلى أن يشاركوا في الآلام المرتبطة بالإنجيل (الآية ١٤). بهذا المعنى، أثبتوا تكافؤهم مع المسيحيّين اليهود في اليهوديّة، الذين لاقوا المعاملة الفظّة ذاتها من اليهود، أهل عشيرتهم (الآية ١٤). أمّا هؤلاء، فقد جعلتهم محاولاتهم منع خلاص الأمم ببشارة الإنجيل أعداء لله، وسيدركهم غضبه، لأنّهم صنعوا كما صنع إسرائيل الكتابيّ عندما رفض أنبياء الله وقتلهم (الآيتان ١٥-١٦)[1]. ربّما المقصود بهذا القول أن يكون توضيحًا ليعقوب وجماعته الذين كانوا يحاولون منع بولس من نشر الإنجيل بين الأمم.

---

(١) بموازاته بين يسوع والأنبياء ومساواته بين كلمة الله والإنجيل (إنجيل الأمم) يسبق بولس فيعبّر عما سيقوله لاحقًا على نحو لائق بمعلّم في رومية ١:١-٦.

اهتمام بولس بالتسالونيكيّين (٢:١٧-٣:١٣)

يرتبط قلق بولس على ثبات المؤمنين التسالونيكيّين بنظرته إلى نفسه كرسول مسؤول أمام الربّ عندما سيأتي يوم دينونة الربّ. فقط عندئذ سوف يمنح إكليل الفائزين. لكنّ هذا لن يحصل إلّا إذا حفظ التسالونيكيّون الإيمان. وإذا فعلوا سيكون هذا برهانًا على أنّهم نالوا كلمة الله من بولس. من هذا المنظور يرى بولس أنّ منعه من زيارتهم عمل الشيطان، العدو الذي يريد أن يظهر أنّ بولس لم يهتمّ بأمر القطيع الموكل إليه (٢:١٧-٢٠؛ ٣:٥). وإذ لم يستطع أن يزورهم بنفسه، أرسل معاونه الأوّل تيموثاوس، «خادم الله والعامل معنا في إنجيل المسيح»، حتى يثبّتهم في إيمانهم ويذكّرهم بأنّ الإنجيل يستتبع مشاركتهم في الآلام من أجله (٣:١-٤). كما شرحت في الفصل السابق بخصوص تبشير بولس في فيلبّي، بالنسبة إلى بولس، لن يكون هناك إنجيل - لن تتحقّق وعود الله المعطاة من خلال كلمات إشعياء - إلّا إذا قبله بعض الأمم (وحفظوه). فقط على هذا الأساس نستطيع أن نفهم الاستعمال الغريب للفعل اليونانيّ evangelizomai (تبشير الإنجيل) للحديث عن الأخبار السارّة التي **نقلها** تيموثاوس إلى بولس؛ «الإنجيل» هنا، هو الخبر عن التسالونيكيّين فهم قد حفظوا الإيمان والمحبة اللذين بشّرهم بهما بولس (الآية ٦). لئن كان أرسل تيموثاوس ليعزيهم (parakalesai) (الآية ٢)، إلّا أنّه هو الذي تعزّى (paraklethemen) بثباتهم في الإيمان رغم الآلام والضيق (الآية ٧). فهو يؤكّد اتكاله عليهم («الآن **نعيش إن ثبتّم أنتم** في الربّ» (الآية ٨)، ويعجز عن أن يجد شكرًا يقدّمه لله من جهتهم (الآية ٩).

ولكن ، إلى أن يأتي الربّ (الآية ١٣) لن يستطيع أن يرتاح : يتابع ابتهالاته طالبًا أن يرى وجوههم مرّة أخرى ليشدّد إيمانهم (الآية ١٠) ، ويرجو أن يستجاب طلبه (الآية ١١) ، ولكن ، إلى أن يحين ذلك ، سيطلب من الربّ نفسه أن يهتمّ بأمرهم (الآية ١٢) .

أمور أخرى مستعجلة (٤:١-١٢)

كان معاصرو بولس من اليهود متمرّسين في الكتاب وفي تعاليم الأنبياء والشريعة ، وهي إرشادات الإله الكتابيّ الرسميّة لإسرائيل الكتابيّ . كانوا عالمين بمشيئة الله . أمّا الأمم فهم « الشعوب » الكتابيّة التي لا يكفّ الكتاب عن إدانة طرائقها واعتبارها مستحقّة غضب الله . لمّا كان التصرّف المواظب ، أساسًا ، عادة ، فأيّ تعديل طفيف عليه يتطلّب مجهودًا مستمرًّا وتذكيرًا لا ينقطع ، فكم بالحريّ إذا كان التغيير جذريًّا . كان على الأمم الذين بشّرهم بولس أن يتركوا طرائق « الشعوب » ، التي هي طرائقهم . هذا ما سبق لهم أن تعلّموه منه (الآيتان ١-٢) ، وهذا ما بدأ يذكّرهم به . حاول بولس أن « يقولب » الأمم وفقًا لمشيئة الإله الكتابيّ وهذا نستنتجه بسهولة من التعابير الكتابيّة التي يستعمل : مشيئة الله ؛ القداسة (hagiasmos)[١] مقابل الزنى (porneia)[٢] ؛ الأمم الذين لا يعرفون الله[٣] ؛ الربّ كمنتقم ؛ النجاسة

(١) وهي صفة الله الأساسيّة وتاليًا صفة أعضاء جماعته .

(٢) وهي خلاصة الخطيئة . تشير في الكتب النبويّة إلى إهمال الربّ للسير وراء آلهة أخرى .

(٣) قابل مع مزمور ٧٩:٦؛ إرميا ١٠:٢٥. أنظر أيضًا ١ كورنثوس ٨:١-٦؛ غلاطية ٤:٨-٩.

(akatharsia)[١] مقابل القداسة (الآيات ٣-٧).

ينهي بولس هذه الفقرة المكرّسة لعلاقة التسالونيكيّين بالله بإشارة مفاجئة إلى الله كمانح الروح القدس: «إذًا من يرذل لا يرذل إنسانًا، بل الله الذي أعطانا أيضًا روحه القدّوس» (الآية ٨). يرد ذكر الروح القدس قبلًا في ١:٤-٦.

«عالمين أيّها الإخوة المحبوبون من الله اختياركم. إنّ إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط، بل بالقوّة أيضًا وبالروح القدس وبيقين شديد كما تعرفون أيّ رجال كنّا بينكم من أجلكم. وأنتم صرتم متمثّلين بنا وبالربّ إذ قبلتم الكلمة في ضيق كثير بفرح الروح القدس».

كان الأمميّون التسالونيكيّون مختارين وقد صاروا شعب الله تمامًا كما كان إسرائيل الكتابيّ «المختار»، وذلك بالإنجيل الذي بشّر به وقُبل «**في الروح القدس**. نجد الإشارة التالية إلى الروح في ٥:١٩-٢٠ بارتباط مع النبوّة: «لا تطفئوا الروح، لا تزدروا بالنبوءات». ما معنى كلّ هذا؟

قناعتي، أنّ بولس نفسه أبرز عنصر «الروح القدس» الكتابيّ عند كنائس الأمم حتى لا يعطي كنيسة أورشليم فرص السيطرة عليها. في هذا استوحى بشكل أساس حزقيال الكاهن الأورشليميّ الذي جعل من منطقة خابور البابليّة، وتاليًا الأمميّة، ليس فقط مكانًا يتكلّم فيه إله أورشليم، بل، أكثر من ذلك، جعل منها المكان، (بالتشديد على

---

(١) وهي إشارة إلى من كان خارج جماعة الله.

التعريف)، الذي منه يتوجّه الله إلى أورشليم ذاتها بشكل سلطويّ. لتحقيق ذلك كان لا بدّ من أن يكون الله ونبيّه حزقيال، أو كلمتهما المنطوقة، حرّين في تحرّكهما، الأمر الذي لا يحققه إلّا روح الله. هذا الروح هو الذي أعطى الكلمة الإلهيّة / النبويّة إمكانيّة التحرّك وأتاح لها أن تنتقل من بابل الأمميّة إلى أورشليم. إتّبع بولس نموذج حزقيال وأوضح لكنائسه أنّها، بالإنجيل البولسيّ، على اتصال مباشر بكلمة الله من خلال روحه، وليس من خلال أورشليم وقادتها. هؤلاء القادة الأورشليميّون هم مرتبطون بكلمة الله في الإنجيل وليس العكس. بهذا أراد بولس أن يضع أساسًا لاعتماد كنائسه على الإنجيل وفي الوقت عينه يرسّخ استقلالها عن أورشليم. وعيه باستمرار أنّ موته المحتّم سوف يترك كنائسه « يتيمة »، هو الذي دفعه للقيام بهذا، وذلك لأنّه كان الرسول الوحيد الواقف إلى جانبهم. من هنا كان مقدّرًا لرسائله أن تصير « إنجيلهم المكتوب »، أي كلمة الله الأخيرة في كيفيّة تفسير كلمته الموجودة في الكتاب تفسيرًا صحيحًا. وهكذا كان القصد وراء رسائل بولس ذاتها أن تستعمل ككتاب مقدّس منذ لحظة كتابتها![١]

إذا كان الأمم « مختاري » الله، فهم شعبه، وعليهم تاليًا أن يتقيّدوا بمشيئته المعبّر عنها في شريعته. لا عجب إذًا أن يستتبع الجانب الآخر من اهتمام بولس الأساس، بخصوص كنائس الأمم، جانبًا « عمليًا » لإنجيله: على شعب الله أن يتبع قوانين الله ونظمه. وسوف يعلن بولس بوضوح للجماعة المسيحيّة الأمميّة في روما (رومية ١٣:٨-١٠)

---

(١) أنظر أيضًا الفصل الذي يعالج الرسالة إلى غلاطية.

وللكنائس الأمميّة في غلاطية (غلاطية ٥:١٤) أنّ ملء الناموس يكمن في محبّة القريب. وهنا في هذه الرسالة نلاحظ الأهميّة التي يعطيها بولس لهذا الشأن. يقول للتسالونيكيّين في هذا الخصوص إنّهم « متعلّمون من الله » (theodidaktai)، بإشارة إلى « العهد الجديد » في إرميا (إرميا ٣١:٣١-٣٤)[١] حيث نقرأ أنّ ناموس الله سوف يكتب على قلوب الناس، وأنّه لن تكون هناك حاجة لتعليمه لأنّ الكلّ سيتقيّدون به.

قيامة الأموات ومجيء الربّ (٤:١٣-٥:١١)

بعد أن ذكّر سامعيه بمبدأي إنجيله إلى الأمم، أعني اختيارهم من قبل الإله الكتابيّ ومسؤوليّة إتمام مشيئته، يعالج بولس مسألة خاصّة كانت تقلقهم، ألا وهي موت بعضهم. كانوا قد سمعوه يعلّم أنّ الذين قبلوا الإنجيل سيتحرّرون من سيطرة الأصنام ليدخلوا تحت سلطة الإله الكتابيّ، الذي سينعتقون من غضبه عند مجيء ابنه بالمجد (١:٩-١٠). واستنتجوا أنّهم سوف يبقون أحياء لينضموا إلى موكب الربّ المجيد كمنتصر على كلّ أعدائه. غير أنّ بعض المؤمنين التسالونيكيّين، أو واحدًا منهم على الأقلّ، مات بعد أن غادرهم بولس، وسبّب هذا الموت حزنًا في الكنيسة هناك. يتناول بولس هذا الموضوع ويقول إنّ الحزن إنّما يليق بالذين لا رجاء لهم، الأمم، في حين أنّ التسالونيكيّين ليسوا بعد جزءًا من « الشعوب » لأنّهم يؤمنون الآن بأنّ الآتي بمجد إنّما

(١) أنظر تفسير الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكية صفحة ١٦١-١٦٤.

هو المسيح **الميت والقائم**، وأنّ البعض من رفاقه سوف يلقون المصير ذاته الذي لقيه هو، أي أنّهم سيموتون، أو بالأحرى « سيرقدون » لأنّ الله سيقيمهم كما أقام مسيحه (٤:١٣-١٤). فالذين توفّوا هم في وضع أفضل لأنّهم سيسبقون الذين ما زالوا أحياء إلى الانضمام إلى موكب ابن الله المنتصر (الآية ١٥). يلجأ بولس، بغية تفسير هذه المسألة، إلى صورة المجيء (parousia)، وهي عبارة تستعمل للحديث عن قدوم الملك أو الأمبراطور أو الحاكم لزيارة مدينة من مدنه، أو عن عودة قائد الجيش منتصرًا في معركة كبيرة إلى المدينة العاصمة حيث الملك أو الأمبراطور أو الحاكم على رأس الشعب في انتظاره لتتويجه بإكليل النصر. تناسب الصورة الثانية وضع يسوع الذي نصره بالنسبة إلى المؤمنين حقيقة، وذلك لأنّهم قبلوا خبره في الإنجيل الذي أعطي لهم ككلمة[1]. وكمواطنين سمعوا بخبر انتصار قائد الجيش ولكنّهم لا يستطيعون أن يروه منتصرًا بل عليهم أن ينتظروا عودته إلى مدينتهم، هكذا على المؤمنين أن ينتظروا مجيء المسيح المنتصر لابسًا حلّة مجيدة. فقط عندئذ يستطيعون أن ينضمّوا إلى موكبه.

على خلفيّة الـ Parousia يعزّي بولس التسالونيكيّين. فالأموات بينهم في حالة فضلى. كما قام يسوع (الآية ١٤)، سيقومون هم أيضًا عند مجيئه (الآية ١٥)، وسيكونون من ضمن حاشية المسيح المنتصر، آتين معه (الآية ١٤). أمّا الباقون فسيكونون في انتظاره عند أبواب المدينة لينضمّوا إليه عند قدومه، ويكونوا من المستقبلين. عندئذ سيكون

---

(١) أنظر ١ كورنثوس ١٢:١٥ ورومية ٨:١٠-١٠؛ ١٤-١٧.

الجميع، أمواتًا وأحياء، مع المسيح إلى الأبد (الآية ١٧). النقطة الأساسية هنا هيّ أنّ الاموات لن يهملوا (الآية ١٥) بل سيكونون أوّلين (الآية ١٦)، أمام الأحياء. وهكذا ليس لدى التسالونيكيّين عذر للنوح على «الذين رقدوا» (الآية ١٤)، «الأموات في المسيح» (الآية ١٦). «لذلك عزّوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام» يقول الرسول (الآية ١٨).

ومباشرة بعد ذلك يحذّرهم من مغبّة التفكير في توقيت مجيء الربّ. فيومه «كلص في نصف الليل، هكذا يأتي» (٥:٢). لا يتوقّعه أحد، وهكذا نتائجه. وذلك لأنّه سيسبّب الدمار بدل الهرب (الآية ٣). فبدل أن يحاولوا توقّع متى سيأتي الربّ، وهذا أمر غير ضروريّ لمن هم على يقين من أنّ هذا المجيء سيكون لصالحهم، وأنّه لن يفوتهم (الآية ٣)، من الأفضل لهم أن يحرصوا على أن يكونوا في ذلك اليوم مستعدّين للقائه «كأبناء للنور، ساهرين وصاحين» (الآيتان ٦-٧)، أي محافظين على الإيمان والمحبّة والرجاء (الآية ٨)، التي ثبّتهم فيها إنجيل بولس (١:٢-٥). فقط بهذا الشرط يستطيع الأموات والأحياء أن يضمنوا الحياة الأبديّة مع المسيح (٥:١٠). «لذلك عزّوا بعضكم بعضًا وابنوا أحدكم الآخر كما تفعلون دائمًا»، يقول الرسول مرة أخرى (الآية ١١) في نهاية الفقرة بكاملها. بولس حريص على ألّا يسبّب كلام تعزيته من جهة الأموات (٤:١٣-١٨)، قلقًا لدى التسالونيكيّين يدفعهم إلى التفكير في توقيت المجيء، تلهفًا منهم على الالتقاء بهم قريبًا. لمّا كان الذين رقدوا قد ماتوا في المسيح (الآية ١٦) فسيحضرهم الله معه (الآية ١٤)؛ على التسالونيكيّين ألّا يشغلوا أنفسهم في هذا

الأمر . إذا كانوا حقًّا يريدون الالتقاء بهم عليهم أن يخافوا على ذواتهم ويعملوا ليكونوا ساهرين ومستعدّين عند سماع صوت البوق معلنًا اقتراب الربّ . فإذا وجدوا نيامًا من السكر غير قادرين أن يسمعوا صوت البوق ، أو إذا سمعوا صوت البوق ولم يستطيعوا الانضمام إلى المستقبلين ، سوف ينتهون مرذولين ومطرودين من الاحتفال ومن ملكوت الله . ولن يكون لهم عذر ، وذلك لأنّ الرسول وعظهم ، وشجّعهم وأوصاهم بأن « يسلكوا كما يحقّ لله ، الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده » (٢:١١-١٢) .

نصائح متفرّقة (٥:١٢-٢٥)

بعد أن عالج بولس مسألة مهمّة تشغل بال التسالونيكيّين ، يعطيهم وصايا تختصّ بوضع الكنيسة العامّ . على رأس اللائحة ، كالعادة ، قضيّة الترتيب والنظام (Taxis) في اجتماعاتهم . هذا أمر مهمّ وذلك لأنّ الكنيسة جماعة الإله الكتابيّ ، وإله الكتاب يصوّر كملك جالس على عرشه ، يحفظ نظامًا سلاميًّا ومعطيًا الحياة في مملكته . كلّ إخلال بنظام هذا الملك إنّما يعكس عدم قدرته على السيطرة على القوى الخوائيّة التي تهدّد وجود مملكته والساكنين فيها ، وتضع في نهاية المطاف ، ملكيّته وقدرته على الحكم موضع تساؤل وشكّ[1]. لهذا يكرّس بولس حصّة الأسد من نصائحه ليشجّع على احترام شيوخ الجماعة وطاعتهم ، فهم الذين « يدبّرونكم في الربّ » ، وقد أوكل إليهم أمر الاهتمام بالكنيسة (الآيات ١٢-١٤) . الجانب الآخر من العملة ذاتها هو المحبّة

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الثالث ، صفحة ٣٠-٤٥.

الأخويّة التي ينبغي التعبير عنها في احتمال بعضهم بعضًا (الآية ١٥). من دون هذه الشروط يتهدّد وجود الجماعة[1].

ثمّ يوصي بولس سامعيه بأن يعبّروا دومًا عن فرحهم (الآية ١٦) بالروح القدس، عطية الله الممنوحة بكلمة الإنجيل رغم كلّ المحن (١:٥-٦). بهذا يضاهون المسيح الذي انتصر وإن بدا مهزومًا على الصليب. لهذا السبب، من ميزات الصلاة الأساسيّة، تقديم الشكر لله (٥:١٧-١٨أ) الذي منح التسالونيكيّين الغلبة في المسيح مع مجده وملكوته. في الواقع، هذه هي مشيئة الله في يسوع المسيح من جهتهم (الآية ١٨ب). وإذا كان روح الله، مانح الفرح، قد أعطي لهم، فعليهم ألّا يطفئوا حضور الروح هذا مزدرين بعمله الظاهر في التعليم النبويّ (الآيتان ١٩-٢٠) في كنيستهم. ثمّة عواقب وخيمة ملموسة للازدراء بالنبوءات، وذلك لأنّه قد يؤدّي إلى استعبادهم لأورشليم الأرضيّة وقادتها. عليهم بالأحرى أن يخدموا الروح الإلهيّ، ويمتحنوا بنوره كلّ شيء ويتمسّكوا بما هو بالحقيقة منه، أي بما هو حسن (الآيتان ٢١-٢٢).

بعد أن عدّد بولس كلّ الشروط الضروريّة للحفاظ على سلام الله المانح الحياة، يرفع صلاته إلى إله السلام لكي يحفظ التسالونيكيّين على الصراط المستقيم إلى حين مجيء الربّ يسوع المسيح (الآية ٢٣). ثمّ يضيف أنّه على يقين من أنّ صلاته ستستجاب لأنّ الله الذي «دعاهم» بإنجيله سوف يتمّم وعده (الآية ٢٤). ثم يسألهم بولس أن يذكروه في

(١) أنظر غلاطية ٥:١٥ وتفسيري لها في تفسير غلاطية، صفحة ٢٩٨-٢٩٠.

صلواتهم (الشكريّة) في اجتماعاتهم (الآية ٢٥) ، لأنّ كلّ ما صنعه الله من أجلهم كان من خلال الإنجيل الذي أتاهم به بولس (٢:١٣).

كلمات أخيرة (٥:٢٥-٢٧)

أراد بولس أن تتلى رسالته في اجتماع رسميّ ، كما تتلى أيّة قراءة كتابيّة . هذه هي الطريقة الأسهل لتلاوة الرسالة أمام **كلّ** الاخوة . أضف إلى ذلك أنّ « مناشدته لهم بالربّ » (أي تحليفه إيّاهم) ليقوموا بذلك ، لا يمكن أن تعني سوى أنّهم ، بقبولهم هذا الأمر ، يصبح **الكلّ** ملتزمين ، تحت القسم ، بأن يعتبروا ما قرأوه منه بالحقيقة الإنجيل كما تسلّموه منه : لا ككلمة بشريّة ، بل « ككلمة الله » الحقّ (٢:١٣).

في كنائس بولس الأمميّة ، كانت رسالته تقرأ إلى جانب قراءات العهد القديم ، وهكذا كانت تعتبر تفسيرًا كتابيًا ذا سلطان . وبما أنّه كان على كلّ الإخوة الحاضرين أن يقبلوها ، كما هي ، ويعاملوا **كلّ** الحاضرين كمتساوين في القداسة بالقبلة « المقدّسة » ، كان قانونه ينطبق على الحاضرين من اليهود الذين كانوا يشاركون في الاجتماع . بتعبير آخر : كان إنجيله **الواحد** ملزمًا على نحو متساوٍ لكنيسة الله **الواحدة** بكاملها ، « لليهود أوّلًا ثمّ للأمم » .

يختم بولس رسالته سائلًا أن يبقى **كلّ** التسالونيكيّين أمينين لنعمة الله التي أعلنت بيسوع المسيح الذي كرز به في الإنجيل **الواحد**[1].

---

(١) أنظر غلاطية ١:٦ .

٣

الرسالة إلى أهل غلاطية : خلفيّة

كتب بولس إلى أهل غلاطية من مركزه في أفسس ، بعيد رحلة قام بها إلى غلاطية ، التي ذهب إليها ليشدّد تلك الكنائس في الإيمان الذي علّمهم إيّاه عندما أسسها[1]. أمّا كتابته الرسالة مباشرة ، بعد أن كان هناك شخصيًّا ، فلأنّ أخبارًا وصلته عن أنّ أشخاصًا من جماعة يعقوب كانوا يتعقّبونه محاولين إبعاد المؤمنين الغلاطيّين عن إنجيله . لكنْ ، ما الذي دعا بولس إلى أن يقلق على المسيحيّين الغلاطيّين ، ويخاف من أن يخذلوه بهذه السرعة ، رغم جهوده المتكرّرة ورغم الإقرار الرسميّ بصحّة تعليمه وفقًا لاتفاق أورشليم؟ ما الذي جعل حجّة خصومه تروق للغلاطيّين إلى حدّ أنّ عددًا منهم ، لا بل غالبيّتهم ، قد نكث بعهده مع إنجيله؟ لا شكّ في أنّ حجّة هؤلاء الخصوم كانت مقنعة جدًّا .

خلفيّة حجّة الخصوم

كتاب اليهوديّة الأوّل والأساس هو التوراة أو الكتب الموسويّة الخمسة . وكأيّة مجموعة من الكتب ، حتّى تلك التي تبدو وكأنّها تحتوي على « قواعد » مستقلّة ، ليس القصد من هذا الكتاب أن

---

(١) أنظر تفسير غلاطية ، صفحة ٥-٩.

يستعمل بشكل « سحريّ » ، إذا صحّ التعبير ، كأن يختار القارئ منه فقرات يظنّ للوهلة الأولى أنّها تنطبق على وضع من الأوضاع . إلّا أنّ تجربة القيام بذلك، للذين يقرأون الكتاب ، سواء في الماضي أم في الحاضر ، أقوى من أن تقاوم . خذ ، على سبيل المثال ، الأقسام الشائعة التي تجدها في طبعات الكتاب المقدّس المعاصرة ، والتي تعطي القارئ لوائح من فقرات كتابيّة ليقرأها أو يعود إليها في مختلف الأوضاع الحياتيّة : الولادة أو الوفاة ، الحزن أو الفرح ، النجاح أو الفشل ، أو ما إلى ذلك . وكأنّ الإله الكتابيّ هو الحاصل الإجماليّ لمجموعة من الآلهة الوثنيّة ، كلّ منها مسؤول عن نطاق أو جانب مختلف من حياتنا![١] غير أنّني بيّنت في سلسلة المدخل إلى العهد القديم ، وأبيّن الآن في خصوص العهد الجديد ، أنّ أسفار الكتاب المقدّس ، سواء أخذ كلّ سفر بمفرده أو كمجموعة ، كتبت **كقصّة** لها بداءة ونهاية ، قصّة لا يُفقَه معناها إلّا إذا نظر إليها كاملة[٢].

غير أنّ البشر بشرٌ . يسقطون دائمًا في فخّ انتقاء أجزاء من القصّة

(١) هذا في أفضل الأحوال نوع من الكسل : ففي حين كان على الوثنيّين المساكين أن يتذكّروا اسم كلّ إله ووظيفته حتى يطلبوا الطلب المناسب ويضمنوا جوابًا سريعًا ، نتخطى نحن هذا الإزعاج ونطلب من الإله نفسه كلّ ما يعود لنفعنا ، وفق حاجاتنا ورغباتنا . أمّا في أسوئها فيجعل هذا الموقف من الإله الكتابيّ « الذي لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر » (١ كورنثوس ٢:٩) ، صفحة على شبكة الانترنت موجّهة من قبل البشر لإرضاء نزواتهم الآنيّة .

(٢) انظر المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الثاني ، الصفحة ٢٦١-٢٦٣؛.

تبدو لهم مناسبة أكثر لهذا الوضع أو ذاك من أوضاع حياتهم . سوء استعمال الكتاب هذا ، وهو ذو عواقب وخيمة ، أصاب اليهود واليونانيّين عبر القرون حتّى يومنا هذا ، ويمكننا تسميته بـ « المركّب المكابيّ » . تحتلّ قصّة إعتاق إسرائيل من مصر مكانة مرموقة في التوراة أو الكتب الموسويّة الخمسة ، أوّل كتب اليهوديّة . مما لا شكّ فيه أنّ هذه القصّة عزّزت عند اليهود شعورًا بالاشمئزاز حيال العبوديّة ونزعة نحو الاستقلال الماديّ عن طريق إتقان التجارة . وهذا يفسّر النسبة العالية من الأحرار أو العتقاء بين يهود الأمبراطوريّة الرومانيّة في زمن بولس بالمقارنة مع سواهم . غير أنّ الخروج لم يكن هدفًا بحدّ ذاته ، بل تمهيدًا لإعطاء الناموس ، وفي الناموس أنّ الخطيئة ، لا العبوديّة ، عدو الله . هذا بالإضافة إلى أنّ الناموس أعطي ليكون قانونًا للحياة في كنعان ، ومقياسًا سيُحاكم إسرائيل عليه ، كما يوضح تكرارًا كتاب تثنية الاشتراع ، آخر كتب التوراة . ثم يأتي هذا التشديد على الخطيئة بدلًا من العبوديّة في الأنبياء ، أو ما يسمّى الكتاب الثاني ، حيث لا نقرأ أنّ خصمًا من الخصوم تغلّب على إسرائيل بسبب ضعفه ، بل أنّه تداعى وأخطأ وأنّه **سُبي من الله لأنّه أخطأ** .

في النصف الأوّل من القرن الثاني قبل الميلاد قادت عائلة من الكهنة الريفيّين ، هي عائلة المكابيّين ، ثورة مسلّحة ضدّ السلوقيّين انتهت باسترجاع أورشليم وبسيطرة المكابيّين عليها . لم يرحّب كلّ اليهود بهؤلاء القوم ولم يعتبروهم منقذين ، وذلك لأنّهم استغلوا الثورة ليعلنوا أنفسهم حكّامًا ثمّ ملوكًا . وقد وجّهت لهم جماعة **الحسيديم** نقدًا لاذعًا .

ولهؤلاء ولاء صارم للتوراة بتمامها[١] ؛ وقد أنشأوا تيارًا يشدّد على دراسة التوراة والأنبياء والكتابات وتفسيرها باعتبارها صوت الله الأخير إلى الأبد . كان الفرّيسيّون ، وبولس منهم ، فرعًا من هذا التيار .

لكنّ « نجاح » المكابيّين ظلّ يدغدغ العديد من اليهود الذين قاموا بمحاولات فاشلة للثورة على بومباي (٦٣ قبل الميلاد) ، وبين العامين ٦٦ و٧٠ للميلاد ، في الوقت الذي سقطت أورشليم وأحرق الهيكل ، ثمّ بين العامين ١٣٢ و١٣٥م. السنة ١٣٤ سقطت أورشليم مجددًا بيد الرومان وأطلق عليها الأمبراطور هدريان اسم Aelia capitoliana إكرامًا لجوبيتير ويونو ومينيرفا ، أهمّ آلهة تلّة الكابيتول في روما . ورغم توالي الهزائم لم تمت عقدة النجاح المكابيّ ؛ ولا يمكنها أن تموت لأنّها تضرب على وتر حسّاس ، هو وتر بروميثيوس[٢] الكامن في كلّ كائن بشريّ ، والذي يقول عنه جون د . روكفيلير إنّه ميزة خاصّة من ميزات الروح الأميركيّة . سوف أكتفي بمثل حديث من الحياة المعاصرة في الولايات المتّحدة الأميركيّة . عندما كان اليهود يعملون على اعتبار عيد الهانوكاه عطلة « أميركيّة » رسميّة إلى جانب عيد الميلاد ، حاولت بعض المنظّمات اليهوديّة أن تروّج له على أنّه ذكرى « للنضال (الناجح) الأوّل في سبيل الحرية الدينيّة » . لقد تمّ اختيار هذه العبارات

(١) ما كانوا يقاتلون يوم السبت مثلًا .

(٢) بروميثيوس في الأسطورة اليونانيّة واحد من التيتان ، الآلهة اليونانيّة الأولى ، يقال عنه إنّه سرق النار من الآلهة وأعطاها للناس . ولذلك اعتبر معطيًا للفنون والعلوم وصار مثالًا للكائن البشريّ الذي يشقّ طريقه نحو المعرفة ؛ وتاليًا القوّة ، المحصورة بالآلهة وحدها .

بشكل ذكيّ ، وذلك حتّى تضرب على وتر حسّاس لدى الأميركيّين الذين يمكن اعتبارهم من بين الذين يدعمون كلّ من يسعى إلى « الحريّة ». ونجحت الخطّة وذلك لأنّ الأميركيّين ، ومع أنّ الكتاب لم يكن بأكمله يصادق على هذا النوع من « الحرية » – وللأميركيّين على العموم إلفة مع الكتاب المقدّس –، يتبنّون بشكل عامّ « المركّب المكابيّ » . فلنتذكّر القول الأميركيّ : لا شيء ينجح مثل النجاح (Nothing succeeds like success).

حجّة الخصوم

يمكننا أن نعتبر أنّ خصوم بولس كان لهم الموقف المكابيّ الذي يربط الإنجيل بمفهوم « النجاح ». والشرف الأكبر في الأمبراطوريّة الرومانيّة ، وتاليًا علامة النجاح الأعظم ، أن يصنّف الواحد مواطنًا رومانيًّا حرًّا ، أو ، على الأقلّ ، عتيقًا ، أي عبدًا أعتق من العبوديّة . طبيعيّ أن ينظر إلى هذا الأمر على أنّه هدف سامٍ وذلك لأنّ الغالبيّة الساحقة من الناس في الأمبراطوريّة الرومانيّة كانوا عبيدًا . أمّا الحجّة التي أقامها خصوم بولس لأعضاء الكنائس البولسيّة في غلاطية ، والمبنيّة على هذه المبادئ ، فتمكن إعادة صوغها على النحو الآتي :[١]

يقول بولس إنّكم أولاد إبراهيم بإيمانكم بيسوع مسيحًا لله . هذا ليس صحيحًا لأنّكم ما زلتم عبيدًا بغالبيّتكم الساحقة ، في حين أنّ اليهود ، أولاد إبراهيم الحقيقيّين ، أحرار بجملتهم ، وذلك لأنّ نسل

(١) أستند هنا على مناقشة لهذه القضايا أوسع في تفسيري الرسالة إلى أهل غلاطية .

إبراهيم الحقيقيّ قد أعتق من العبوديّة (المصريّة). هناك تناقض بين كونكم لا تزالون عبيدًا وبين أن تعتبروا أنفسكم أولاد إبراهيم. وقد أعطى الله وعده لإبراهيم **ولنسله الذي هو إسحق، ومن بعده ليعقوب / إسرائيل** الذي أعطيت له التوراة ليكرّمها ويعمل بها. فما لم تختتنوا وتعملوا بمقتضى التوراة لن تكونوا أعضاء في إسرائيل، لن يسري عليكم وعد الله لإبراهيم. إنّ بولس، في الواقع، يخدعكم حين يدعوكم إلى الاعتقاد بأنّكم ستكونون من الذين سينضمّون إلى موكب يسوع المنتصر عند مجيئه. الحقيقة أنّكم ستطرحون خارجًا لأنّكم من «الأمم»، أعداء الله والمسيح.

لماذا لا يقول لكم بولس الحقيقة كلّها؟ لأنّ الختان صعب على البالغين وعلامة عار في العقليّة الهلينيستيّة[1] المنتشرة في الأمبراطوريّة الرومانيّة. وقد رأى بولس أنّ الختان سينفّر كلّ الأمم الذين سيرفضون الإنجيل، فيثبت أنّ «رسول الأمم» فشل في مهمّته. ولأنّ بولس متبجّح إلى حدّ أنّه أتى إلى أورشليم مع تيطس ليعرضه متباهيًا، لن يستطيع أن يتحمّل إثبات خطأ طرحه القائل إنّ الأمم سوف يندفعون أفواجًا لقبول الإنجيل. لذلك أجاز للمهتدين من الأمم ألّا يختتنوا حتّى يسهل الإنجيل على الأمم الذين لن يضطروا إلى حمل «عار» الختان من أجل المسيح الذي هو تمام وعد الله لإبراهيم، التمام الذي يقدّمه الإنجيل لكلّ الذين

(١) أساس العقليّة الهلينيستيّة النظرة اليونانيّة القائلة إنّ الجسم البشريّ كامل كما هو؛ فكلّ تشويه له إنّما هو إساءة إلى الآلهة التي خلقت الكائنات البشريّة. لذلك كان المختتن، في الحمّامات العامّة، عرضة للسخرية.

يقبلون أن يصيروا أولاده . ثمّة طريق واحد لتحقيق هذا ، ألا وهو قطع الغرلة كما يأمر الكتاب . بتعبير آخر : لقد خان بولس الإنجيل الحقيقيّ لمجده الخاصّ . وهو يخجل ممّا اعتبره الله نفسه علامة وعد خلاصه ، وهو بهذا يسيء إلى الإنجيل الواحد .

أيّها الغلاطيّون ، احذروا بولس ! فهو إذ يبعدكم عن عار الختان ومشقّته ، يبعدكم عن ولوج ملكوت الله ، الذي يفترض بالإنجيل أن يحمله إليكم . إنّ بولس ، في المطاف الأخير ، يخون مجد الله لمجده الخاصّ ؛ وهذه هي الخطيئة العظمى بحسب الكتاب .

حجّة بولس المضادة

بما أنّ حجّة الخصوم القويّة والتي تبدو ، للوهلة الأولى ، شديدة الإقناع ، تدور حول فكرة القساوة والعار ، يدفعها بولس موجّهًا إيّاها ، **كما هي** ، ضدّهم . فيقول للغلاطيّين :

« أيّها الغلاطيّون الأغبياء ! من رقاكم ، أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبًا ؟ » (غلاطية ٣:١). تلك كانت كرازتي منذ البدء لكلّ الأمم في الأمبراطوريّة الرومانيّة . وحده الصليب هو العلامة الرئيسة للقساوة والعار والخزي[١] بالنسبة إلى هؤلاء الأمم . يمكنكم أن تتصوّروا ماذا يعني لو أضطر احدكم إلى أن يقول أمام السلطات الرومانية إنّ ربّه ، أي مالك حياته وسيّدها ، الذي له ولاؤه الكامل ، إنسان صلب بأمرهم هم . سيبدو هذا لهم وكأنّكم تعيدون

(١) أنظر صفحة ٢١.

إحياء ثورة العبيد التي قادها سبارتاكوس منذ أقلّ من مئة سنة والتي انتهت بأن صلب عدد كبير من العبيد على طول الطريق المؤدّي إلى روما إنذارًا للعبيد الآخرين. إنّ اعترافكم هذا بإيمانكم يشبه إنسانًا صادق بنفسه على الحكم بإعدامه. وهذا ينطبق عليّ أنا أيضًا، بولس. إنّ «خطر» الختان لباهت بالمقارنة مع ما ستقولون، وذلك لأنّ الختان يمكن إخفاؤه باللباس وبعدم الذهاب إلى الحمّامات العامّة. لا، لن أدعكم تفلتون منّي لتختاروا الختان، العار المزيّف بالمقارنة مع عار الصليب.

وكما ترون، إذا كانت لديكم عيون لتبصروا، فإنّ خصومي هم الذين يبعدونكم عن الإنجيل واضعين أمامكم مخرجًا سهلًا من خلال تضحية «رخيصة». في الحقيقة هم الذين «يريدون أن يعملوا منظرًا حسنًا في الجسد. هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا لئلا تضطهدوا لأجل صليب المسيح فقط. لأنّ الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس، بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا هم في أجسادكم. وأمّا من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلّا بصليب ربنا يسوع المسيح» (غلاطية ٦:١٢–١٤أ). إذا كان ثمّة من يريد أن يتباهى فهو هم، لا أنا!

الرسالة إلى أهل غلاطية: دفاع

كالعادة تناول خصوم بولس رسوليّته وتعليمه[1]. وكما فعل في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكية بدأ بولس رسالته هنا أيضًا بدفاع عن

---

(١) أنظر صفحة ٣٨.

رسوليّته وإنجيله معًا . لكنّه ، في هذه المرّة ، يكرّس جزءًا أكبر لهذين الموضوعين المترابطين ، إلى حدّ أنّ الرسالة تأخذ طابع الدفاع الرسميّ المكتوب[١] : تعالج غلاطية ١:١-٢:١٤ مسألة رسوليّة بولس في حين أنّ ٢:١٥-٤:٧ تثبّت إنجيله في (العهد القديم) الكتاب ، كلمة الله . أضف إلى هذا أنّ الناحية الرسميّة لرسالة بولس تنعكس في ميزتين لافتتين في مستهلّ الرسالة : (أ) يشدّد بولس على رسوليّته وطبيعتها في التحيّة (١:١)، و(ب) يسقط صيغة « الشكر » التقليديّة ليدخل مباشرة إلى صلب الموضوع موبّخًا سامعيه بقساوة ومنذرًا إيّاهم آخر إنذار .

الرسالة إلى أهل غلاطية : كتاب

من الواضح أنّ بولس ، بكتابته هذه الرسالة ، كان يقصد شيئًا آخر أكثر من مجرّد الدفاع . فسبب التهجّم على رسوليّته وإنجيله معًا جليّ : لمّا كانت مكانته كرسول هي التي أعطته سلطة التعليم ، فقد رأى الخصوم أنّه من الضروريّ التقليل من شأن هذه السلطة . فوجّهوا جهودهم نحو هذه الغاية . وبما أنّ شكّهم في سلطة بولس أُخذ على محمل الجدّ ، فقد استطاعوا إضعاف الصفة المطلقة لإنجيل بولس في ذهن الغلاطيّين . مرّة أخرى يعود خصوم بولس إلى الموضوع ذاته ، وذلك لما أظهره من فعاليّة . وفي كلّ مرّة كان بولس يدافع عن نفسه وعن تعليمه .

---

(١) يقول هـ . د. بتز في تفسيره الرسالة إلى أهل غلاطية Galatians: A commentary on Paul's Letter To the churches in Galatia, Hermeneia, Philadelphia, 1979) إنّ بنية الرسالة تطابق بنية الدفاعات اليونانيّة الرومانيّة ، صفحة ١٤-٢٥.

حتّى يضع بولس حدًّا لهذه المناورة الخبيثة قدّم رسالته **ككتاب** بشكل يشبه تثنية الاشتراع، الكتاب الأخير من التوراة، حيث يكرّر موسى[١] مرسل الله – كما يفعل بولس في الرسالة إلى أهل غلاطية (١:٩)، رسالة الخلاص مع الشروط التي تتيح لسامعيه البقاء سالمين في كنفه بما يختصّ بحياتهم اليوميّة. تثنية الاشتراع هي كلمة الله **الأخيرة** للغلاطيّين الذين، بعد أن تقبّلوا منه إنجيل البرّ والبركات الموعود بها لإبراهيم ولنسله، خانوه مرّة تلو الأخرى بضغط من خصومه. من الآن فصاعدًا ليس أمامهم في هذه الرحلة المتبقّية ضمن الأمبراطوريّة الرومانيّة سوى هذه الكلمة. وكما انتهت تثنية الاشتراع بالوعد ببركات الله على الذين يتبعون وصايا الكتاب، وبالتهديد بإنزال اللعنة بالذين يخالفونها، هكذا تضع رسالة بولس تحت اللعنة **كلّ** من يترك الله الذي قدّمه تعليم بولس، من دون أن يستثني نفسه أو ملاكًا من السماء (غلاطية ١:٦–٩). كما أنّها تعد بسلام الله والرحمة على الذين يتبعون «قانون» هذا الإنجيل كما ترسمه الرسالة (٦:١٦). وأخيرًا، كما أعطيت كلمة الله في التوراة «على **يد** موسى»،[٢] ممثّل الله الوحيد ذي السلطان في كتاب تثنية الاشتراع، فهذه الرسالة هي كلمة الله المكتوبة **بيد بولس** (٦:١١)[٣]، ممثّل الله الوحيد ذي السلطان بالنسبة إلى الغلاطيّين (١:١–٢[٤]، ٦–٩، ١١–١٨، ٢١؛

(١) أنظر تثنية ٥:٢٢؛ ٢٩:١.

(٢) أنظر مثلًا عدد ٤:٣٧،٤٥،٤٩؛ ٩:٢٣؛ ١٠:١٣؛ ١٥،٢٣؛ ٣٦:١٣.

(٣) مع أنّه كان يتمنّى أن يكون حاضرًا في ما بينهم لينطق بهذه الكلمة (٤:٤).

(٤) لاحظ كيف يفصل بولس، بخلاف التحيّات في رسائله الأخرى، نفسه كرسول عن مساعديه (أنظر تعليقي في تفسير غلاطية، صفحة ١٩–٢٣).

٢:٥؛ ٦:١٧). على الغلاطيّين الآن أن يكونوا حذرين : فالأنبياء ، أو الكتاب الثاني ، يخبروننا أنّ لعنات تثنية الاشتراع حلّت على إسرائيل فعلًا ، منزلة به عقاب الموت بالسبي . لهذا عليهم ألّا يستخفّوا بتحذير بولس لهم :

« ها أنا بولس أقول لكم إنّه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا . لكن أشهد أيضًا لكلّ إنسان مختتن أنّه ملتزم أن يعمل بكلّ الناموس . قد تبطّلتم عن المسيح يا أيّها الذين تتبرّرون بالناموس ، سقطتم من النعمة » (غلاطية ٥:٢-٤) .



٤

الرسالة إلى أهل غلاطية : المضمون

التحيّة (١:١–٥)

في هذه التحيّة الطويلة يؤكّد بولس أنّ رسوليّته أتت لا بواسطة بشر، بل من الله ومن المسيح. ثم يعطي موجزًا عن التعليم الرسوليّ الذي بشّر به الكنائس الغلاطيّة ولا يزال يبشّر به حتّى الآن: خلّصنا كلّنا، وأعتقنا من الخضوع لشرّ هذا الجيل الحاضر بيسوع المسيح الذي افتدانا كلّنا، يهودًا وأممًا[١]، وحرّرنا من خطايانا (الآيتان ٣–٤). والآن، إذ قد افتدينا، واشترينا، فنحن مرتبطون فقط بسيّدنا الربّ يسوع المسيح؛ نحن خاصّته[٢]. ولهذا لسنا بعد تحت سلطة بشريّة كانت تحكمنا، سواء أكانت الأمبراطوريّة الرومانيّة أم أورشليم. فكلتاهما من هذا الجيل الحاضر. وما الدافع وراء هذا العتق سوى مشيئة الإله الكتابيّ، الذي صار، بالفداء، أبانا جميعًا (الآية ٤). والمقصود هنا اليهود والأمم على السواء: اليهود الذين كانوا مرتبطين بأورشليم الأرضيّة (الحاضرة)، والذين كانت

---

(١) أنظر ٣:٢٩أ.

(٢) أنظر ٤:٢٥.

خطيئتهم سبب سبي إسرائيل في الكتاب، و « الأمم » الخاطئون تحديدًا[١].

هناك إنجيل واحد فقط (١:٦–١٠)

لمّا كانت الرسالة التي حملها بولس إلى غلاطية في غاية الوضوح، فقد أدهشه تخلّي الغلاطيّين عنها (الآية ٦). تنطبق فكرة التخلّي على العبد الذي يهرب من منزل سيّده، وبشكل خاصّ، على الجنديّ الذي يدير ظهره لقائده للانضمام إلى جيش العدو. خطرت هذه الصورة مباشرة على فكر بولس، لأنّ الانضمام إلى المسيح يستتبع، بالنسبة إليه، عضويّة في جيشه تحت قيادة الروح كآمر رئيس[٢]. فالتخلّي في هذه الحالة « غباء »[٣] مطلق لأنّ الجهة الأخرى التي سوف ينضمّ أحدنا إليها ليس لها وجود: فهناك إنجيل واحد لا غير. كلّ إنجيل « آخر »، (الآية ٧) لا يعدو كونه تشويهًا للإنجيل الحقيقيّ، ووهمًا. « اللعنة » ذاتها سوف يحملها كلّ من يبشّر بوهم الإنجيل الزائف (الآيتان ٨–٩)، ومعه كلّ من يتبع تعليمه. أمّا بولس فسيبقى عبد / خادم المسيح الحقيقيّ (الآية ١٠) الذي ينادي به الإنجيل الحقيقيّ الواحد[٤].

بولس رسول هذا الإنجيل الواحد (١:١١–٢٤)

تلي هذا حجّة للدفاع عن ادّعاء بولس بأنّه رسول: إنّ قصّة حياته

---

(١) أنظر ٢:١٥، وتفسير غلاطية، صفحة ٨٣–٨٤.

(٢) أنظر ٥:٢٥، وتفسيري هذه الآية في تفسير غلاطية، صفحة ٣٠٤.

(٣) أنظر ٣:١.

(٤) أنظر ٢:٥،١٤.

هي التي تظهر بوضوح لا ريب فيه أنّه رسول . فمن مضطهد لكنيسة الله ومدمّر لها (الآية ١٣) ، صار مبشّرًا بالإنجيل حتّى قبل أن يلتقي بالرسل الآخرين ، أي من دون أن يستشير أورشليم ويأخذ موافقتها (الآيات ١٦-١٩) . وتابع عمله كرسول قبل أيّ نقاش رسميّ في هذا الموضوع مع أيّ رسول (آخر) أو مع أورشليم (الآيات ٢١-٢٤). حتّى يستعمل العبارات الكتابيّة لا بدّ من أنّه اختير من الله نفسه كما اختير الرسل الآخرون (الآية ١٥) . لهذا فالإنجيل الذي بشّر به هو من الله وليس اختراعًا بشريًا من عنده (الآيتان ١١-١٢) .

اجتماع أورشليم وحادثة أنطاكية (٢:١-١٤)

هذا الإنجيل الذي بشّر به لسنوات عديدة ثبّت في لقاء في أورشليم ذاتها بحضور «الأعمدة» أنفسهم (الآيتان ١-٢) . وهذا الاجتماع كان ضروريًّا بسبب الإزعاج المستمر الصادر عن «الأخوة الكذبة» الذين كانوا «يتجسّسون» - كما يتجسّس الأعداء - على الكنائس البولسيّة (الآيتان ٤-٥) . أمّا بولس فقد وعى هذه القضيّة ولذلك جلب معه مساعده تيطس الذي لم يكن مختتنًا (الآية ٣) . صادق هذا الاجتماع على تعليم بولس ، واتّفق الجميع على أنّ ثمّة إنجيلًا **واحدًا** ورسوليّة **واحدة** كما أنّ هناك منشئًا **واحدًا** لهذين الانجيل والرسوليّة هو الله نفسه (الآيات ٦-٩)[1]. ولكي يضمن أنّ هذا الاتفاق ملزم لأورشليم ذاتها كما هو ملزم للأمم ، قبل بولس أنّ يجمع لكنيسة

(١) أنظر تعليقي على الآيتين ٧-٨ في تفسير غلاطية ، صفحة ٦٩-٧٠.

أورشليم « تقدمة » من كنائسه الخاصّة (الآية ١٠) . وكان بولس على يقين من أنّ الاتفاق مع « الأعمدة » تمّ برعاية الله[١] ، لذلك لا يمكن الإخلاف به من قبل أيّ من الجهتين[٢]؛ « فالأعمدة » ليسوا فوق الله !

ولكنّهم ، رغم ذلك ، نكثوا بهذا الاتفاق في وقت لاحق ، عندما مارست جماعة من يعقوب ضغوطًا على اليهود ليتخلّوا عن مؤاكلة الأمم ، التي كان صفا نفسه يمارسها إلى ذلك الوقت (الآيتان ١١-١٢) . حتّى برنابا رضخ لهذه الضغوط (الآية ١٣) ، وخان زميله بولس « متخليًّا » بهذا عن الله . وتبعت ذلك مواجهة علنيّة (الآية ١٤) .

في المسيح لا فرق بين الأمم واليهود (٢:١٥-٢١)

اتفقت الجهتان ، بولس و« الأعمدة » ، على أنّ اليهود يستطيعون بلوغ البرّ بالإيمان بيسوع مسيحًا لله (الآيتان ١٥-١٦) ، وأنّ القيام بأعمال الناموس غير كافٍ . غير أنّهما استنتجتا من « أعمال الناموس » أمورًا مختلفة ؛ يعتقد بولس أنّها **لم تعد ضروريّة** ، في حين أنّ الآخرين بقوا على تمسّكهم بها . رأى بولس أن ثمّة تناقضًا في موقف خصومه : فإذا سلّمنا أنّ برّ الله يمنح مجانًا كعطيّة (الآية ٢١أ) ، فهذا يعني أنّه لن يعطى لبولس اليهوديّ و« للأعمدة » بمجرّد حفظهم الناموس . فلو كان الأمر هكذا ، ولو كان على الأمم أن يتمّموا الناموس لينالوا البرّ ، لكان

---

(١) لاحظ قوله « إنّما صعدت بموجب إعلان » (في الآية ٢أ ، هذا الإعلان ذاته الذي أقرّ رسوليّته وإنجيله (١:١٢) .

(٢) لاحظ تبادل يمين الشركة بين « الأعمدة » من جهة وبولس وبرنابا من جهة أخرى (الآية ٩) .

موت المسيح باطلًا (الآية ٢١ب) . في هذه الحالة لا وجود للإنجيل وتاليًا لا وجود للرسوليّة ، إن من جهة الأمم أو من جهة اليهود ، وذلك لأنّ الانجيل يتحدّث عن البرّ المعطى مجانًا بالمسيح . أمّا تغيّر بطرس المفاجئ في أنطاكية فقد نتج منه ما يأتي : عندما جعل الأمم يبدون وكأنّهم « مواطنون من درجة ثانية » اضطرهم إلى « التهوّد » ioudaizein، الآية ١٤) ، أي إلى أن يصبحوا يهودًا ويعترفوا بأنّ إيمانهم بالمسيح لم يكن كافيًا !

بولس و« الأعمدة » يهود . ولهذا منحت لهم من الله « الحياة » التي تعد بها التوراة في تثنية الاشتراع ، ولكنّهم كمؤمنين بالمسيح يسوع نالوا هذه الحياة دونما حاجة إلى أن يتمّموا فرائض التوراة . فإذا حاول أحدهم أن يجعل من حفظ التوراة شرطًا **ضروريًا** لنيل هذه الحياة ، فهذا شخص يرفض مشيئة الله الذي قد منحها مجانًا بمسيحه . فإذا فعلوا هذا ، فإنّما يثبتون أنّهم « تعدّوا » مشيئة الله (الآيتان ١٨–١٩) .

الإيمان وأعمال الناموس (٣:١–١٤)

يتحدّى بولس « الغلاطيّين الأغبياء » سائلًا إيّاهم هل من الممكن أن يكونوا نسوا صلب المسيح الذي صوّر لهم بوضوح في بشارة بولس (الآية ١) ؟ ثم يذكّرهم بأنّ روح الله ، مانح الحياة الموعود بها في الناموس ذاته[١]، قد منح لهم عندما قبلوا تعليمه الرسوليّ بالإيمان (الآيتان ٢و٥). فلماذا يريدون إذًا العودة إلى سلطان الجسد[٢]،

(١) أنظر حزقيال ٣٧:١–١٤ .

(٢) بولس يناقش هذه النقطة بشكل أوسع في ٥:١٦–٢٦ .

خصوصًا بعد كلّ ما تكبّدوه (الآيتان ٣-٤)؟ هذا وقد علّمتهم خبرتهم الخاصّة وقرأوا الكتابات المقدّسة أنّ الإيمان هو المهمّ ، وذلك لأنّ إبراهيم نفسه الذي أعطيَ له الوعد قد نال البرّ على أساس إيمانه (الآية ٦) . لماذا يتوقّع أولاده الحقيقيّون أنّ تكون الأمور خلاف ذلك (الآية ٧) ؟ علاوة على هذا ، سبق فأخبر إبراهيم بالإنجيل ، أي أنّ الأمم سينالون بركة الله من خلاله (الآيتان ٨-٩) . أمّا من جهة أخرى ، فالتوراة سيف ذو حدّين : ففي حين تقطع وعودا للذين يطيعونها ، تضع تحت اللعنة كلّ من لا يتقيّد بما هو مكتوب فيها (الآية ١٠) . وفي حبقوق يعلن الكتاب نفسه أنّ الحياة سينالها البارّ على أساس الإيمان (الآية ١١) ، في حين أنّ التوراة تشدّد على ضرورة التزام متطلّباتها ولا تتحدّث لغة الإيمان (الآية ١٢) . وقد وقع مسيح الله نفسه تحت لعنة الناموس التي يتكلّم عليها كتاب تثنية الاشتراع (الآية ١٣) - أي التوراة - لكي يكرز ببركة إبراهيم المذكورة في كتاب التكوين - أي التوراة - للأمم ، والتي وصلت إليهم من خلال ذلك المسيح « الملعون » - وقد حصل هذا لكي ينال الجميع ، اليهود والأمم ، الروح الموعود بالإيمان لا بأعمال الناموس (الآية ١٤) .

وعد إبراهيم وإعطاء الناموس لاحقًا (٣:١٥-٢٥)

يلجأ بولس إلى مثل بشريّ حتى يسهّل الأمر على قرّائه (الآية ١٥أ) : الوصيّة الشرعيّة أو العهد . ما من أحد يستطيع أن يبطل عهدًا قد أُقِرَّ أو يضيف عليه (الآية ١٥ب). ولمّا كانت كلمة الله لا تقبل

الجدل ، فوعده ثابت لا يتغيّر منذ أن قيل للمرّة الأولى (الآية ١٧) . تجد برهان هذا في كتاب التكوين حيث يتكرّر الوعد بحرفيّته - من هنا الجمع « وعود » - لنسل إبراهيم ، إسحق ويعقوب (الآية ١٦) . لماذا يشدّد بولس على أنّ كتاب التكوين لا يتحدّث عن الأنسال » (في المجمع) بل عن « النسل » (في المفرد ؛ الآية ١٦) ؟ من غير الممكن أن يكون غاب عن ذهن بولس أنّ العبارة العبريّة زِيرَع والعبارة اليونانيّة sperma مفردان يفيدان الجمع ، تمامًا كعبارة « نسل » في اللغة العربيّة ، التي تنطبق على المتحدّرين من شخص ما . ماذا وراء قول بولس هذا إذًا ؟

إبتداءً من إرميا صارت رسالة استعادة يهوّذا تشتمل أيضًا على ذكر مملكة إسرائيل (إفرائيم) التي سبق سقوطها بوقت طويل[١]. وقد قويت هذه النزعة حتّى إنّ حزقيال ، عندما يروي تكرارًا قصّة الله مع شعبه المتمرّد ، صوّره كأختين[٢]. ولكنّ ، في النهاية ، عندما يعلن حزقيال رسالة الغفران والمصالحة ، يشدّد على كون الأختين قد أصبحتا واحدًا ، وذلك في نصّ[٣] يأتي مباشرة بعد الوعد بالروح الذي يعيد الحياة للعظام الميتة[٤]. على نحو مماثل ، غاية بولس في حديثه عن « النسل » و« الأنسال » أن يقول إنّه في فكر الله ، عندما يتحقّق وعد الخلاص

(١) أنظر إرميا ٢:٦-١٣،١٨؛ ١٥:٧؛ ٢٣:١٣-١٤؛ ٣١:٢٧،٣١-٣٤.
(٢) الإصحاحان ١٦ و٢٣.
(٣) حزقيال ٣٧:١٥-٢٨.
(٤) حزقيال ٣٧:١-١٤.

والبركة ، لا يمكن أن تكون ثمّة جماعتان ، بل جماعة واحدة . وعليه ، إذا أقام خصوم بولس حائطًا بين الأمم واليهود في جماعة المسيّا الأخرويّة فهم ينمّون عن جهل مطبّق للكتاب[1].

ولكن ، إذا كان الناموس غير ضروريّ لتحقيق وعد الله لإبراهيم ، فلماذا كلّف الله نفسه عناء إعلانه (الآية ١٩أ)؟ يلاحظ قارئ الكتاب أنّه بالعودة من السبي البابليّ استطاع نسل إبراهيم أن يحاكي رحلته . فقد كانت بداءة إبراهيم الكتابيّ في أور الكلدانيّين : و« قال له : أنا الربّ الذي أخرجك من أور الكلدانيّين ليعطيك هذه الأرض لترثها »[2] . ونقرأ أيضًا أنّه في أور الكلدانيّين كانت ساراي (ساره) عاقرًا ؛ ولم يكن لها ولد »[3]. في العهد القديم كلّه لا يرد ذكر ساره خارج كتاب التكوين إلّا في إشعياء ٥١:٢، وذلك في النصّ الآتي الذي يتحدّث عن الإسرائيليّين في الأسر البابليّ :

« إسمعوا لي أيّها التابعون البرّ الطالبون الربّ . أنظروا إلى الصخر الذي منه قطعتم وإلى نقرة الجبّ التي منها حفرتم . أنظروا إلى إبراهيم أبيكم وإلى سارة التي ولدتكم . لأنّي دعوته وهو واحد ، وباركته وأكثرته . فإنّ الربّ قد عزّى صهيون . عزّى كلّ خربها ، ويجعل بريتها

---

(١) أنظر تفصيل هذا في تفسير غلاطية ، ١٣٨-١٤٣ .

(٢) تكوين ١٥:٧؛ لاحظ أنّ هذه الآية تأتي مباشرة بعد الاستشهاد الكتابيّ الأوّل لبولس في معالجته مسألة الوعد الإبراهيميّ : « وآمن بالربّ ، وحسب له إيمانه برًا » ، (الآية ٦) . أنظر أيضًا ١١:٢٨،٣١؛ ١٢:٢ .

(٣) تكوين ١١:٣٠.

كعدن وباديتها كجنّة الربّ. الفرح والإبتهاج يوجدان فيها. الحمد وصوت الترنم» (إشعياء ٥١:١-٣).

وفي ماكن لاحق يتحدّث إشعياء، من دون ذكر ساره، عن أورشليم (التي يقابلها بها في النصّ السابق) بتعابير «بدويّة» تذكّر بأزمنة إبراهيم وساره:

«ترنّمي أيّتها العاقر التي لم تلد. أشيدي بالترنّم أيّتها التي لم تتمخّض. لأنّ بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الربّ. أوسعي مكان خيمتك، ولتبسط شقق مساكنك. لا تمسكي. أطيلي أطنابك وشدّدي أوتادك» (إشعياء ٥٤:١-٢)[1].

توضح النصوص التي أوردناها أنّ هذه القصّة لم تكن ذات معنى بالنسبة إلى نسل إبراهيم إلّا عندما كانوا في السبي البابليّ. أمّا المسبيّون فلم تكن رحلتهم إلى بابل رحلة ترف، لكنّ الله نفسه سباهم لأنّهم أخطأوا إليه. وكان الله يجري عدله عندما سباهم، وذلك لأنّه سبق وقال لهم في كتاب تثنية الاشتراع - آخر كتب التوراة، التي يتحدّث أوّل كتبها، التكوين، عن إبراهيم - أنّه سيفعل هذا إذا لم يتبعوا وصاياه. وبعد أن عاش الشعب في السبي زمنًا، حقّق الله بره مرّة أخرى، وذلك وفق النمط الإبراهيميّ. فقد وجد نسل إبراهيم أنفسهم في وضع يشبه إلى حدّ بعيد الوضع الذي كان فيه إبراهيم عندما كان

(١) لا بدّ من أن يلاحظ المرء أنّ هذا النصّ بالتحديد هو المشار إليه في غلاطية ٤:٢٧ بارتباط مع الحديث عن نسل إبراهيم.

تحت رحمة الله الذي دعاه . ففي حين لم يكن هناك مستقبل لإبراهيم لأنّه لم يكن ذا ولد ، كان المسبيّون فاقدي الأمل لأنّ سبيهم كان عقابًا من الله نفسه ، رجائهم الوحيد .

كانت وظيفة الناموس أن يضع نسل إبراهيم في المأزق ذاته الذي كان فيه أبوهم . وكان هذا بأن « أنتج » الناموس التعدّيات التي أدّت إلى سبيهم (الآية ١٩أ). معنى هذا أنّ « التعدّيات » لا يمكن أن توجد ما لم تكن ثمّة قوانين يمكن تعدّيها . وهكذا ، كان الناموس بدء قصّة انتهت بالسبي إلى الأرض التي جاء منها إبراهيم . كان هذا السبيل الوحيد لجعل اليهود يدركون أنّ لا مدخل لهم إلى الوعد الإبراهيمي ما لم يدنوا منه من منظور « الأمم » ، أي كخطأة مثل الأمم (الآيتان ٢١–٢٢). فقط هكذا يتحقّق وعد الله لإبراهيم بأن يصير أمّة عظيمة[١] وتتبارك به كلّ الأمم[٢]. تمّ هذا ، في النهاية ، في مجيء مسيح الله ، نسل إبراهيم (الآية ١٩ب) ، الذي أخرج شعبه من السبي ومن تسلّط الناموس المسبّب للسبي . ولكي يوضح للغلاطيّين المساواة التامّة بين اليهود والأمم في ما يتعلّق بالوعد الإبراهيميّ ، يشبّه بولس الناموس « بمربٍّ » (الآيات ٢٣–٢٥) ، مستعملًا تعبيرًا من الحياة الرومانيّة يشير إلى عبد أوكل إليه سيّده أمر أولاده إلى أن يبلغوا . ورغم أنّه عبد إلّا أنّه كان يتسلّط مؤقّتًا على أولاد أحرار[٣].

(١) تكوين ١٢:٢.

(٢) تكوين ١٢:٣، واردة في غلاطية ٣:٨.

(٣) تنطبق هذه الصورة تمامًا على الناموس ووظيفته في الكتاب ، بالنظر إلى ما سيقوله بولس لاحقًا (٤:١–٧) بخصوص الطفل القاصر .

الجميع ، أممًا ويهودًا ، أولاد الله بالتساوي (٣:٢٦–٤:٧)

في ما يتعلّق بالوعد والبركة الإبراهيميّين لا فرق بعد بين اليهود والأمم . **كلّهم** يستطيعون أن يصيروا أولاد الله ، شرط أنّ ينضمّوا إلى الجماعة المسيانيّة الواحدة القائمة على الإيمان الذي كرز به في الإنجيل الواحد (٣:٢٦). ويصير الانضمام إلى هذه الجماعة بالمعموديّة « في المسيح » كما يصوّره الإنجيل[١]. إذ بالمعموديّة يصير المرء ملكًا لهذا المسيح نفسه (الآية ٢٧) . والمساواة ضمن هذه الجماعة ليست حكرًا على اليهود والأمم ، ولكنّها أيضًا بين العبيد والأحرار (الآية ٢٨أ)[٢]؛ ثمة طبقة واحدة فقط أو نوع واحد من الأعضاء في الجماعة المسيانيّة (الآية ٢٨ب)[٣]. وبالانتماء إلى المسيح يستطيع الكلّ أن يصيروا نسل إبراهيم وأولادًا بحسب الموعد ، أي ورثة حقيقيّين (الآية ٢٩) بحسب الكتاب الذي يعلّم أنّ إسحق ، ابن إبراهيم بالوعد الإلهيّ ، هو وريث إبراهيم .

وكما قابل بولس بين الناموس الكتابيّ والمربيّ الرومانيّ ليوضح وجهة نظره لمن يخاطبهم من الغلاطيّين ، يقيم ، هنا أيضًا وللغاية عينها ، موازاة بين مفهوم الوريث / الإرث الكتابيّ وبين ما يقابله في التعبير الرومانيّ . فقد تحدّث هناك عن المربّي العبد ، أمّا هنا فينتقل للحديث

---

(١) أنظر تعليقي على غلاطية ٣:٢٧ في تفسير غلاطية ، صفحة ١٧٢–١٧٣ .

(٢) القصد من عبارة « لا ذكر وأنثى » إحباط كلّ فهم ممكن للمعموديّة على أساس طقوس الديانات السريّة ؛ أنظر تعليقي في تفسير غلاطية ، صفحة ١٧٣–١٧٦.

(٣) أنظر تعليقي على غلاطية ٣:٢٨ب في تفسير غلاطية ، صفحة ١٨٥–١٨٦.

عن الطفل القاصر الذي هو تحت سلطة عبيد أقامهم رأس العائلة مدبّرين لمنزله (٤:١-٢). كما كان اليهود تحت سلطة مربٍّ - الناموس - يتسلّط عليهم من دون أن يكون قادرًا على أن يمنحهم الحريّة حين يبلغون سنّ الرشد، هكذا أيضًا يخضع الأمم لأوصياء وقيّمين، «لعناصر العالم» (الآية ٣)، أي لآلهتهم (الزائفة)[١] التي لا تستطيع أن تمنحهم الحريّة التي لهم الآن في المسيح. ولكن حين حان ملء الزمان لتحقيق الوعد المعطى لإبراهيم أرسل الله ابنه كيهوديّ، أي كخاضع للناموس (الآية ٤) ليفتدي من كانوا مثله، خاضعين للناموس، من هذا الناموس (الآية ٥أ) كاسرًا شوكته، وذلك لأنّه قبل لعنته وجعلها باطلة وفارغة[٢]. وكانت نتيجة هذا أن بدأ الرسل، وهم يهود «اعتقوا» من لعنة الناموس بالمسيح المصلوب، الطريق الذي نادى به إشعياء: فقد حملوا هذا الخبر السارّ، أي «الإنجيل»، إلى كلّ «الأمم» وقدّموا لهم النبوّة الحقيقيّة بهذا المسيح (الآية ٥ب)، كأولاد بلغوا سنّ الرشد. أمّا العلامة على أنّ الأمم صاروا فعلًا «أبناء» فهي أنّهم قبلوا الروح من غير أعمال الناموس[٣]. وأهّلهم هذا الروح أن يقولوا لله **أبًا**، كما قال له ابن الله نفسه، وكما يحقّ لولد حقيقيّ أن يقول (الآية ٦). إذا كان كلّ هذا صحيحًا، فأنتم أيّها الأمم الغلاطيّون، يؤكّد بولس، لستم بعد عبيدًا بل أبناء، وإذا كنتم أبناء فأنتم ورثة شرعيّون (الآية ٧).

---

(١) أنظر ٤:٨-٩.

(٢) أنظر ٣:١٣ وتعليقي في تفسير غلاطية، صفحة ١٢٩-١٣٣.

(٣) ٣:٢،٥.

دعوة بولس إلى الغلاطيّين ألّا يقعوا في الضلال (٤:٨–٢٠)

بما أنّ الناموس الموسويّ والآلهة الوثنيّة كعبد مطلق السيادة، فالغلاطيّون سينتقلون من سلطة سيّد مطلق إلى سلطة سيّد مطلق آخر لو قبلوا الختان واتبعوا وصايا الناموس (الآيات ٨–١٠). في هذه الحال تكون كرازة بولس لهم بالإنجيل، الذي به « ولدهم »[1]، باطلة (الآية ١١).

هذه الفكرة أتاحت له فرصة الاستطراد ومخاطبة قلوبهم. فبما أنّهم وهو « عائلة » فالحبّ هو الذي يسيطر عليهم، وكلّ ما يفعلونه كأولاد لا يمكن أن « يسيء » إليه، لأنّه يحبّهم كأب (الآية ١٢). وذكّرهم بلقائه الأوّل معهم، عندما عاملوه كما يعامل الأولاد أباهم مستقبلين إياه رغم مظهره الذي كان إلى حدّ ما كريهًا ومنفرًا (الآيات ١٣–١٤أ،١٥). وعندما قبلوه بهذه الطريقة قبلوا أيضًا مسيح الإنجيل المصلوب رغم مظهره المنفر على الصليب (الآية ١٤ب). فكيف أصبح فجأة عدوًا لهم (الآية ١٦)؟ السبب الوحيد هو أنّ آخرين يحاولون إغراءهم للابتعاد عنه (الآيتان ١٧–١٨). هذه الفكرة جعلته عاجزًا عن الكلام، كأب يكتب إلى أولاده (الآيتان ١٩–٢٠).

القصّة الكتابيّة لإبراهيم وولديه من امرأتيه (٤:٢١–٣١)

كان بولس بحاجة إلى هذا الإعداد « النفسيّ » ليضع أسس حجّته

(١) أنظر ١ كورنثوس ٤:١٤–١٥.

المعاكسة ضدّ زعم خصومه الأساس بأنّ إنجيله لم يحرّر الغلاطيّين من وضعهم كعبيد[1] ، وكالعادة حجّته مبنيّة على الكتاب ، وتحديدًا على التوراة (الآية ٢١) . ففي التوراة نقرأ أنّه كان لإبراهيم ابنان ، الأوّل من هاجر الجارية ، والثاني بوعد الله من ساره الحرّة (الآيتان ٢٢-٢٣) . إنّ العهد الأوّل المتضمّن في التوراة قد كسره أهل أورشليم ، ونتيجة لذلك سقطوا تحت لعنة السبي والعبوديّة (الآيتان ٢٤-٢٥) ، كما هو مشهود في الأنبياء ، الكتاب الثاني . ويخبرنا هذا الكتاب الثاني أنّه هناك في بابل ، بين « الأمم » ، أعطيت لإسرائيل فرصة ليكون مثل إسحق بدل من أن يكون مثل ابن هاجر . كأولاد للموعد ، يستطيعون أن يختبروا الخلاص من العبوديّة (الآية ٢٧) في أورشليم جديدة تكون كلّها من صنع الله وتاليًا « سماويّة » (الآية ٢٦) . على نحو مماثل نال الغلاطيّون بواسطة إنجيل بولس فرصة ليكونوا أولاد الموعد كما كان إسحق (الآية ٢٨). أمّا المعارضة الحاضرة لبلوغهم الخلاص والحريّة الموعود بها لهم فقد سبق الكتاب وأخبر بها عندما قال إنّ نسل الحرّة (إسحق) سيعاني الاضطهاد على يد نسل الجارية (إسماعيل؛ الآية ٢٩) . في النهاية يقترح الكتاب حلًا لهذه المشكلة : ينصح بأنّ « تطرد » الجارية ونسلها (الآية ٣٠) . بهذا ينصح بولس الغلاطيّين بأن يتبعوا هذه النصيحة ويرفضوا التعامل مع خصومه الذين هم نسل إبراهيم « الجسديّ » . يعزّز بولس هذا التفسير بتأكيده أنّنا « نحن » ، أي الأمم المخاطبّين معه هو اليهوديّ ، كلّنا ، بالطريقة ذاتها أولاد الحرّة لا أولاد الجارية .

---

(١) أنظر صفحة ٥٦.

الحريّة الحقيقيّة الوحيدة هي تلك التي يقدّمها الإنجيل (٥:١-١٥)

هنا يبدأ حضٌّ آخر : صلب المسيح ليمنحنا هذه الحريّة الكاملة ، حريّة أولاد الله بالموعد . لذلك على الغلاطيّين أن يتمسّكوا بحريّتهم وألّا يقعوا في عبوديّة «أخرى» (الآية ١) . إلّا أنّ النصّ يتّخذ نبرة جديدة ؛ مع أنّ بولس توسل إلى الغلاطيّين في ٤:٨-١١ بألّا يستسلموا ، إلّا أنّه يحذّرهم هنا ، بعد أن قدّم لهم كلمة الله بواسطة الكتاب نفسه الذي ظنّ خصومه أنّهم يتحصّنون به ، من العواقب الوخيمة التي قد تتأتّى إذا ما جعلوا أنفسهم يختتنون (الآيات ٢-٤) . ففي المسيح لا فرق بين الختان والقلف . الرجاء الوحيد في بلوغ برّ الله هو الثبات في الإيمان الذي علّمه بولس ، والذي يستدعي محبّة الجميع كإخوة (الآيتان ٥-٦).

بعد أن بدأ الغلاطيّون مسيرتهم على الصراط المستقيم (الآية ٦) ابتعدوا عن الله الذي دعاهم بواسطة إنجيل بولس (الآية ٧) . وسوف يمثل الذين أبعدوهم أمام الله للمحاكمة (الآيتان ٨-٩) ؛ مخادعون هم أولئك الذين ينحطّون إلى درجة إضعاف دوافع بولس (الآية ١٠)[١]. ينهي بولس حديثه بملاحظة ساخرة : إذا كان خصومه يعطون هذه الأهميّة الكبيرة لقطع جزء من اللحم ، فما عليهم إلّا أن يجعلوا أنفسهم خصيانًا ! (الآية ١٢) .

بعد هذه الملاحظة الجانبيّة التي كان القصد منها بعث القلق في

---

(١) أنظر تفسير غلاطية ، صفحة ١٣-١٤، ٢٨١ .

أنفس الغلاطيّين للمرّة الأخيرة ، يستعيد بولس الفكرة التي كان قد بدأ بها وهي محبّة القريب . لم يتحرّر الغلاطيّون من أسيادهم السابقين ليتبعوا شهواتهم ، فالأحرى بهم أن يخضعوا أنفسهم لمشيئة سيّدهم الجديد (الآيتان ١٣–١٤) . ومشيئته أن يحبّوا بعضهم بعضًا بالنسبة إليهم مسألة حياة أو موت . إذا لم يأخذوها على محمل الجدّ فمن الممكن ألّا يكونوا من عداد الذين سوف يدعوهم المسيح إلى ملكوت أبيه (الآية ١٥) .

الروح والجسد (الآيات ١٦–٢٦)

المسيح سيّدهم الجديد . وللسيّد الجديد « ناموس » أو « شريعة » عليهم اتباعها : لا يجدر بهم أن يتبعوا شهوات « أجسادهم » ، أي إنسانيّتهم ، بل مشيئة « روح » الله (الآية ١٦) ، حتّى ولو كانت تخالف مشيئتهم (الآية ١٧) . ألّا يكونوا تحت سلطة الناموس الموسويّ لا يعني أنّهم « أحرار » حتّى من الله (الآية ١٨) . فاتباع أهوائهم الخاصّة سيؤدّي إلى حرمانهم من ميراث الملكوت الذي وعدوا به (الآيات ١٨–٢١). سيرث الملكوت فقط الذين تركوا أنفسهم لقيادة الروح ، فالروح هو الذي يخلق ثمر المحبّة في من كانوا عبيدًا للمسيح المصلوب (الآيات ٢٢–٢٦)[١].

(١) لدراسة أكثر تفصيلًا لهذا المقطع الغني جدًّا انظر في تفسير غلاطية ، صفحة ٢٩٧–٣٠٥.

المحبّة في التطبيق (٦:١–١٠)

حتّى يضع القادة المحبّة المطلوبة قيد التطبيق عليهم أن يعاملوا بلطف الذين في عهدتهم، متذكّرين أنّ ربّ المنزل هو الذي أقامهم، وأنّهم سوف يمثلون أمام سيّدهم الآتي للمحاكمة (الآيات ١–٥)[١]. وعلى الإخوة أن يكرّموا الذين يتعبون في سبيل بنيانهم بالكلمة (الآية ٦). على الكلّ أن يتذكّروا أنّ الربّ آتٍ ليدين الجميع، وأنّ كلا سيحصد ما زرعته يداه (الآيات ٧–٩)؛ فما دام هناك وقت، فليحبّ كلّ واحد الآخرين (الآية ١٠).

كلمة بولس الأخيرة (٦:١٦–١٨)

ختامًا يضع بولس إمضاءه الشخصيّ على الرسالة لكي يعطي الكلمة التي تتضمّنها صفة رسميّة (الآية ١١)، ثم يضيف تحذيرًا آخر. إنّ استعمال خصوم بولس الختان يفرّغ صليب المسيح من معناه بالنسبة إلى الغلاطيّين (الآية ١٢). إنّ أولئك الخصوم يبحثون عن مهتدين لغاية وحيدة أي مجدهم الخاصّ (الآية ١٣). أمّا بولس فيرفض كلّ مجد إلّا ما أعطي بعلامة العار القصوى، أي الصليب، وذلك لأنّ صليب يسوع المسيح، ربّه الجديد (الآية ١٤)، هو الذي حقّق «الخليقة الجديدة»، التي لا فرق فيها بين الختان والقلف (الآية ١٥). هذه هي الشريعة الجديدة «لإسرائيل الله» (ويقصد بهذا التعبير نفسه وكلّ يهوديّ يشاركه في إيمانه) وللأمم الذين معهم؛ على هؤلاء سوف

---

(١) لدراسة أكثر تفصيلًا انظر تعليقي في تفسير غلاطية، صفحة ٣٠٩–٣١٤.

يفيض الله سلامه ورحمته (الآية ١٦). هذه كلمة بولس **الأخيرة** للغلاطيّين (الآية ١٧). على أساسها يطلب أن تغمرهم نعمة المسيح التي في إنجيله هذا (الآية ١٨)[١].

---

(١) ٦:١.

٥

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: مسائل متفرّقة

المراسلات الكورنثيّة

بعد أن بعث بولس برسالته إلى كنائس غلاطية، راحت ترده، وهو في أفسس، أنباء مقلقة حول الكنيسة التي أسّسها في كورنثوس، عن معتقدات وممارسات تناقض الإنجيل البولسيّ وتخالفه. وكانت هذه المعتقدات والممارسات قد ازدادت إلى حدٍّ صار معه وجود الإنجيل في تلك المدينة مهدَّدًا. وكما كان متوقّعًا، بدأ خصوم بولس ينشرون تعليمهم البديل في كورنثوس أيضًا. ورأى بولس أنّ انحلال أهمّ كنيسة أمميّة كان زرعها في قلب عالم «الأمم»[١]، من شأنه أن يضعف، لا بل أن يقضي على كلّ أمل في تبيان مصداقيّة إنجيله. وفهم أنّ الصراع على كورنثوس سيخلق منعطفًا في نضاله مع أورشليم، فلذلك أعطاه اهتمامًا بالغًا نلاحظه في حجم المراسلات الكورنثيّة (٢٩ إصحاحًا)، وفي عدد القضايا المعالجة فيها وتنوّعها.

من الصعوبة أن نتبيّن كيف كان شكل المراسلة الأوّليّ. يبدو أنّ

(١) أنظر الفصل الأوّل.

الرسالتين القانونيّتين، ١ و٢ كورنثوس، كما نعرفهما اليوم، تألّفتا من مجموعة رسائل صغيرة جمعها محرّر لاحق. فهما أطول بكثير من الرسائل الاعتياديّة، وأطول من الرسالة إلى أهل غلاطية، التي تعتبر من الرسائل الطويلة جدًا[١]. لكنّهما، في الوقت ذاته، غير موحّدتين من حيث الموضوع، وذلك بخلاف المحاججة اللاهوتيّة الطويلة التي نجدها، على سبيل المثال، في الرسالة إلى أهل رومية. نجد في هاتين الرسالتين عددًا من مواضيع مختلفة[٢]، التمييز بينهما كالتمييز بين رسائل منفصلة في الأساس. من غير المحتمل أن تكون هذه المواضيع قد طرحت في الوقت ذاته. ومن الصعوبة أيضًا أن نتصوّر أنّ بولس أحجم عن الاهتمام بكلّ قضية مباشرة فور ظهورها تاركًا الأمور تأخذ مجراها في انتظار أن يتراكم عدد كافٍ من المواضيع حتّى يكتب رسالة واحدة يعالجها كلّها فيها. أخيرًا، يجب ألّا نتجاهل الملاحظات التي نجدها في ١ و٢ كورنثوس حيث يأتي بولس على ذكر الرسائل التي كتبها إلى الكورنثيّين[٣]؛ قد لا يشير هذا إلى رسائل ضاعت بل إلى رسائل صارت جزءًا من الرسالتين إلى أهل كورنثوس في شكلهما الحاليّ.

إذا كانت ١ و٢ كورنثوس رسالتين مركّبتين، هل ثمّة هدف تحريريّ

---

(١) سوف نتطرّق إلى الرسالة إلى أهل رومية لاحقًا في هذا الكتاب.

(٢) أنظر ١ كورنثوس ١:١١؛ ١:٥؛ ١:٦، ١٢؛ ١:٧؛ ١:٨؛ ١:٩-٣؛ ١:١٠-٥؛ ١٠:٢٣-٢٥؛ ١١:٢-٥؛ ١١:١٧؛ ١٢:١؛ ١٥:١-٥؛ ١٦:١؛ ٢ كورنثوس ١:١٣-١٦ (قارن مع ١ كورنثوس ١٦:٥)؛ ٢ كورنثوس ٣:١-٣؛ ٨:١ و٩:١؛ ١٠:١-٣.

(٣) ١ كورنثوس ٥:٩؛ ١٦:٣؛ ٢ كورنثوس ٢:٣-٤؛ ٧:٨؛ ١٠:٩-١١.

وراء جمع رسائل متعدّدة في رسالتين ؟ أو أنّ العملية كلّها مصادفة ما الغاية من ورائها إلّا جمع الرسائل المتعدّدة في جزئين متساويين إلى حدّ ما يناسبان حجم الرقّ ؟ الاحتمال الأوّل أكثر ترجيحًا : فالرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس تعالج قضايا متنوّعة تتعلّق بأفكار الكورنثيّين وتصرّفهم في حين أنّ الثانية تدور حول رسوليّة بولس (وإنجيله) . مع أنّه من المستحيل تبيان هذا ، إلّا أنّه ليس غريبًا أن يكون هذا التحرير حصل تحت إشراف بولس في حياته . إذا كان هذا الأمر صحيحًا فمن الأرجح أن يكون تمّ وهو في السجن[1] قبل موته . سوف نتطرّق إلى أسباب هذا المسعى في نهاية المدخل إلى إنجيل مرقس .

صفة ١ و٢ كورنثوس الكتابيّة

في الوقت الحاضر ، من الأهميّة بمكان أن نشير إلى أنّ مضمون كلّ من الرسالتين القانونيّتين ، سواء نظرنا إليهما ككلّ أو كأجزاء ، موجّه ، مثل الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي والرسالة إلى أهل غلاطية ، إلى كلّ جماعة الكورنثيّين من دون تمييز بين قادتها . هذا دليل على أنّ المراد منهما أن تقرآ رسميًّا في اجتماع الكنيسة ، كما يقرأ الكتاب المقدَّس . فالمقصود منهما إذًا أن تكونا ملزمتين كقانون ، كما أنّ قانون الكتاب ملزم . أراد بولس بتفسيره الكتاب – ورسالتاه إلى أهل كورنثوس زاخرتان بالاستشهادات الكتابيّة وبتفسير هذه الاستشهادات[2] – أن يكون ملزمًا **لجميع** الكورنثيّين ؛ لقد أتاهم

(١) في روما أو على الأرجح في أفسس .
(٢) أنظر لاحقًا .

بولس « بإنجيل الله الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدّسة »[(١)] ، ولذلك **كلمة بولس** هي التي تحدّد **علاقتهم** بالإله الكتابيّ - حتّى لو لم تكن هذه الكلمة تحمل السلطة ذاتها بالنسبة إلى آخرين :

« ألست أنا رسولًا ؟ ألست أنا حرًّا ؟ أما رأيت يسوع المسيح ربّنا ؟ ألستم أنتم عملي في الربّ ؟ إن كنت لست رسولًا إلى آخرين فإنّما أنا إليكم رسول لأنّكم أنتم ختم رسالتي في الربّ » (١ كورنثوس ٩:١-٢) .

« أفنبتدئ نمدح أنفسنا ؟ أم لعلّنا نحتاج كقوم رسائل توصية إليكم أو رسائل توصية منكم ؟ أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا ، معروفة ومقروءة من جميع الناس . ظاهرين أنّكم رسالة المسيح مخدومة منا ، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحيّ ، لا في ألواح حجريّة ، بل في ألواح قلب لحميّة » (٢ كورنثوس ٣:١-٣) .

بعد خبرة غلاطية يعطي بولس نفسه ، كما هو بيّن في التحيّة في مستهلّ الرسالتين إلى أهل كورنثوس ، لقب **رسول** للذين يكتب إليهم .

الهرطقة الكورنثيّة

بدت القضايا المطروحة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس غير متّصلة بعضها ببعض ، إلّا أنّ ثمّة فكرة أساسيّة توحّد مجمل النقاش ، ألا وهي ما اتفق على تسميته اليوم « بالأخيريّة المحقّقة » (realized eschatology). لقد أساء الكورنثيّون فهم عطيّة روح الله التي تكلّم

---

(١) رومية ١:١-٢.

عليها بولس . فقد علّم أنّ الأمم ، بما أنّهم نالوا عطيّة الله الأخيرة ، أي الروح القدس ، فهم غير ملزمين باتباع أيّة سلطة متمركزة في أورشليم الأرضيّة ، أو أيّة سلطة « بشريّة » أخرى . كانت لهم حريّة السير في هدى روح الله على الطريق الذي يؤدّي ، في النهاية ، إلى مشاركتهم في استقبال المسيح الآتي بمجده ، ثمّ إلى ميراث ملكوت الله[١] . فظنّ الكورنثيّون أنّ خبرة الروح « المثيرة »[٢] التي اكتسبوها هي العلامة الأكيدة على أنّ ملكوت الله قد أتى فعلًا . لقد أساؤوا تفسير خبرتهم « الروحيّة » فاعتبروها غاية في ذاتها ، وكأنّ بولس لم يحمل إليهم روح الله إلّا ليخلق عندهم « مواهب » روحيّة متنوّعة . ونتيجة لذلك نشأت عندهم أوهام وتخيّلات حول طبيعة روح الله ، واعتبروا أنفسهم « روحيّين » (٣–١) ، و« ناضجين/كاملين » (٦:٢) وأحرارًا من كلّ شيء (٦:١٢؛ ١٠:٢٣) ، وأحرارًا من أيّة سلطة ، حتّى سلطة بولس (٩:١–٣) . كما اعتبروا أنفسهم غير خاضعين لدينونة الله الأخيرة (١١:٢٧–٣٤)[٣] ، ناكرين بهذا مجيء المسيح ، وتاليًا قيامته (١٥:١٢–١٩) .

الكلمة الرسوليّة في كورنثوس كانت دائمًا « المسيّا المصلوب » (١–٢)

بعد التحيّة (١:١–٣) يذكّر بولس الكورنثيّين بأنّ كلمة الإنجيل

(١) أنظر غلاطية ٥:٢١ب – ٦:١٠.
(٢) أنظر ١ كورنثوس ١٢ و١٤.
(٣) هذه الظاهرة سائدة في يومنا هذا ، حتّى في أوساط المسيحيّين الأرثوذكسيّين .

التي حملها إليهم لا تفيد أنّ مجيء يسوع المسيح كربٌ حصل في قيامته. سيتجلّى المسيح كربٌ عند مجيئه بالمجد – وليس قبل ذلك. في ذلك الوقت سوف يكون الله الذي دعا الكورنثيّين والذي لا يزال أمينًا في وعده، **كفيلًا** بأن يشارك الكورنثيّون في موكب الربّ يسوع المسيح (الآيات ٤–٩). إلى ذلك الحين يبقى المسيح الحقيقيّ الذي نعرفه هو المسيح المصلوب، لا الربّ المجيد. فالمسيح المصلوب هو الطريق الوحيد إلى حكمة الله وقوته «لمدعويه» (الآيات ١٨–٢٥)، على الرغم من أنّ اليهود والأمم رفضوه بسبب «جهالته» و«ضعفه» الظاهرين. لذلك يسأل بولس: لماذا يحاول كلّ واحد أن يتحزّب لهذا أو ذاك من القادة المعتبرين ذوي معرفة خاصّة بأمور الله (الآيات ١٠–١٧)؟ ما على الكورنثيّين إلّا أن يتذكّروا من كانوا وكيف كانوا قبل أن يصلهم الإنجيل، ذلك لأنّهم كلّهم كانت تنقصهم الحكمة والقوة والشهامة. على أمثالهم أراد الله أن يغدق الحكمة التي يطلبها اليونانيّون والبرّ الذي يطلبه اليهود (الآيات ٢٦–٣٠).

إنّ الإيمان الذي قبله الكورنثيّون هو حكمة الله التي عبّر عنها في **مسيحه** المصلوب، الذي به سكب **روحه** (٢:١–١٣). وإذا كانوا عاجزين عن فهم عمل الله فلأنّهم ليسوا «روحيّين» و«ناضجين/كاملين» كما يظنّون (الآية ١٤). فالأجدر بهم أن يستمعوا مرّة أخرى إلى بولس «الروحيّ» الحقيقيّ، الذي له فكر المسيح (المصلوب) وهو الآن يدينهم (الآيتان ١٥–١٦).

أمّا تعليمه فيقول إنّ ثمّة مرجعًا واحدًا فقط هو الله نفسه؛ كلّ

المعلمين مجرّد أناس يعملون في حقل الله أو بنائه (٢:١-٩) . **ولكن**، لمّا كان بولس أوّل المرسلين إليهم ، **فتعليمه بطبيعة الحال** مرجع ذو سلطة بالنسبة إليهم (الآيات ١٠-١٥) . هذا بالإضافة إلى أنّ الله هو الذي جعلهم هياكل له مقدّسة (الآية ١٦) ، ولا أحد **فوق** هيكل الله (الآية ١٧) ، بل كلّ كائن ، مهما كانت طبيعته ، باستثناء الله ومسيحه ، **خادم** هيكل الله (الآيات ١٨-٢٣) .

كان الرسل دائمًا خدام « المسيّا المصلوب » (الإصحاح ٤)

إذا كان الله نفسه أعلن ذاته « جاهلًا » و« ضعيفًا » ، فكم بالحري يجدر بخدّامه أن يظهروا الوجه ذاته نحو العالم (الآيات ٦-١٣) ؟ فهم سيمثلون أمامه في الدينونة العتيدة ، التي هي دينونته وحده ؛ إلى ذلك الحين تبقى كلّ دينونة أخرى ، حتّى دينونتهم لأنفسهم ، باطلة (الآيات ١-٥) . فكيف يدّعي الكورنثيّون ، والحال هذه ، أنّ تقويمهم أنفسهم ذو أهمّية ؟ سوف يرسل بولس إليهم ، كأولاد له في الإنجيل ، المثل الوحيد الذي يمكن أن يدينوا أنفسهم به ، عنيت ابنه في الربّ ، تيموثاوس . وتيموثاوس سوف يؤنّبهم بحسب الحاجة بواسطة تعليم بولس (الآيات ١٤-١٧) . في هذا التعليم سيكون بولس معهم بروح الوداعة ؛ ولكن ، عليهم أن يلتفتوا إلى تعليمات تيموثاوس ويذعنوا لأحكامه لئلا يضطر بولس إلى المجيء بنفسه ليدينهم (الآيات ١٨-٢١) « مسلّمًا إياهم إلى الشيطان »[١] .

---

(١) ٥:٥ .

يقصد بولس « بالتسليم إلى الشيطان » أن « يضعهم تحت سيطرة الشيطان » أو « في نطاق الشيطان » . بهذا المعنى يمكننا أن نتكلّم على سيطرة الأمبراطور الرومانيّ وحكمه . كلّ من يعيش ضمن حدود الأمبراطوريّة الرومانيّة هو تحت سيطرة الأمبراطور وحمايته . فإذا قرّر شخص ما الانتقال إلى خارج حدود الأمبراطوريّة ، فهو ينتقل إلى نطاق سلطة أخرى . ينطبق هذا المبدأ عينه اليوم : فعندما ينتقل أحدهم من دولة أو بلد إلى مكان آخر فهو ملزم بسلطة أخرى تحكمه وتحميه . كان بولس يعتبر أنّ الأمم المعمّدين تحت سلطة سيّدهم الجديد (ملكهم ، أمبراطورهم) ، يسوع المسيح ، وحمايته . عندئذٍ عليهم أن يلتزموا قوانينه . أمّا إذا انتهكوا هذه القوانين ، فمصيرهم أن ينفوا من نطاق ملكه ويعودوا إلى نطاق أسيادهم السابقين ، أي آلهتهم (الزائفة) ، التي كان اليهود الموحّدون ، بمن فيهم بولس ، ينظرون إليها كشياطين [١].

أمثلة على « عدم النضج / النقص » (٥–٦:١١)

حتّى يظهر بولس أنّه جدّي في كلامه ، « يحرم » رجلا خاطئًا ، مطلقًا بهذا حكمه ، بطريقة غير مباشرة ، عليهم كلّهم ، هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم « كاملي » الله ، مجيزين لخطيئة كهذه أن تكون في هيكل الله « المقدّس » ، أي في ذواتهم (٤:١–٥) . عليهم أن يتطهّروا قبل الانضمام إلى المائدة الفصحيّة (الآيات ٦–٩) [٢]. أمّا دينونة مَن

(١) أنظر ١٠:١٩–٢١.
(٢) أنظر أيضًا ١١:١٧–٣٤

هم في الخارج فليست من شأن الكورنثيّين ؛ الله نفسه هو الذي سينظر في أمرهم (الآيات ٩-١٣)[١].

ثمّة « نقص » آخر عند الكورنثيّين (٦:١-١١) يكمن في الطريقة التي يرفعون بها شجاراتهم إلى المحكمة الرومانيّة . يسأل بولس : كيف يخضع « قدّيسو » الله ، الذين سيجلسون حول المسيح على عرشه عندما يدين « الأمم » ، لدينونة هذه « الأمم » عينها ؟ هذا التصرّف إنّما هو إعلان انتصار تلك الأمم على المسيح وإلهه . علاوة على ذلك ، لو كان الكورنثيّون حقًّا روحيّين ، لما كانوا اقترفوا أفعالًا تستحقّ النظر فيها من المحكمة الرومانيّة .

الزنى (٦:١٢-٢٠)

« النقص » الأخير هو الأشدّ خطورة ، وذلك لأنّه يسيء فهم الحرّية « الروحيّة » التي منحها الله بيسوع المسيح . فقد كان ثمّة اعتقاد بأنّ المعمّد أصبح « حرًّا » بمعنى مطلق وشامل ، مع أنّ هذا لم يكن ليمارسه الكورنثيّون لأنّ أكثر الأشخاص حرّية في مجتمعهم ، أي المواطن الرومانيّ ، كانت تقيّده قوانين الدولة وأنظمتها[٢]. لا شكّ في أنّ الكورنثيّين في ثورتهم « الروحيّة » ، فسّروا تعليم بولس على أساس

---

(١) ثمّة بون شاسع بين هذا الكلام وبين تصرّف المسيحيّين اليوم : فهم يعلّون من شأن المسيحيّة ويشيرون بالأصابع إلى غير المسيحيّين .

(٢) يبدو أن إساءة الفهم هذه كانت منتشرة في الكنائس البولسيّة ، لكونها كانت تتألّف بمعظمها من العبيد ؛ أنظر غلاطية ٥:١٣-٢٦ وتعليقي عليها في تفسير غلاطية ، صفحة ٢٨٣-٣٠٥. أنظر أيضًا الفصل السابق .

عقليّتهم الأمميّة التي تعتبر الآلهة بشرًا (أو بشرًا خارقين)؛ فأن يصير الواحد قدّيس الله يعني بالنسبة إليهم أن يصير مثل الآلهة اليونانيّة الرومانيّة التي كانت تفعل ما يحلو لها، خصوصًا في ما يتعلّق بالطعام والجنس [١]. بالنسبة إلى بولس الكتابيّ وإلى إنجيله الكتابيّ كانت الموائد الفاسقة مع آلهة أخرى، وعلى رأسها بعل، منتهى الخطيئة ضدّ الله في تثنية الاشتراع والأنبياء [٢]: إنّ التعريف الكتابيّ للخطيئة هو اقتراف الزنى إلى الربّ الإله.

أساس تعليم بولس التصحيحيّ هو أنّ الكورنثيّين قد صاروا أحرارًا من أسيادهم السابقين، أي الآلهة اليونانيّة الرومانيّة [٣]، وذلك لأنّهم اشتروا بثمن (الآية ٢٠أ) فهم الآن ليسوا ملكًا لأنفسهم (الآية ١٩ب) بل لسيّدهم الجديد، الإله الكتابيّ (الآية ١٩أ)، ووظيفتهم كهياكل للروح القدس أن يمجّدوه (الآية ٢٠ب). الله لهم وهم له، فلا يحقّ لهم أن «يزنوا» مع أيّ شخص آخر (الآية ١٣). لقد اشتراهم الله ليجعلهم أعضاء في منزله، أي مشابهين لابنه [٤]؛ وكما أقام ابنه من بين الأموات سوف يقيمهم أيضًا (الآية ١٤). هم ملك المسيح، مدبّر منزل الله، وعليهم أن يطيعوا الأوامر التي يعطيها بالروح [٥]؛ فهم من «الروح» نفسه

(١) كانت الموائد الطقسيّة مرتبطة بعامّة بممارسات عربدة، كالاحتفالات التي كانت تقام تكريمًا للإله ديونيسويس وباخوس.
(٢) أي التاريخ التثنويّ وكتب الأنبياء.
(٣) أنظر غلاطية ٤:٨-٩.
(٤) أنظر غلاطية ٤:٦-٧.
(٥) أنظر غلاطية ٥:٢٤-٢٥.

الذي هو منه (الآية ١٧) . إنّ إهمالهم سيّدهم الجديد ليعبثوا مع أسيادهم السابقين ، إنّما هو زنى (الآيتان ١٥-١٦) ؛ والزنى هو الإهانة الأشدّ لرأس منزل الله . **الخطيئة** (الآية ١٨) التي عقابها الموت بالنفي . والنفي هذه المرّة سيكون مؤبّدًا لأنّ الله سبق وافتداهم من بين «الأمم» وأعدّهم للقيامة بروحه[1] (الآيات ١٤، ١٦، ١٩) .

صعوبات متعلّقة بالحياة الزوجيّة : اختبار مصداقيّة إنجيل بولس

بما أنّ الموافقة على الإنجيل قرار شخصيّ ، فقد قامت صعوبات في وجه مَن كان متزوّجًا أو خاطبًا . ماذا يكون خيار المؤمن في هذه الحالة ؟ قد تبدو المسألة غير ذات أهمّية في نهاية القرن العشرين . لكن ، إذا أخذنا بعين الاعتبار الشدائد والضيقات التي يستتبعها الإيمان بالمسيح في زمن بولس ، ندرك أنّ هذا الأمر مهمّ وصعب . بولس هنا أمام اختبار حقيقيّ لإنجيله ، إذ كان عليه لا أن يجابه الكورنثيّين وخصومه كلًّا على حدة ، بل الجهتين معًا . فقد أعطى خصوم بولس الكورنثيّين مثل عزرا ، وكان الجميع مستعدًّا لاتباعه :

«فلمّا صلى عزرا ، واعترف وهو باكٍ وساقط أمام بيت الله ، اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جدًّا من الرجال والنساء والأولاد لأنّ الشعب بكى بكاءً عظيمًا . وأجاب شكنيا بن يحيئيل من بني عيلام ، وقال لعزرا : إنّنا قد خنّا إلهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض . ولكن الآن يوجد رجاء لإسرائيل في هذا . فلنقطع الآن عهدًا

(١) أنظر حزقيال ٣٧:١-١٤.

مع إلهنا أن نخرج كلّ النساء والذين ولدوا منهنّ حسب مشورة سيّدي والذين يخشون وصية إلهنا ، وليعمل حسب الشريعة . ثم فإنّ عليك الأمر ونحن معك ، تشجّع وافعل . فقام عزرا واستحلف رؤساء الكهنة واللاويّين وكلّ إسرائيل أن يعملوا حسب هذا الأمر فحلفوا . . . كلّ هؤلاء اتخذوا نساء غريبة ومنهنّ نساء قد وضعن بنين » (عزرا ١٠ :١-٥، ٤٤) .

لم يكن بولس ليوافق على هذا الأمر لسببين أساسين :

١) إنّه شرط يهوديّ يشكّل فرضه على المسيحيّين الأمّيّين نوعًا من التهويد ، لا يقلّ خطورةً عن فرض قيود حميّة عليهم . وهو فخّ ماكر نصبه لبولس خصومه المهوّدون [١].

٢) قد يخلق هذا الأمر بلبالًا في كنائس بولس لأنّها قد تمتلئ من أمّيّين مستائين من زوجاتهم ، وأناسٍ قد يستعملون شركتهم في « هيكل الله المقدّس » كعذرٍ على اقترافهم الزنى . أي الخطيئة الأعظم ضدّ قداسة الله !

لا يكون هذا ، قال بولس : لن تستعملوا الإله الكتابيّ ؛ هو سيّدنا ونحن في خدمته . ولدقّة الموضوع يقترح بولس حلولًا ، باذلًا غاية الجهد والعناية (٤٠ آية) .

اللافت في هذا المقطع هي الطريقة التي يكرّر بها نصائحه وأوامره

---

(١) أنظر غلاطية ٢ :١١-١٤.

متوجّهًا إلى النساء والرجال، خصوصًا إذا أخذنا بعين الاعتبار عدد الرسائل التي كان يكتبها لجماعة كورنثوس، مما يحتّم عليه الإيجاز قدر الإمكان. أمّا تصميمه على بذل جهدٍ إضافيّ هنا حتّى ولو اقتضى الأمر بعض التكرار فيعكس موقفه بأنّ المرأة في جماعة المعمّدين – بخلاف الوضع في اليهوديّة وإلى حدّ ما في الأمبراطوريّة الرومانيّة – مساوية للرجل: كلاهما «مقدّس»[1]، وكلاهما عضو في هيكل الله المقدّس»[2].

توجيهات للمتزوّجين ونصائح لغير المتزوّجين (الإصحاح ٧)

على المرء أن يلبث في الوضع الذي كان فيه عندما دعاه الله؛ هذه هي القاعدة في كلّ الكنائس البولسيّة (الآيات ١٧–٢٤). وعليه إذا كان أحدٌ متزوّجًا عند دعوة الله له، فليلبث كذلك (الآيات ١٠–١٣)؛ إنّ قداسة الله، التي ينتمي إليها المؤمن، تتغلّب على نجاسة الآلهة الوثنيّة، التي تتعلّق بها المرأة غير المؤمنة (الآية ١٤). من جهة أخرى، لمّا كان الشريك المؤمن هو الذي نكث بالاتفاق الأساس مع الآخر[3]، فالآخر هو الذي يقرّر ما إذا كان يريد فسخ الزواج، لا المؤمن (الآيتان ١٥–١٦).

«العبوديّة» للمسيح، الذي به اشترينا (الآيتان ٢٢ب – ٢٣)،

(١) ٧:١٤. أنظر لاحقًا التعليق على ١١:٢-١٦.
(٢) ٣:١٧.
(٣) عندما قرّرا أن يتزوجا، كانا كلاهما أمّيّين. لذلك، الشريك المؤمن هو الذي يخلق بلبالًا لأنّه أخضع العائلة لضغط جديد أحاديّ الجانب ومهدّد لحياتها.

ملزمة حتّى ولو قبل الزوجان الإيمان به. كما انّ أزواج العبيد في المنزل الرومانيّ ليسوا أحرارًا، فالرجل والمرأة المؤمنان ليسا حرّين في عمل ما يروق لهما حتّى في الأمور «الروحيّة»؛ زواجهما ملك الربّ الذي يملي عليهما ما ينبغي صنعه حتّى يبقى الزواج سليمًا (الآيات ١-٧).

أمّا المؤمنون غير المتزوّجين فينصحهم بولس بأن يقتدوا به ويبقوا مثله حتّى يتسنّى لهم أن يكرّسوا ذواتهم كاملة لخدمة الربّ (الآيات ٢٥-٣٥؛ ٣٩-٤٠). لا قيمة للعزوبة في ذاتها (الآيتان ٢٧-٢٨أ)؛ إنّها مرتبطة بمجيء الربّ (الآيات ٢٩-٣١). يتأكّد هذا بالطريقة التي يعالج بها بولس الخطوبة (الآيات ٣٦-٣٨).

المسألة المتعلّقة بالطعام المقدّم للأوثان (الإصحاح ٨)

كما هي الحال في الشرق الأدنى القديم، كانت الحياة الاجتماعيّة في الأمبراطوريّة الرومانيّة دينيّة أساسًا، خصوصًا بسبب عبادة الأمبراطور. وكان كلّ تجمّع رسميّ اجتماعيّ يستتبع تقديم الذبائح للآلهة والأمبراطور الذي يجري هذا الحدث برعايته. وكان هناك مؤمنون لا يأبهون لما يحصل، بل كانوا يحضرون هذه التجمّعات، ذلك أنّ «لا إله إلا الله» وأنّ «الأصنام لا وجود لها حقيقيًّا» (الآية ٤). غير أنّ آخرين تمسّكوا بحرفيّة كلام بولس[1]، واستنتجوا أنّ أيّ اشتراك في الاحتفالات الوثنيّة إنّما يعني خيانة الربّ لأجل بعل.

حلُّ هذه المعضلة بالنسبة إلى بولس لا نتوصّل إليه بنقاش فلسفيّ

---

(١) في ٦:١٢-٢٠.

حول ما إذا كانت الأوثان موجودة أم لا ؛ سيكون هذا النقاش سفسطة ، ذلك أنّ أحدًا لا يستطيع أن يثبت « وجود » أشياء غير ملموسة أو يدحضه [١] . السؤال المطروح عند بولس هو كيف يحلّ المعضلة الكورنثيّة . لذلك يلجأ إلى الإله الكتابيّ نفسه الذي لم نكن نعرفه في بادئ الأمر بل كنّا معروفين ومحبوبين منه (الآيات ١-٣) عندما دعانا بواسطة إنجيله . لمّا قبلنا دعوته **صار** إلهنا الوحيد ، وصار مسيحه ربنا الوحيد (الآيات ٤-٦) . لكنّ منزل الله مؤلّف من أناس اشتراهم من العبوديّة بموت مسيحه ، وهو لا يريد أن يخسر أيًّا منهم بسبب استكبار البعض . وهكذا أصدر قانونه للجميع : أحبّوا بعضكم بعضًا [٢] .

غنيّ عن القول إنّ المحبة الحقيقيّة تقتضي اللطف والوداعة (prautes)[٣] من جانب القويّ نحو الضعيف ومن العارف نحو قليل المعرفة[٤] . حتّى ولو كانت هذه المحبّة تستتبع أمورًا يصعب حملها ، كأن يمسك المرء عن أكل اللحوم مقلّصًا حياته « الاجتماعيّة » خارج الكنيسة ، والتي تتطلّب نوعًا من المشاركة في تقدمات الأوثان (الآيات ٧-١٣) .

---

(١) بمعنى ما ، كان وجود الأصنام حقيقيًّا أكثر من وجود الإله الكتابيّ ، ذلك أنّه كان لها شكل ملموس ، إذ كانت تصوّر وتنحت تماثيل « يشار إليها » لكلّ من يسأل عنها .

(٢) أنظر غلاطية ٥:١٣-١٥ و١ كورنثوس ١٣.

(٣) أنظر غلاطية ٥:٢٣.

(٤) أنظر غلاطية ٦:١؛ وأيضًا ١ كورنثوس ٤:٢١.

رسوليّة بولس (الإصحاح ٩)

ترد هنا فقرة تقدّم بولس نفسه كنموذج لتضحية عظيمة كهذه. يقول بولس للكورنثيّين إنّ لا شيء مضمون بالنسبة إليه - فكم بالأحرى بالنسبة إليهم - إلى أن يجيء الربّ ويدين الكلّ على ما إذا كانوا التزموا مشيئة سيّدهم الجديد:

«ألستم تعلمون أنّ الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون ولكنّ واحدًا يأخذ الجعالة؟ هكذا اركضوا لكي تنالوا. وكلّ من يجاهد يضبط نفسه في كلّ شيء. أمّا أولئك فلكي يأخذوا إكليلًا يفنى، وأمّا نحن فإكليلًا لا يفنى. إذًا أنا أركض هكذا كأنّه ليس عن غير يقين هكذا أضارب كأني لا أضرب الهواء. بل أقمع جسدي وأستعبده حتّى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضًا» (الآيات ٢٤-٢٧).

السابقة الكتابيّة (١٠:١-٢٢)

لا فقط كلمة بولس، بل الكتاب أيضًا يقدّم نموذجًا لما هو مطلوب من الكورنثيّين الذين لهم ثقة كذا مقدارها بمعموديّتهم[١] وشركتهم في مائدة الربّ[٢]. فالإسرائيليّون، أسلاف الكورنثيّين الكتابيّون، صاروا شعبًا «بالمعموديّة» وتناولوا «طعامًا سماويًّا»، لكنّهم لم يسلموا من دينونة الله (الآيات ١-١٠). غير أنّهم لم

(١) أنظر ١٠:١-١٧.

(٢) أنظر ١١:١٧-٣٤.

يموتوا كلّهم، الأمر الذي يعني أنّ المراد من الاختبار الإلهيّ ليس تدميرنا بل تشجيعنا على التزام مشيئته طوعًا، رغم أنّ هذا قد يبدو مستحيلًا (الآيات ١١-١٣). ومع أنّ ما فعله عند الخروج، حين أعتق الآباء من العبوديّة، قد بدا مستحيلًا، إلّا أنّه قادر الآن على أن يعيده بإتمامه مهمّة تبدو هي الأخرى مستحيلة، ألا وهي أن يجعل من الكورنثيّين أولادًا له من دون أن يخضعهم لمتطلّبات الختان والناموس.

أمّا في ما يتعلّق بالطعام المقدّم للأوثان فعلينا أن نعي أنّنا، كضيوف، ملزمون بالقواعد التي يضعها المضيف. إذا كانت هذه هي الحال في عشاء الربّ، فهي أيضًا كذلك في الاجتماعات الرومانيّة الرسميّة. هنا أيضًا يقول لنا الكتاب إنّ الله لا يطيق أن يشترك إسرائيل في أكل الذبائح المقدّمة لبعل (الآيات ١٤-٢٢).

كيفية التصرّف على الموائد الخاصّة (١٠:٢٣-١١:١)

إذا كان الله هو المرجع في ما يتعلّق بأكل الذبائح المقدّمة للأوثان، فالقريب هو الذي يجب أخذه بعين الاعتبار من أجل تصرّف لائق على الموائد الخاصّة. يستطيع الكورنثيّون أن يأكلوا كلَّ ما يقدَّم لهم مراعاةً لمضيفيهم؛ وينبغي لهم ألّا يقلقوا، لأنَّ، بالنسبة إليهم، ثمّة إلهًا واحدًا، «له الأرض وكلّ ما فيها» (الآيات ٢٣-٢٧). ولكن، إذا وجد أخ لهم في الإيمان قد يعثر، فالأجدى بهم أن يمسكوا عن أكل اللحم من أجله (الآيات ٢٨-٣٠). حسبهم

في كلّ ما يصنعونه (الآية ٣١)، أن يتشبّهوا ببولس (الآية ٣٣)[١] وأن يكونوا «بلا عثرة لليهود واليونانيّين ولكنيسة الله» (الآية ٣٢).

اجتماعات الكنيسة

كان التحدّي الأكبر لبولس في الدفاع عن إنجيله أن يجعل من اجتماعات المهتدين من الأمم اجتماعات «كنسيّة» منظّمة، يسودها الإله الكتابيّ، على غرار ما كان يحصل في المجامع اليهوديّة. غير أنّ تحقيق ذلك لم يكن بالأمر السهل: فالمجامع وخدمها كانت قد تشكّلت على مدى قرون عدّة ابتداءً من حزقيال في القرن السادس قبل الميلاد. من جهةٍ أخرى، كان المهتدون الكورنثيّون بمعظمهم من العبيد الأميّين الذي تقتصر خبرتهم في الاجتماعات الدينيّة إمّا على احتفالات باخوس الفاسقة والجامحة أو على قتال العبيد في المسارح الرومانيّة. كيف يستطيع بولس أن يقنع «أعمدة» أورشليم بأنّ كنائسه حقًّا «واحدة» مع تلك التي في اليهوديّة إذا أحسّ مؤمن من اليهوديّة، يشارك في اجتماعات الكنيسة البولسيّة، أنّه في مسرح أو في احتفالات باخوس؟ ولمّا كان «وجه» الإله هو الذي تعكسه الاجتماعات التي تقام إكرامًا لهذا الإله، فمن الصعوبة بمكان أن تقنع «أخًا» من اليهوديّة بأنّ إلهه الكتابيّ هو الذي يتمّ تكريمه في اجتماعات كورنثوس غير المنظّمة. بسبب ثورتهم الروحيّة كان الكورنثيّون يثبتون زعم القيادة الأورشليميّة أنّ الأمم لا يمكن اعتبارهم أعضاء كاملين ومتساوين في جماعتهم

---

(١) أنظر أيضًا ١٠:١٩-٢٣.

المسّيانيّة . ولهذا كان على بولس ، مثلما فعل في الإصحاح ٧، أن يحارب تصرف الكورنثيّين على جبهتين .

ملابس النساء في اجتماعات الكنيسة (١١:٢-١٦)

عند بولس لا فرق بين الرجل والمرأة في روح الله القدّوس – قائد الكنائس البولسيّة الفعليّ . ويشهد لهذا عدد كبير من النسوة العاملات معه : « فيبي ، شمّاسة[١] الكنيسة التي في كنخريا . . . أكيلا العاملة معي في المسيح يسوع . . . مريم التي تعبت[٢] لأجلنا كثيرًا . . . تريفينا وتريفوسا التاعبتان[٣] في الربّ » (رومية ١٦:١، ٣، ٦، ١٢)[٤] . لا عجب إذًا أنّ نساءً كنّ من بين أئمة الصلاة والأنبياء في اجتماعات الكنيسة في كورنثوس (١ كورنثوس ١١:٥) . يبدو أنّ بولس كان قادرًا على هذا من دون أن يصطدم بضغوط من أورشليم لإيقاف العمل مع النسوة . أحد الأسباب هو أنّه كان باستطاعته اللجوء إلى سوابق كتابيّة : مريام (خروج ١٥:٢٠) ، وديبوره (قضاة ٤:٤-١٦) ، وخلدة (٢ ملوك ٢٢ك ١٤-٢٠) ، ونوعدية (نحميا ٦:١٤) . وبما أنّ كنيسة أورشليم كانت تعتبر نفسها جماعة الله الأخيريّة ، كان باستطاعة بولس أن يوجّه ضدّها وضدّ « أعمدتها » مختارات من الكتاب تدعم وجهة نظره دعمًا مباشرًا :

(١) في اليونانيّة كلمة واحدة diakonos تنطبق على الجنسين .
(٢) يستعمل بولس الفعل ذاته Kopio في الحديث عن عمله الرسوليّ .
(٣) الفعل ذاته Kopio.
(٤) يتحدّث التقليد اللاحق عن امرأة اسمها تقلا كانت تعمل مع بولس ، وقد عرفت في المسيحيّة الأرثوذكسيّة بلقب eisapostolos (معادلة للرسل) .

« ويكون بعد ذلك أنّي أسكب روحي على كلّ بشرٍ ، فيتنبّأ بنوكم **وبناتكم** ويحلم شيوخكم أحلامًا ويرى شبابكم رؤى . وعلى العبيد أيضًا وعلى **الإماء** أسكب روحي في تلك الأيام » (يوئيل ٢ :٢٨- ٢٩) .

على أيّة حال ، واضح في نقاش بولس في ١ كورنثوس ١١ :٢- ١٦ أنّ هذه المسألة لم تكن مطروحة . كانت المشكلة تتعلّق بحُجُب تلك النسوة . وكالعادة كان الدافع الرئيس لجواب بولس أن يستبق أيّ نقد يأتيه من كنيسة أورشليم قد يقوّض جهوده الرامية إلى الحفاظ على « حرّية » كنائسه .

لكن ، ما هو « الخطر » الحقيقيّ الذي يكمن في أن تؤم الصلاة أو تتنبّأ نساء مكشوفات الرأس ؟ كان شائعًا في تلك الأيام أن تضع النساء ، وخصوصًا المتزوجات منهنّ ، حجبًا على رؤوسهنّ في الأماكن العامة ، وكانت اجتماعات الكنيسة عامّة على نحو بارز[١] . وبسبب نظرتهم إلى « الأخيريّة المحقّقة » أساء الكورنثيّون فهم بولس حين سمح للنساء أن يعلنّ « كلمة الله » النبويّة في اجتماعات الكنيسة ، فظنّوا أنّه ، في الواقع ، يساوي النساءَ كنساء بالرجال كرجال . واعتبروا أنّ هذه المساواة بدورها برهان على أنّ « النهاية » قد أتت . فكان عندهم أنّ إزالة الحجاب عن رأس المرأة إنّما « علامة » على ذلك : إذ تبدو المرأة تمامًا كالرجل . يرى بولس أنّ هذا الموقف يذكّر بمعتقدات الديانة

(١) كانت الكلمة اليونانيّة ekklesia، والتي تترجم إلى « كنيسة » ، عبارة تقنيّة تعني اجتماعًا عامًا للجسم السياسيّ .

السرّية ، حيث لا فرق بين الجنسين في ما يتعلّق بالجماع « السريّ » مع الآلهة . إنّ من شأن فكرة الاتصال المباشر مع الآلهة هذه أن تلغي تلقائيًّا الحاجة إلى المسيح بوصفه وسيطًا بين الله والبشر ، وتاليًا بوصفه رأسًا للكنيسة واحدًا « إلى أن يخضع ذاته لله »[١] . إلى ذلك الحين يبقى المسيح بيننا وبين الله كربٌّ لنا . كان ردُّ بولس أنّ النهاية لم تأتِ بعد ، فلم يتغيّر شيءٌ في المجتمع البشريّ وقواعده ، ولا في نظام الله الطبيعيّ في الخليقة . « التغيير » الوحيد الذي حصل هو أنّ الله أعلن ذاته « جاهلًا » في مسيحه المصلوب . هذه هي العثرة الوحيدة لكلّ من اليهود واليونانيّين ، ولم يكن بولس ليرضى بأن تتصرّف مجموعة من الكورنثيّين المهتاجين « بشكل معثر » و« تسيء لليهود واليونانيّين وكنيسة الله »[٢] حتّى « تعبّر » عن شعورها بالحريّة ! بناء على هذا ، إذا كان لا بدّ من الاحتفال بـ« التغيير » الذي حصل بموت المسيح وقيامته والتعبير عنه ، فهذا ينبغي أن يتمّ بالواسطة عينها التي حملت هذا الاحتفال إلى كورنثوس ، أي بـ« الكلمة » (كلمة الإنجيل) ، التي تأتي الآن أيضًا بواسطة « كلمة » أنبياء الكنيسة (الكلمة النبويّة) ، لا بواسطة شخص النبيّ ، مهما كان جنسه .

إنّ الحلّ الذي ارتآه بولس هو بأنّ يذكّر كلًّ واحد بأن « التغيير » الذي حصل عندما منح الله روحه بالمعموديّة لا يستتبع مساواةً بين الرجل والمرأة (أمام الله) ، أي أنّه لا « يرفع » المرأة إلى مستوى الرجل ؛

---

(١) ١٥:٢٨.

(٢) ١٠:٣٢.

عند بولس هذا « التغيير » يكمن في إزاحة الرجل من مكانه البارز الذي يتمتّع به (كممثّل لله) ، ليشغله الآن المسيح المصلوب ، ربُّ الرجل . بتعبير آخر : يعني هذا « التغيير » « إنزال رتبة » الرجل ليخضع لِمَن احتمل عار الموت على الصليب . هذه هي النقطة التي أراد بولس أن يشدّد عليها وهي واضحة في « التراتبيّة » التي يقدّمها في الآية ٣؛ فهي ليست تصاعديّة (المرأة – الرجل – المسيح – الله) ولا تنازليّة (الله – المسيح – الرجل – المرأة) : « ولكنْ أريد أن تعلموا أنّ رأس كلِّ رجلٍ هو المسيح ، وأمّا رأس المرأة فهو الرجل ، ورأس المسيح هو الله » . وهكذا يريد بولس أن يعرف الكورنثيّون أنّ « رأس كلِّ رجل هو المسيح » ، لا الله نفسه . وبما أنّ المسيح ، لا الرجل ، هو الربّ فكلّ ما يشاؤه ملزمٌ . وإذا شاء أن تتحدّث المرأة « بكلمة الربّ » ، أي **بكلمته هو** ، فهذا سيتمّ . غير أنَّ هذا لا يعني ، ولا بشكل من الأشكال ، أنّ المرأة في ذاتها قد « أتيح » لها أن تتكلّم في اجتماعات الكنيسة . المسيح وحده هو الذي ينطق بكلمته « النبويّة » بواسطة **نبيٍّ** ، لا بواسطة رجل أو امرأة . ليس لكلمة الله « مظهر » يتغيّر . والكلمة النبويّة ينطق بها **من ضمن** النظام المعروف للأشياء . إذا كان التغيير خارجيًّا ، قد يظنّ البعض أنّ تغييرًا ملموسًا قد طرأ في الواقع . في هذه الحالة تكون الكلمة كلمة الشخص « المتغيّر » ، لا كلمة الربّ ، ما لا يتفق وردّة فعل إشعياء : « ويل لي ! إنّي هلكت ، لأنّني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين ، لأنّ عيني قد رأتا الملك ربَّ الجنود ! »[1]، لكي

(١) إشعياء ٦:٥.

يصير هذا الخاطئ نبيًّا لم يتغيّر شخصه أو جنسه ، بل **شفتاه** هما اللتان تطهّرتا حتّى يستطيع النطق بكلمات الله[١] .

يحرص بولس على أن يحافظ على النظام « الاجتماعيّ » (الآيات ٤-٦) و« الطبيعيّ » (الآيات ١٣-١٥) للأشياء من دون تغيير ، لأنّ النهاية لم تأتِ بعد . غير أنّه لا يتوقّف عند هذا الحدّ بل يبني حجّته الأساسية على الكتاب ، مرجعه الإلهيّ ، الذي ينصّ على أنّ المرأة خلقت لأجل الرجل[٢] ، ولهذا عليها أن تتصرّف نحوه كما يتصرّف هو نحو الله (الآيات ٧-٩) . غير أنّ الكتاب يقول أيضًا إنّ « المرأة خلقت من الرجل »[٣] وأنّ « الرجل يولد من المرأة » (الآية ١٢أ)[٤] وأنّ كلاهما[٥] ، في المطاف الأخير ، « من الله » (الآية ١٢ ب)[٦] . هذه الحقيقة هي السبب[٧] الذي يعطيه بولس ليبرّر كيف أنّ الأمور في الربّ لا تستطيع أن تكون إلّا كما يريدها الإله الكتابيّ أن تكون : « ليست المرأة من دون الرجل ، ولا الرجل من دون المرأة » (الآية ١١) ، بل الاثنان مرتبطان بالربّ (الآية ١٢ب) . في كلّ جماعاته

---

(١) إشعياء ٦:٧.

(٢) أنظر تكوين ٢:١٨-٢٣.

(٣) أنظر تكوين ٢:٢٢.

(٤) أنظر تكوين ٣:٢٠.

(٥) أنظر تفسير غلاطية ، صفحة ١٥٨، حيث أفسّر العبارة اليونانيّة (الكلّ) في الآية ١٢، وأرى أنّها تعني « كلاهما » .

(٦) هو الذي صنع (يسار) الرجل (تكوين ٢:٧) ، وبنى (بناه) المرأة (الآية ٢٢) .

(٧) لاحظ استعمال حرف الوصل gar (لأنّه) للربط بين الآية ١٢ والآية ١١.

المسّيانيّة (الآية ١٦) يحكم هذا الإله «بكلمة الربّ» النبويّة.

عدم احترام الربّ على مائدته (١١: ١٧–٣٤).

الأمر الأشدّ خطورة هو التصرّف غير اللائق في عشاء الربّ، الذي يفترض فيه أن يكون مناسبة يجتمع فيها الكورنثيّون ليصيروا جماعة مسيّانيّة واحدة، ممارسة وإيمانًا. لاحظ استعمال بولس عبارات مثل «تجتمعون في الكنيسة» (synerkhomai en ekklesia؛ الآية ١٨)، و«تجتمعون معًا» (synerkhomai epi to avto؛ الآية ٢٠)، وتكرار عبارة «تجتمعون» (synerkhomai؛ الآيات ١٧، ٣٣، ٣٤). ليس المؤمنون أنفسهم بحكم الطبع «كنيسة»، ولكنّهم مدعوون ليجتمعوا ككنيسة. والله دائمًا هو الذي يحدّد هذا الاجتماع: فالدعوة (Kerysso) تحصل بكلمته هو، والمسألة المطروحة تتعلّق بعشائه (الآية ٢٠)، وعشاؤه ليس عشاءً يحمل إليه كلّ من الضيوف ما يتوفّر لديه من طعام (الآيتان ٢١–٢٢)! علينا أن نفهم المشاركة في عشاء الربّ على خلفيّة تقاليد الشرق الأدنى القديم، إذ يتوجّب على الضيف أن يأكل ما يقدّمه له مضيفه، لا أن يجلب معه طعامًا، الأمر الذي يعتبر إهانة للضيف شديدة. والإهانة في حالة عشاء الربّ أشدّ وذلك لأنّ العشاء يتألّف بكامله من «جسده ودمه» (الآيات ٢٣–٢٥)، أي من المسيح نفسه مذبوحًا لأجلنا. إنّ «الإتيان ببعض الحلوى» أو أي طعام آخر يجعل من الاجتماع والعشاء أمرًا يختلف في الأصل عمّا ينبغي أن يكون، أي عشاء محوره الوحيد ذبيحة الربّ. **وإلى أن يأتي** لا يسعنا أن نجعل قيامته محورًا للاجتماع بدلًا من موته من دون أن يحمل هذا

عواقب وخيمة (الآية ٢٦) . وحين يأتي سوف نجتمع حوله قائمًا من بين الأموات ، كما سيشرح بولس في الإصحاح ١٥[١] .

لذلك (الآية ٢٧) ، ليكن تصرّفنا لائقًا في عشاء الربّ . إن هذه الاجتماعات لامتحان لنا (الآيتان ٢٨-٢٩) لمعرفة ما إذا كنّا مدركين أنّ الربّ الجالس على رأس الطاولة هو الذي **سيأتي ليديننا** . إنّها فرصة لنا (الآية ٣١) لنحاكم منه ونعاقب (الآية ٣٠) حتى نتأدّب (paidevthomai؛ الآية ٣٢أ) لكي لا نوجد ، عند مجيئه ، مستحقّين الدينونة (الآية ٣٢) . **لذلك** ، لنتصرّف في هذا العشاء وفق مشيئة المضيف الذي يريد أن نحبّ قريبنا (الآية ٣٣) ؛ إذا لم نفعل هذا سوف ندان لا محالة (الآية ٣٤) !

وعليه نرى أنّ بولس ينظر إلى عشاء الربّ نظرةً تختلف عمّا

(١) تذكر خدمتا يوحنّا الذهبيّ الفم وباسيليوس الكبير « المجيء (مجيء المسيح) الثاني المجيد » ، ولكنّهما لا تشدّدان عليه . **تذكرانه وكأنّه حدث** في وقت واحد مع الآلام ، وذلك **قبل** دعوة الله الآب أن يرسل روحه القدّوس لتكريس العناصر : « ونحن لتذكّرنا هذه الوصيّة الخلاصيّة وكلّ ما جرى من أجلنا ، الصليب والقبر والقيامة ذات الثلاثة الأيام والصعود إلى السماوات والجلوس عن الميامن والمجيء الثاني المجيد أيضًا . . .» (الذهبيّ الفم) ؛ « لذلك ، أيّها السيّد ، إذ نحن متذكّرون آلامه الخلاصيّة ، وصليبه المحيي ، ودفنه ذا الثلاثة الأيام ، وقيامته من بين الأموات ، وصعوده إلى السماء ، وجلوسه عن يمينك أيّها الله الآب ، ومجيئه الثاني المجيد الرهيب . . .» (باسيليوس) . وفي صلاة الشكر **بعد** المناولة يقول الكاهن : « أعطِ يا سيّد الكلّ ، أن تكون لنا المشاركة في دمك وجسدك المقدّسين . . . لإتمام وصاياك ، **وجوابًا مقبولاً لدى منبر مسيحك المرهوب** » (باسيليوس) .

نسمعه اليوم عن أنّ هذا العشاء في الأساس اجتماع لشعب الله ليتمتّع بعطيّته المحيية. لكنّ الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس تصف هذا العشاء بأنّه اجتماع لشعب الله حوله كربّ **جالس على عرشه المجيد** ليحاكم الأشرار الذين في جماعته المسيّانيّة وخارجها ويدينهم[١]. وجهه القاسي إلى الذين هم في الداخل أكثر ممن هم في الخارج[٢] وذلك لأنّ ربوبيّته خفيّة في صليبه، لا يراها إلّا المؤمنون. عند مجيئه، لا قبله، سيكون وجهه القاسي إلى **الجميع**. في ذلك الوقت سوف يتفادى الذين تعلّموا أن يحاكموا أنفسهم على ضوء وصيّته بأن يحبّوا قريبهم المحتاج[٣]، دينونته ويتمتّعوا بالحياة التي وعد بها بموته **من أجل الجميع**.

النقص في الترتيب خلال الاجتماعات بسبب «الروحيّين» (الإصحاحات ١٢-١٤)

أمّا المشكلة الأخرى المهمّة التي كانت تقلق الجماعة الكورنثيّة فهي الخصومة بين من حملوا واحدة من موهبتين روحيّتين كان يعبَّر عنهما علنًا في اجتماعات الكنيسة، عنيت التكلّم بالألسنة والتنبّؤ. وأصحاب الجانبين – وخصوصًا المتكلّمون بالألسنة – كانوا يتصرّفون وكأنّ الروح الذي يوزّع كلّ المواهب «حرٌّ في أن يفعل ما يشاء»، فأطلقوا العنان لأنفسهم. يذكّرهم بولس بأنّ الروح روحُ الله، ولذلك هو ملزمٌ بمشيئة

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثالث، صفحة ٣٩-٤١.

(٢) أنظر ٥:١٢-١٣.

(٣) عن معرفة أو عن غير معرفة (رومية ٢:١٢-١٦؛ أنظر أيضًا متّى ٢٥:٣١-٤٦).

الله بأن يكون كلٌّ شيء لخير الكنيسة العام (pros to sympheron؛ ١٢:٨) ، وخير اجتماعاتها التي يشبّهها بولس بالجسد (الآيتان ١٢-١٣) . يتألّف الجسد من مجموعة أعضاء لا يعمل كلّ منها من أجل ذاته ، بل تعمل كلّها معًا لخير الكلّ ؛ غير أنّ خير الجسد هو الذي يثبت بدوره أنّ كلًّا من أعضائه بخير (الآيات ١٤-٢٦) . وكما أنّ بعض الأعضاء في الجسد أساسية (كالدماغ ، والقلب ، والكبد) في حين أنّ الأعضاء الأخرى مساعدة (الذراعان ، واليدان ، والرجلان والقدمان ، والعينان) ، هكذا أيضًا في جسد المسيح . فالأولويّة معطاة لحاملي المواهب المتعلّقة « بالكلمة » التي تخلق الكنيسة وتثبّتها : الرسل والأنبياء والمعلّمون (الآيات ٢٧-٣١) . لا كنيسة من غير هؤلاء الثلاثة . من ناحية أخرى تستطيع الكنيسة أن تعيش من غير عجائب ، وأشفية ، وألسنة ، وترجمة ألسنة . قبل أن يشرع بولس في عرض حلّه العمليّ للمشكلة في الإصحاح ١٤، يستطرد ليذكّر الجميع بالآتي : إذا كان الجسد البشريّ يصونه اتفاق أعضائه ، فالكنيسة تثبّتها محبّة أعضائها بعضهم لبعض (الإصحاح ١٣) .

بعد هذا الاستطراد يبدأ بولس التشديد على أنّ التنبّؤ ، بشكلٍ عامّ ، أكثر قيمةً من التكلّم بالألسنة (١:١٤) ، وذلك لسبب بسيط وهو أنّ التنبّؤ يبني الكنيسة (الآيتان ٣، ٤ب) ، بينما الألسنة تبني المتكلّم بها فقط (الآيتان ٢،٤أ) . تصير موهبة الألسنة مفيدة في الكنيسة إذا رافقتها موهبة روحيّة أخرى ، هي الترجمة . إنّ كلمات المترجم المفهومة هي التي تبني الكنيسة (الآيات ٥-١٢) . إذا لم يكن ثمّة مترجم ينبغي

منع المتكلّم بالألسنة عن العمل في الاجتماع (الآيات ١٣-١٩) . لكن للألسنة وظيفة إيجابيّة لا تعتمد على الترجمة وهي التأثير في مَن هم في الخارج وجذبهم إلى الاستماع إلى « الكلمة » المفهومة التي يكرز بها في تلك الاجتماعات (الآيات ٢٠-٢٥) .

في هذه الخصومة لا ينحاز بولس إلى أحدٍ . همّه الرئيس بنيان كنيسة المسيح بالكلمة المفهومة . لذلك يستطيع المتكلّم بالألسنة أن يتكلّم ما دام ثمّة مترجم ، ويستطيع النبيّ أن يتكلّم أيضًا . ولكن ، في كلتا الحالتين لا يجوز لأيّ منهما أن « يتباهى » بموهبته على حساب البنيان : على المتكلّمين بالألسنة والأنبياء ألّا يزيد عددهم عن اثنين أو ثلاثة ، وأن يتكلّموا واحدًا واحدًا (الآيات ٢٦-٣١) . ليس التنبّؤ بحدّ ذاته بانيًا للكنيسة لمجرّد أنّه مفهوم : إذ ينبغي أن يخضع مضمون الكلمات النبويّة المنطوق بها لحكم الأنبياء الآخرين (الآية ٣٢) . المطلوب أنّ يسود النظام واللياقة في الاجتماعات ، وذلك لأنّ المراد بها أن تعكس سلام الله الأخيريّ ، الذي سيأتي حين يخضع الكلُّ لحكمه (الآيات ٣٣أ ، و٣٧-٤٠) .

القيامة

تنتهي المناقشة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس بموضوع القيامة ، التي كانت إساءة فهمها التامّة من قبل الكورنثيّين أصل كلّ « أخطائهم » الأخرى . باعتقادهم أنّ قيامة المسيح كانت حدثًا ملموسًا تمّ في زمن « مضى » ، جعلوها شيئًا لا قيمة له إلّا في حياتهم اليوميّة . ونظروا إلى وضعهم « الروحيّ » كنتيجة ، لا بل كهدفٍ رئيس لتلك

القيامة؛ واعتبروا أنّ تحقيق القيامة ومعناها يكمنان في «خبرتهم» الروحيّة. في أحسن الأحوال يمكننا أن نقول إنّ الكورنثيّين جعلوا من يسوع المسيح، عن غير قصد، عبدًا لهم، بينما الصحيح أنّه سيّدهم وربّهم وهم عبيده. أمّا في أسوئها فقد كانوا يفعلون هذا عن قصد.

إنجيل قيامة المسيح (١٥:١–١١)

لا، قال بولس، ليس الكورنثيّون أسياد الموقف على الإطلاق. لم «يختبروا» **قطّ** قيامة المسيح، فكم بالحري نتائج هذه القيامة. ولم «**يروا**» الربّ. إنّ رؤية يسوع القائم ربًّا علامة للرسوليّة[1]. لو رأوه حقًّا، لأصبحوا رسلًا. ولو كانوا رسلًا، لما احتاجوا إلى بولس ليحمل الإنجيل إليهم. الحقيقة أنّهم كانوا أممًا «خطأة» – **نجسين** –، خالين من روح الله **القدّوس** عندما وصل بولس إلى كورنثوس. بولس هو الذي حمل إليهم كلمة الإنجيل التي قبلوها، فنالوا الروح. وما هذا الروح إلّا روح إله بولس الكتابيّ. ولا يفتأ بولس يخبرهم مرّة تلو الأخرى ما هو هذا الروح لأنّهم ماضون في إساءة فهمه. لا يستطيعون **أبدًا** أن يصيروا عارفين في أمور الروح أكثر منه، وذلك لسبب بسيط، وهو أنّ الروح جاءهم مغلّفًا بكلمة بولس الرسوليّة كما بشّرهم بها. وستبقى كلمة بولس كما نقلها إليهم «مدخلهم» إلى ذلك الروح. وسيبقى الإيمان الناتج من هذه الكلمة مرتبطًا بمضمونها. ولذا، الرسول بولس هو الذي يحكم على إيمان

(١) أنظر ٩:١.

الكورنثيّين على ضوء إنجيله، ولا يحكمون هم على إنجيله على ضوء فهمهم له: «وأعرّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه، وبه أيضًا **إن كنتم تذكرون أيّ كلام بشّرتكم به إلّا إذا كنتم قد آمنتم عبثًا**» (الآيتان ١-٢). أضف إلى هذا أنّ الإنجيل الذي سلّمه بولس إلى الكورنثيّين لم يكن فقط من بولس، بل كان رسوليًّا بكلّ ما في الكلمة من معنى: «فسواء أنا أم أولئك، هكذا نكرز وهكذا آمنتم» (الآية ١١).

أمّا مضمون هذا الإنجيل فيصفه بولس في أربع نقاط أساسية في جملة واحدة: «١) المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، ٢) ودفن، ٣) وقام في اليوم الثالث حسب الكتب، ٤) وظهر لصفا» (الآيات ٣-٥أ). نلاحظ هنا أنّ الظهور لصفا (والرسل الآخرين) ليس منفصلًا أو اختياريًّا، لكنّه جزءٌ لا يتجزَّأ من رسالة الإنجيل في ما يختصّ بقيامة المسيح. بتعبير آخر: **لم تكن** هناك قيامة **يليها** ظهورٌ للرسل، كما لو أنّ واحدنا يستطيع أن يختلس نظرة «من وراء ظهر» الرسول ليتأمّل قيامة المسيح مستقلًّا. وللمناسبة ترفض روايات القيامة الموجودة في الكتب الأربعة القانونيّة، التي نسمّيها أناجيل، هذا التصوّر رفضًا قاطعًا وتمنعه: ليس لدينا في هذه الروايات «تقرير» عن كيف حدثت قيامة المسيح؛ كلُّ ما لدينا إنّما هو «ظهور» المسيح القائم لرسله أو تأكيد ظهورات سابقة لآخرين بواسطة ظهورات لاحقة للرسل. بتعبير آخر: لا نستطيع أن نتكلّم على قيامة المسيح إلّا كما علّم الرسل في كلمتهم (كلماتهم) الرسوليّة.

قيامة المسيحيّين من الأموات مقابل قيامة المسيح (الآيات ١٢-٢٨)

لهذا السبب ، في مستهلّ الحديث عن المشكلة الكورنثيّة ، لا يقول بولس « ولكن! ، إن كان المسيح قام من بين الأموات ، فكيف يقول قوم بينكم إنّه ليس قيامة أموات ؟ » بل « ولكنْ ، إن كان المسيح **يكرز به** (Keryssetai hoti) أنَّه قام من بين الأموات ، فكيف يقول قوم بينكم إنّه ليس قيامة أموات ؟ » (الآية ١٢) . الفكرة هنا هي أنّ الذين يكرزون بأنّ المسيح قام من بين الأموات ، والذين على شهادتهم يقوم إيماننا بالقيامة ، هم يقولون إنّ هناك قيامة من بين الأموات . هؤلاء يقدّمون فهمهم قيامة المسيح **على أساس** فهمهم قيامتنا **نحن** من بين الأموات . نتبيّن أنّ هذه كانت وجهة تفكيرهم في ما لا يقلّ عن ثلاث مرّات في سبع آيات (الآيات ١٢-١٩) : « فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام » (الآية ١٣) ؛ « ونوجد نحن أيضًا شهود زور لله لأنّنا شهدنا من جهة الله أنّه أقام المسيح وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون » (الآية ١٥) ؛ « لأنّه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام » (الآية ١٦. بتعبير آخر : إذا كان الكورنثيّون يعتقدون أنّ الحديث عن القيامة من الأموات **يلي** الحديث عن قيامة المسيح ، ففي فكر بولس قيامتنا تأتي أوّلًا . فإذا كانت هناك قيامة من الأموات كما يعلّمنا الكتاب[1] ، « فكيف يقول قوم بينكم إنّه ليس قيامة أموات ؟ » وبما أنّ هناك قيامة من الأموات فالمسيح قد قام ، والرسل يكرزون بأنّه

---

(١) دانيال ١٢:٢.

قام (الآيتان ١٢، ١٤) . ولكن ، إذا كان الإيمان بكلّ من القيامتين لا أساس له ، فالكرازة باطلة وإيمان الكورنثيّين باطلٌ (الآيتان ١٤، ١٧) ، وأهمّ من ذلك الكورنثيّون يلبثون في خطاياهم ، أي يبقون خطأة نجسين (الآية ١٧) . لماذا ؟ لأنّ الإنجيل هو الذي حمل إليهم الروح القدس الذي حوّلهم من « خطأة » إلى قدّيسي الله[1] .

لذلك الأجدر بالكورنثيّين أن يفيقوا ويدركوا أنّ قيامتهم من الأموات لا زالت **أمامهم** ، لا وراءهم . وأنّ يسوع المسيح القائم هو **أمامهم** ، وسوف يأتي ثانيةً في المستقبل ليقوموا هم أيضًا . في معالجتي ١ تسالونيكي ٤:١٣-١٨[2] أشرت إلى أنّ يسوع القائم ظهر لتلاميذه طالبًا منهم أن يعلنوا غلبته حتّى ينضمّ إلى الاحتفال بمجيئه كلّ الذين قبلوا أَخبار نصره السارّة . لذا ينبغي النظر إلى قيامته كعلامة أكيدة على أنّ أتباعه سيشاركون في هذه الغلبة كما أنّ البواكير علامة أكيدة على أنّ نضوج الثمار كلّها قد اقترب (الآية ٢٠) . لا يمكن أن يكون الكورنثيّون اختبروا قيامة يسوع كقيامة لهم ، وذلك لأنّ مصيرهم الموت ، في حين أنّ « المسيح بعد ما أقيم من الأموات لا يموت أيضًا ، لا يسود عليه الموت من بعد »[3] . الموت هو آخر عدو يهزمه (الآية ٢٦) ، وحين يهزمه سيكمل قيامة الكلّ من بين الأموات . تلك هي

---

(١) ١:٢؛ ٣:١٦؛ ٥:١٩؛ ٧:١٤.

(٢) أنظر الفصل الثاني وتفسير الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي ، صفحة ١٦٤-١٧٣.

(٣) رومية ٦:٩.

العلامة الأخيرة على مجيء ملكوت الله (الآيتان ٢٧-٢٨). إلى ذلك الحين يبقى الكورنثيّون مائتين كجيرانهم الأمم الذين أتوا منهم[١]؛ أي أنّهم لا زالوا مائتين كما كانوا قبل أن يصلهم الإنجيل. القائم الوحيد هو مسيح الإنجيل والصورة الوحيدة التي تناسبهم - إلى أن يأتي ثانيةً - هي صورته **ميتًا** على الصليب[٢].

المعموديّة بالنيابة عن الأموات (الآيات ٢٩-٣٤)

بعد ذلك يدعم بولس حجّته مظهرًا كيف أنّ واحدة من ممارسات الكورنثيّين تتعارض مع نظرتهم إلى القيامة: فقد كان بعضهم يمارس المعموديّة بالنيابة عن أناس متوفّين (الآية ٢٩أ). لماذا يفعلون هذا، يسأل بولس، ما دام المؤمنون قائمين «روحيًّا» وما دام لا قيامة للأموات مرجوّة (الآية ٢٩أ)؟ قد نشأت هذه الممارسة عن فهم صحيح، في الأصل، لرسالة بولس: الربّ **آتٍ**، **وستكون** هناك قيامة من بين الأموات، تليها دينونة (الآيات ٣٢ب - ٣٤). من هذا المنطلق خاف بعض الكورنثيّين ألّا يشارك من توفّي من أصدقائهم وأقربائهم غير المعمّدين في موكب استقبال الربّ[٣].

المصطلحات الكتابيّة

بعد أن ثبّت بولس، مرّة ثانية، في أذهان قرّائه، أنّ القيامة من بين

(١) ١ كورنثوس ٦:١١أ.

(٢) ١ كورنثوس ١:٢٣؛ ٢:٢؛ ١١:٢٦. أنظر أيضًا غلاطية ٣:١.

(٣) قارن مع ١ تسالونيكي ٤:١٣-١٨.

الأموات أمر أكيد ينتقل إلى شرح هذه النقطة. حتّى نستطيع اليوم أن نفهم تحليله علينا أن نهرب من السجن الأفلاطونيّ الذي علق فيه فكرنا الدينيّ لقرونٍ، عنيت القول إنّ الكائن البشريّ **مؤلّف** من نفس وجسد، الأولى «إلهيّة» وخالدة، والثاني فاسد وغير قادر على الحياة بعد الموت. هكذا كان الكورنثيّون ينظرون إلى الأمور. يفسّر موقفهم لماذا شوّهوا بهذه السرعة تعليم بولس الأصليّ. «النفس» و«الجسد» تعبيران لغويّان لحقيقة واحدة، هي الكائن البشريّ. في اللغة العربيّة تستعمل عبارتا «النفس» و«الجسد»، للدلالة على الإنسان ككلّ وفي الكتاب يمكن للنفس، تمامًا كالجسد، أن تقطع من الشعب[١] وتموت[٢]. والنفس في العبريّة **نيفيش**، وتعني كما في العربيّة، «النفس»؛ وتشهد أنّ التنفّس العلامة الأفصح على الحياة في الكائن البشريّ.

من الناحية الكتابيّة، يختلف الله، إذا ما قارنته بالبشر، سواء استعملت عبارة «النفس» أو «الجسد»، اختلافًا كليًّا: إنّه **روح** (ريح)، أمّا الإنسان **فبشر** (لحم)[٣]. وبما أنّ عبارة **روح** تعني أيضًا الريح المتحرّك، فقد استعملت منذ القديم في الفكر الدينيّ للإشارة إلى إلهٍ يحدث تأثيرًا، كأن يدمّر كوخًا، أن يقتلع شجرة، أو يرفع الأمواج

---

(١) خروج ١٤:٣١.

(٢) حزقيال ٤:١٨، ٢٠.

(٣) في الكتاب يعني التعبيران **كول نيفيش** (كلّ نفس) **وكول بسار** (كلّ بشر) المعنى ذاته.

من دون أن يُرى . ما يهمّنا في عبارة « **الروح** » الكتابيّة المستعملة للحديث عن الله هو الآتي : وإن كانت الروح قادرة على إفناء كلّ بشر ، إلّا أن كونها ريحًا يجعلها أيضًا « نَفَسًا » ، ولذا تستطيع أن تبثّ « نفس حياة » في البشر[١] . عندما يحصل هذا ، أي عندما ينال الكائن البشريّ الحياة بواسطة موهبة الروح (pnevma) أو بالعلاقة مع عمل الروح ، يمكن لهذا الكائن البشريّ ، في نظر بولس ، أن يدعى « روحًا » (pnevma)[٢] أو كائنًا « روحيًّا » . غير أنّ الكائن البشريّ ، حتّى ولو كان روحيًّا ، لا يستطيع أن يصبح روحًا محييًا كالربّ القائم (الآية ٤٥ب) ؛ يبقى دائمًا روحًا متقبّلًا الحياة . يشكّل الرسول الاستثناء الوحيد على هذه القاعدة ، فهو « بكلمته » الرسوليّة ، **لا بشخصه** ، وجه المسيح القائم إلى المؤمنين ، وهو ، تاليًا ، حامل الروح إليهم .

« طريقة » القيامة من بين الأموات (الآيات ٣٥–٥٨)

ليشرح بولس القيامة للكورنثيّين يلجأ إلى تشبيه من نطاق يعرفه الجميع ، هو الزراعة . فاستعان بظاهرة طبيعيّة هي موت الزرع في الأرض ونموّه . تنطبق هذه الصورة تمامًا على ما يريد أن يشدّد عليه ، ذلك أنّ الجسد بعد الموت يدفن و« يبلى » (الآية ٤٢) في الأرض . فيقول بولس إنّ الزرع « لا يحيا إن لم يمت » (الآية ٣٦) . هذه هي

---

(١) أنظر حزقيال ٣٧:١-١٤.

(٢) رومية ١:٩؛ ٢:٢٩؛ ٧:٦؛ ٨:١٦؛ ١ كورنثوس ٢:١١؛ ٥:٣-٤،٥؛ ٦:١٧؛ ٧:٣٤؛ ١٤:١٤؛ ١٦:١٨؛ ٢ كورنثوس ٢:١٣؛ ٧:١٣؛ غلاطية ٦:١٨؛ فيليبّي ٤:٢٣؛ ١ تسالونيكي ٥:٢٣، فيليمون ٢٥.

فكرة بولس الرئيسة : تحصل القيامة من بين الأموات بعد موتنا لا قبله . وتوضح صورة الزرع الذي يموت ليحيا قوله « بالتشابه رغم اختلاف الشكل » : فالزرع يعطي ثمرًا من جنسه ، لكنّ الثمر لا يشبه الزرع (الآيات ٣٦-٣٨) ، بل له « مظهر » أكثر بهاء و« مجدًا » (الآيات ٣٩-٤١) . هذا هو الفرق بين الجسد الآن وشكله القائم (الآيتان ٤٢-٤٣) : إنّه في الحالتين جسد (soma) ، لكنّه الآن نفسانيّ (psykhikon) ، أي مطبوع بالنفس البشريّة ومحكوم بها (psykhe) . لكنّه سيصبح روحانيًّا (pnevmation) ، أي مطبوعًا بروح الله (pnevma) ومقودًا منه كالربّ القائم (الآية ٤٤) . هذا بالإضافة إلى أنّ هذا الترتيب لا يعكس : كما أنّ الزرع الذي يموت هو القادر أن يعطي ثمرًا ، ينبغي لموت الجسد النفسانيّ (psykhikon) أن يسبق التحوّل إلى جسد « روحانيّ » (الآيات ٤٥-٤٩) . عكس فهم الكورنثيّين هذا الترتيب لأنّهم اعتبروا أنفسهم « روحيّين » قبل أن يختبروا الموت والقيامة - مع أنّهم في طريقهم إلى الموت في يوم من الأيام . يضيف بولس خاتمة يشدّد فيها على أمر في غاية الأهميّة[1] : إذا بقوا « لحمًا ودمًا » (إذا بقيت أجسادهم نفسانيّة) في يوم مجيء الربّ ، لن ينضمّوا إليه ، لأنّ « لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله » (الآية ٥٠) .

ويتابع الموضوع ذاته قائلًا إنّ الفاسد يليه غير الفاسد (الآيتان ٥٢-٥٣) . أمّا الموت فبطبيعته في حقيقة القيامة من الأموات ، ذلك أنّنا « لا

(١) لاحظ السلطة الرسوليّة في : « أقول هذا أيّها الإخوة » (الآية ٥٠أ) .

نرقد كلّنا ، بل كلّنا نتغيّر » (الآية ٥١) . حينئذٍ ستكون قيامة من بين الأموات ، وسيبادر الموت إلى النهاية (الآيات ٥٤-٥٧) . والله سيدين كلّ واحد ، حتّى الكورنثيّين . على الكورنثيّين أن يستعدّوا لهذا ، وليكونوا على ثقة بأنّ كلّ جهد يبذلونه سيذكره الربّ (الآية ٥٨) .

الإصحاح ١٦

تنتهي الرسالة بالإشارة إلى جمع المال من أجل « القدّيسين » الذين في أورشليم (الآيات ١-٤) ، وبعض المعلومات عن سفر بولس وأصحابه (الآيات ٥-١٢) ، وبعض التحيّات (الآيات ١٣-٢٤) ، وأخيرًا بحثّ إضافيّ على التأمّل في مجيء الربّ (الآية ٢٢) .



٦

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

في هذه الرسالة جمع المحرّر رسائل عدّة من بولس موجّهة إلى الكورنثيّين تتناول قضية رسوليّته. تنمّ هذه الرسائل عن موقف دفاعيّ وتؤكّد أنّ هدف خطة خصومه الرئيسة، كما في تسالونيكي وغلاطية، كان التعرّض لسلطته.

بركة بدل الشكر (١:٣-١١)

بما أنّ العلامة التي لا جدال فيها على الرسوليّة، بالنسبة إلى بولس، هي الآلام التي يتكبّدها الرسول لأجل الإنجيل[١]، وبما أنّ هذه الرسالة تعالج، بشكل أساس، مسألة سلطته الرسوليّة، فهو ينتقل فورًا إلى هذا الموضوع في مستهلّ رسالته. فبدل افتتاحيّة الشكر التي اعتدنا عليها في رسائله الأخرى يلجأ بولس إلى بركة ليتورجيّة (« مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح »، الآية ٣أ)، يستعملها لا للإشارة إلى أعمال الله الخلاصيّة العظمى والمجيدة، بل إلى أعمال الله التي تمّت بواسطة ضيقات الرسول وآلامه التي أعلنت فيها تعزية الله الغزيرة[٢]. ليس

(١) ١ تسالونيكي ١:٦.

(٢) لاحظ تكرار فعل parakalo (أعزّي، أواسي؛ ٤ مرّات في الآيتين ٤ و٦) واسم paraklesis (تعزية، مواساة؛ ٦ مرات في الآيات ٣-٧) في هذه الفقرة.

موضوع التعزية بجديد ؛ فهو يعود إلى « إنجيل » إشعياء الثاني الذي يبدأ بهذه الكلمات[١] :

« عزّوا عزّوا شعبي يقول إلهكم ، طيّبوا قلب أورشليم ونادوها بأنّ جهادها قد كمل . . . وذا السيّد الربّ بقوّة يأتي وذراعه تحكم له ؛ هوذا أجرته معه ، وعملته قدّامه . كراع يرعى قطيعه ، بذراعه يجمع الحملان ، وفي حضنه يحملها ، ويقود المرضعات » (إشعياء ٤٠ : ١-٣، ١٠-١١) .

بعد هذه المقدّمة يعود بولس إلى النموذج الذي وضعه في الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي[٢]، داعيًا الكورنثيّين إلى المشاركة في الآلام ، التي من دونها لا تعزية من الإله الحقيقيّ (الآية ٧) ، الإله الذي يقيم من بين الأموات (الآية ٩ب) . ثم يخبرهم بضيق كاد أن يؤدي بحياته في آسيا (الآيتان ٨-٩) ، مشدّدًا على أنّ خبرة النجاة من موت محتّم علّمته أن يقدّم الشكر لله ويتوكّل عليه (الآيتان ١٠-١١) ومع أنّ بولس كان تحت حكم الموت يتوقّع أن يختبره مرّة ثانية في المستقبل ، إلّا أنّه يتكلّم بسلطة ، مستمدًّا إيّاها من مصدرها الوحيد بالنسبة إلى المؤمنين ، عنيت الربّ المصلوب .

السبب الذي دعا بولس إلى تغيير مشاريعه (١: ١٢-٢: ١٣)

بعد ذلك يفسر بولس لماذا أجّل زيارته إلى كورنثوس (١: ١٥-

(١) أنظر فصل « بولس ورسائله ، في خصوص أهمّية كتاب إشعياء بالنسبة إلى فكر بولس وصوغ الإنجيل .

(٢) ١ تسالونيكي ١: ٦.

١٧) . لم يكن السبب تغييرًا في رأيه في ما يختص بالإنجيل ، كأنّ يخاف أن يثبت خطأه في حضور الكنيسة في كورنثوس . كان إنجيله لهم دائمًا هو الآن (الآيات ١٨–٢٠) ، وكذلك فهمه رسوليّته والسلطة التي تمنحه إيّاها هذه الرسوليّة عليهم (الآيتان ٢١–٢٢) . الحقيقة أنّه أجّل زيارته إشفاقًا عليهم (الآيتان ٢٢–٢٣) ، لأنّه ، لو أتى ووجدهم على خطأ ، لكان استعمل « العصا »[١] وسبّب لهم الحزن (الآيات ٢:١–٤) .

ما هي النصيحة التي يقدّمها بولس إليهم إزاء الموقف الصعب الذي هم فيه ؟ بما أنّ بولس يدافع في هذه الرسالة عن إنجيله ورسوليّته ، يتوقّع المرء أن يطلب من الكورنثيّين أن يأخذوا موقفًا معه ضدّ الذين يسبّبون الحزن له (كأن يوجّهوا الإهانة إليهم مثلًا ؛ الآية ٥) . غير أنّه يعلّمهم أنّ الحلّ الأفضل هو في أن يغفروا للمذنبين ويعزّوهم (الآية ٧) ! بهذا يؤكّد الكورنثيّون أنّهم أولاد بولس في إنجيل تعزية الله ، ويهزمون العدو الحقيقيّ ، أي الشيطان (الآيات ٨–١١) .

خدمة العهد الجديد (٢:١٤–٥:١٥)

من خلال كرازته بإنجيل الربّ القائم يبدو الرسول وكأنّه يشارك منذ الآن بموكب الربّ الغالب (٢:١٤) . وبما أنّ الربّ الغالب آتٍ ليدين ، فالحدث ذاته سوف يستقبله المخلّصون عطيّةَ حياةٍ والهالكون موتًا عتيدًا (الآيات ١٤–١٦)[٢] .

(١) ١ كورنثوس ٤:٢١.

(٢) قارن مع ١ كورنثوس ١:٢٢–٢٣. أنظر أيضًا ٢ تسالونيكي ٢:٩–١٥.

بولس رسول حقيقيّ (الآية ١٧) . ولذلك لا حاجة له إلى مديح من الكورنثيّين، الذين، لمجرّد كونهم مؤمنين، هم رسالة توصية له (٣:١-٣) . ولأنّه رسول حقيقيّ فهو خادم العهد الجديد الذي يتحدّث عنه إرميا[1]، العهد الذي يحمل موهبة روح الله كما يصفها حزقيال[2] (الآيات ٤-٦) . في حين أنّ إسرائيل الكتابيّ كان له الناموس الموسويّ في أرض كنعان، وهناك خالفه فعوقب بالنفي والموت، ففي أرض النفي، بين الأمم، نال إسرائيل الكتابيّ نفسه العهد الجديد بواسطة الروح، وناموس الروح هذا مكتوب على القلب، وهو لذلك لا يمكن خرقه . وهذا ما ناله معاصرو بولس اليهود في إنجيله . رفضهم له برقع على أذهانهم، لا يرفعه إلّا الروح كما هو معلن في إنجيل بولس (الآيات ٧-١٨) .

إنّ مجد الله الحقيقيّ يعكسه وجه المسيح المصلوب، مضمون هذا الإنجيل (٤:١-٦) . وعليه فإنّ الرسول الحقيقيّ يعكس هذا المسيح نفسه، وهذا ما كان بولس يفعله في خدمته اليوميّة[3]: فقد كان «يسلم إلى الموت» كلّ يوم ليكون لسامعيه ملء الحياة (الآيات ٧-١٢) عند مجيء الربّ (الآيات ١٣-١٥) الذي سيكشف مجد الله الذي لم يره أحد بعد (الآيات ١٦-١٨). حتّى ذلك الوقت ما على المؤمنين إلّا أن ينتظروا (٥:١-٤)، ويشغلوا أنفسهم دائمًا بإرضاء الله

(١) ٣١:٣١-٣٤.
(٢) ١١:١٩-٢٠؛ ٣٦:٢٦-٢٧.
(٣) أنظر ١:٨-١١.

الذي سيدينهم (الآيات ٦-١٠) . أمّا الرسول فملزم بمسؤوليّته أكثر من أيّ شخص آخر ، ذلك لأنّ من واجبه المناداة بالإنجيل للآخرين (الآيات ١١-١٥) .

توسّل الرسول (١٦:٥-١٦:٧)

بعد أن أعاد تثبيت صلاحيّة رسوليّته ، وتاليًا سلطته ، في أذهان الكورنثيّين يتوسل بولس إليهم أن يتقيّدوا بمبادئ الإنجيل الذي علّمهم إيّاه . عليهم ، قبل كلّ شيء ، أن ينظروا إلى المسيح من منظور الروح ، لا الجسد : فأعضاء الجماعة المسّيانيّة « خليقة جديدة » (الآيتان ١٦-١٧) ، غير ملزمة بالتمييز « الجسديّ » بين الختان والقلف[١] . والمسيح نفسه غير ملزم إلّا بالإله الكتابيّ الذي أقامه من بين الأموات باكورة للقائمين . ومن خلاله سوف يثبّت الله مملكته العالميّة - التي ستضمّ الأمم واليهود . وعلى هذا النحو ينبغي للكورنثيّين أن يلتزموا هذا الإله عينه ، لا « الأعمدة » ، أقرباء يسوع « الجسديّين » الذين يقودون كنيسة أورشليم . صالح المسيحُ العالم كلّه ، والبشر **كلّهم** ، يهودًا وأممًا ، مع الله (الآيات ١٨-٢٠) ؛ **الخطأة** هم الطبقة الوحيدة التي لا تزال بحاجة إلى المصالحة . والحقيقة أنّ المسيح الذي كُرز به في الإنجيل « كلمةَ مصالحةٍ » (الآية ١٩) صُلِبَ وبصلبه ظهر وكأنّه هو المذنب ، الخاطئ (الآية ٢١أ) ، مع أنّه لم يقترف خطيئة ، وذلك لأنّه كان مسيح الله ، و« قدّوس » الله . ولمّا كان برّ الله يظهر ، كلّ مرّة يعاقَب

(١) أنظر غلاطية ٦:٥ و٦:١٥.

فيها خاطئ، من خلال تحقيق هذا العقاب «البارّ»، فالذين قبلوا «الكلمة» التي تعزّز هذه الحقيقة، هم شهود لهذا البرّ وعلامات عليه (الآية ٢١ ب). وعلى هؤلاء أن يكونوا نذيري هذه المصالحة مثل الرسول الذي حملها إليهم (٦:١-١٠). تعزيته الحقيقيّة وسلوانه في ألّا يحيدوا عن طريق المصالحة بأن يغفروا للذي أهان بولس (٧:٢-١٣أ). هذا الأمر في غاية الأهميّة. لذلك سوف يبعث تيطس ليتأكّد أنّهم سيحترمون هذا التوجيه الرسوليّ (الآيات ١٣ب - ١٦).

الرسوليّة الحقّ واختبارها (١:١٠-١٢:١٠)

في الإصحاحين ٨ و٩ يطلب بولس من الكورنثيّين أن يشاركوا في جمع المال لأورشليم، الذي يريد به دعوة أخيرة للقادة هناك بأن يصادقوا على إنجيله ويشاركوا في ملكوت الله. يلي هذا دفاع مستفيض، لا بل شرح ماهيّة الرسوليّة الحقّ بشكل عامّ. أوّلًا، يذكّر بولس الكورنثيّين (١:١٠-١١) ومن خلالهم خصومه (الآية ١٢)، بأن يميّز بين إهانة شخصيّة كالتي تحدّثت عنها في الإصحاحات ١-٧، وإهانة ضدّه **كرسول**. في الحالة الأخيرة الإنجيل ذاته مهدّد ولذلك **عليه** أن يدافع عن كرامة الربّ الذي انتدبه:

«لأننا، وإن كنّا نسلك في الجسد، لسنا حسب الجسد نحارب. إذ أسلحة محاربتنا ليست جسديّة بل قادرة بالله على هدم الحصون. هادمين ظنونًا وكلّ علوّ يرتفع ضدّ الله ومستأسرين كلّ فكر إلى طاعة المسيح، ومستعدّين لأن ننتقم على كلّ عصيان متى كملت طاعتكم» (٣:١٠-٦).

وإذا كان سيفتخر، فليكن معروفًا أنّه يفتخر «في الربّ»، ضمن الحدود المرسومة له من الربّ نفسه، أي ضمن الكنائس التي أسّسها هو بالإنجيل. فهو لا يتدخّل في أتعاب الآخرين، الأمر الذي قد يهدّد سلام الجماعة الثابتة (الآيات ١٣-١٨). لكنّه يدافع عن سلام جماعاته، ويرجو أن يراهم ينمون بأنفسهم وبجهوده المستمرّة: «راجين إذا ما نما إيمانكم أن نتعظّم بينكم حسب قانوننا بزيادة، لنبشّر إلى ما وراءكم» (الآيتان ١٥ب-١٦أ). هذا تذكير للكورنثيّين بأنّه عليهم أن يتمسّكوا ببولس وبإنجيله ويرذلوا الدخلاء.

قبل أن يبدأ «بالافتخار» يعيّر بولس الكورنثيّين كاشفًا «زناهم»: فقد ضلّوا وراء دخلاء زائفين (الآية ١-٦). وظنّوا أنّ وداعة بولس ولطفه تعبيران عن قيمة له أدنى، بينما هاتان الميزتان، في الحقيقة نابعتان من محبّته لهم (الآيات ٧-١١). ولكي يقنعهم بوجهة نظره مرّة وإلى الأبد يتّهم خصومه علنًا بأنّهم «خدّام الشيطان»، ألدّ أعداء إنجيل المسيح[١] (الآيات ١٢-١٥).

ثم يأتي «الافتخار». فهو لا يدّعي بأنّه رسول حقيقيّ فحسب، بل بأنّه أفضل من بني جنسه. وكبرهان على هذا يعدّد المخاطر والصعاب بدل الإنجازات التي حقّقها من أجل الإنجيل (الآيات ١٦-٣٣). ليست هذه المقاربة بالنسبة إلى بولس صورة أدبية ليليّن الكورنثيّين، بل نتيجة منطقيّة لإنجيله. إلى أن يأتي يسوع المسيح يبقى هو ربًّا مصلوبًا؛ هكذا رآه من شاهده للمرّة الأخيرة. وأنّه ظهر لرسله

(١) أنظر ١ كورنثوس ٧:٥؛ ٢ كورنثوس ٢:١١؛ ١ تسالونيكي ٢:١٨.

كقائم من بين الأموات ليبثّ فيهم الجرأة على إتمام رسالتهم، إلّا أنّ المضمون الحقيقيّ للإنجيل الذي عليهم أن يقدّموه كخدام أمينين، **إلى أن يأتي**، هو المناداة به مسيحًا مصلوبًا. على كلّ مَن يؤمن به أن يقبل صورته هذه. وهكذا كلّما انعكس هذا الضعف المخزي في حياة تابع المسيح كلّما كان هذا التابع خادمًا أمينًا، أو هكذا يبدو على الأقلّ. أمّا إذا كان هذا التابع رسولًا، فالضعف الذي ينعكس في حياته، يظهره رسولًا أفضل وأعظم. إنّ الفرق بين أن يكون المرء حقًّا أمينًا أو عظيمًا وبين أن يبدو هكذا لا يؤثّر في حجّة بولس، ذلك أنّ هذه الحجّة موجّهة إلى مشاعر الكورنثيّين بقصد إظهار «غباوة» تهجّمات خصومه عليه (الآيات ١٦-٢١).

المهمّ هو ما يحصل **أمام الربّ نفسه**. ولهذا، بعد أن استطرد في موضوع «الافتخار الغبيّ» يشير بولس إلى ما يحصل بينه كعبدٍ / خادمٍ وبين المسيح كربٍّ / سيّدٍ. بما أنّ الكورنثيّين سيتأثّرون بالخبرات الزاهية[١]، فلا بدّ من أنّ الخصوم حاولوا التأثير فيهم بافتخارهم «برؤاهم وكشوفاتهم» الخاصّة. وكما فعل بخصوص التكلّم بألسنة[٢]، يخبرهم بولس هنا أنّ عنده أيضًا خبرات كهذه (١٢:١-٦). لكنّه يضيف مباشرةً بعد ذلك: «لئلا أرتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع» (الآية ٧). قرّر ربّه أن يبقيه تحت سيطرته حتّى يعرف الجميع

---

(١) أنظر ١ كورنثوس ١٢ و١٤.

(٢) ١ كورنثوس ١٤:١٨.

أنّ كلّ قوّة تفيض بواسطة بولس إنما هي قوّى الربّ نفسه؛ والطريقة الأسهل لضمان هذا هي بأن يبقى بولس ضعيفًا ويبدو ضعيفًا في كلّ وقت (الآيات ٨–١٠).

تحذير أخير صارم قبل زيارة بولس المقبلة (١٢:١١–١٣:١٤)

لكي يعدّ بولس الكورنثيّين لمجيئه «بالعصا»، يذكّرهم مرّة أخرى بالمعنى الحقيقيّ لتصرّفه اللطيف نحوهم (١٢:١١–١٨). ثم يشير إلى أنّه لا يمكن أن يهينه أحدٌ في كورنثوس، وذلك لأنّه رسول تلك الكنيسة، وبالرسول يليق الشرف والاحترام. سيّده هو الذي يلبسه ثوب الإهانة إذا ما وجده غير أمين، وسيوجد غير أمين كرسول إذا ما انتهى به الأمر بكنيسة واحدة «خاطئة» في كورنثوس. وهكذا يقول لهم متهكّمًا إنّهم، لو أرادوا المضي في إذلاله، ما عليهم إلّا المثابرة على تصرّفهم الشرير (الآيات ١٩–٢٤)! غير أنّ إذلالهم له بهذه الطريقة سيكلّفهم ملكوت الله.

وعلى النحو ذاته يهدّدهم بضعفه! إذ فيه تكمن، في المطاف الأخير، كلّ قوّةٍ. فكما استعلنت قوّة الله في ضعف المسيح على الصّليب ستعمل قوّة الربّ وسلطته في كورنثوس من خلال ضعف بولس (١٣:١–٥). هنا أيضًا نجد برهانًا صارخًا على أنّ الحقيقة الوحيدة لقوّة الله في المسيح تكمن حصرًا، في **كلمة** الرسول، التي تنقل ضعف المسيح المصلوب.

كلّا ، لم يفشل بولس ، وذلك بالتحديد لأنّه ضعيف . لن تكون زيارته اختبارًا له ، بل لهم . والأجدر بهم أن يأخذوا هذا الاختبار على محمل الجدّ (الآيات ٥-٩) ، «[لأنّي] أكتب بهذا وأنا غائب لكي لا أستعمل جزمًا وأنا حاضر حسب السلطان الذي أعطاني إيّاه الربّ للبنيان لا للهدم »(الآية ١٠) . لا يريد بولس أن يهدم إلّا إذا أضطر إلى ذلك لأجل الخلاص[1] . إلى أن يلتقوا يصلّي لأن يجدوا الحياة في محبّة الله وسلامه (الآية ١١) .

---

(١) قارن مع ١ كورنثوس ٥:١-٥.

٧

الرسالة إلى أهل رومية

بعد أن جمع بولس التبرّعات من كلّ كنائسه ، رأى أن يصعد إلى أورشليم حاملًا الأموال « كتقدمات من الأمم » للمخلّص ، ربّ صهيون . غير أنّ مشكلته الوحيدة كانت « الأعمدة » الذين قد يرفضون هديّته ، مظهرين بهذا اختلافهم معه في شأن الإنجيل ، ومقوّضين إيّاه ، بتقدير بولس ، بإساءة استعمالهم له[١] . وبما أنّه سبق لهم أن رفضوا مرّةً ، فلبولس الحق أن يتوقّع أن يقوموا بذلك مرّة ثانية . ولكن ، ما علاقة هذا الرفض به شخصيًّا ؟ كان بولس يعرف أنّه على حقّ ، وأنّهم الخاسرون إذا رفضوا . وكان سيتابع عمله بين الأمم ، الذين سيفوق عددهم عدد المؤمنين من اليهود . ومع أنّ هذا التفكير بدا صحيحًا ، إلّا أنّه ينطلق من فرضيّة خاطئة تتعلّق بازدياد هذه الأعداد في زمن بولس . لقد اعتدنا أن ننظر إلى بولس كإسكندر كبير دينيّ ، وكصليبيّ فتح العالم في سبيل قضية المسيح . لكنّ « جهالة » إنجيله لم تجذب على الفور حشودًا كبيرة ، والعدد الحقيقيّ للمهتدين في زمنه كان متواضعًا ، لا يذكر[٢] . لذلك لم يكن بولس يتصوّر بسهولة أنّ المسيحيّين الذين من الأمم سيفوقون المسيحيّين اليهود عددًا .

---

(١) أنظر غلاطية ١:٧.

(٢) أنظر ١ كورنثوس ٢٢:٩ ورومية ١٤:١١.

لمّا كان بولس رسول الأمم الوحيد الذي مكانته كمكانة «الأعمدة»، كان دائمًا يخاف من ألَّا تحظى كنائسه الضئيلة العدد، بعد موته، بالدعم الكافي للمضي في خطّ الإنجيل، وأن يغمرها تعليم خصومه، أو أن تضمحلّ. فبدأ يعدّ لموته بانيًا كنائسه حول مجموعتين من القراءات (الكتابيّة): الكتاب نفسه، أي التوراة والأنبياء والكتب، ورسائله الخاصة من حيث هي تفسير رسميّ للكتاب[١]. ففكّر في أن يصيب عصفورين بحجر واحد: إقناع «الأعمدة» بصحّة إنجيله على أساس كلمة الله في الكتاب، وفي الوقت ذاته، ترْكُ تفسير الكتاب هذا «قراءة» لكنائسه. وإذا فشل عمله التفسيريّ في إقناع الأعمدة، إلَّا أنّه يقود كنائسه في الطريق الصحيح. يفسّر هذا، للمناسبة، شكل البحث الذي تتّخذه الرسالة إلى أهل رومية.

ولكن، لماذا الكتابة إلى الجماعة التي في روما؟ لم تكن كنيسته ولم يزرها أبدًا. أضف إلى هذا أنّه بالتوجّه إليها بسلطة يكسر القاعدة التي وضعها لنفسه بألَّا يعمل في حقل آخرين في ما يتعلّق بالكرازة بالإنجيل. الحقيقة أنّ بولس قرّر الكتابة للجماعة الرومانيّة بالضبط **لأنّها** لم تكن كنيسته. كانت هذه الكنيسة تضمّ يهودًا ويونانيّين. ورغم بعض التوتّر الداخليّ كانت قادرة على تدبّر هذه الازدواجيّة من دون تدخّل بولس المباشر. فكانت بهذا برهانًا حيًّا على أنّ إنجيله قابل للتطبيق بذاته. وهي قادرة على أن تكون مثلًا يدحض نقد أورشليم وتهجّمات الخصوم. وكانت روما، علاوة على هذا، تقع في قلب الأمبراطوريّة الرومانيّة.

---

(١) أنظر صفحة ٧٩–٨٠؛ ٦٠–٦٢؛ ٨٣–٨٤.

وموقعها هذا يؤهّلها لأن تكون دليلًا ساطعًا على أنّ إنجيله قابل للتطبيق ، هذا إذا لم نقل إنّها الدليل الأكثر موثوقيّة بالنسبة إلى مضمون الإنجيل . أخيرًا وليس آخرًا ، باستطاعة بولس ، إذا وافقت كنيسة روما على إنجيله ، أن يستعمل روما كمركز لعمله في القسم الغربيّ من الأمبراطوريّة ، كما كانت أفسس بالنسبة إلى الشرق ؛ والحقيقة أنّ بولس ، بعد « أن أكمل التبشير بالإنجيل » في القسم الشرقيّ من الأمبراطوريّة (رومية ١٥ : ١٩) ، كان مزمعًا على التوجّه غربًا (الآية ٢٨) .

بولس والكتاب

قبل البدء بإلقاء نظرةٍ عامّة على الرسالة إلى أهل رومية ، أودّ ، مرّة أخرى ، أن أكرّر ما يغفل عنه غالبًا علماء الكتاب المقدّس وكثير من المؤمنين الأرثوذكسيّين وغير الأرثوذكسيّين . ليس الله ، بالنسبة إلى بولس ، إلّا ذلك الإله « المقونن » في الكتاب ، أي المتضمَّن في كلماته ، أو الذي تصفه هذه الكلمات ، وهو لا يختلف عن الطريقة التي يظهر بها فيه . كما أنّه ليس هناك ، بالنسبة إلى بولس ، « خبرة » لله مستقلّة عن الكتاب ؛ هذا يعني أنّه يمكن أن تكون لشخص ما خبرة الإله الكتابيّ ، لكنّ هذه الخبرة ينبغي التحقّق منها بفحصها والحكم عليها بناءً على الكتاب الذي هو « إعلان » الله كما أراد **هو** أن يعلن نفسه . من هنا بولس ، سواء أكان يناقش مصداقيّة إنجيله في الرسالة إلى أهل غلاطية ، أو يبني الكورنثيّين ليعيشوا بحسب مشيئة الله ، أو يفسّر تدبير الله (oikonomia) للرومانيّين ، ومن خلالهم لأورشليم ، يستشهد بالكتاب المقدّس أساسًا لكلّ ما يقوله . لاحظ كثافة استعمال

الاستشهادات والإشارات الكتابيّة في الرسالتين إلى غلاطية ورومية بشكل خاصّ. كلّما تحدّثنا عن فكر بولس في ما يتعلّق بأمر من الأمور فإنّما نحن نتحدّث عن تفسيره الكتاب وشرحه ما يقول في هذا الأمر. هذا ما علينا أن نضعه نصب عينينا عندما نقرأ الرسالة إلى أهل رومية، التي هي، بكلمات بولس، شرح «إنجيل الله الذي الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدّسة، عن ابنه . . . يسوع المسيح ربنا الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمةً ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم» (١:١–٥).

التحيّة (١:٨–١٥)

بما أنّ الرومانيّين لم يتقبّلوا الإنجيل من بولس، فهو لا يعتبر نفسه رسولهم. لهذا، ورغم أنّه يعلن أنّه رسول في مطلع رسالته، يقدّم نفسه بلطفٍ قائلًا إنّه والرومانيّين سيستفيدون بعضهم من بعض عندما يلتقون (الآية ١٢). ولكون روما تقع في قلب العالم الأمميّ الذي هو رسوله، فالكنيسة الرومانيّة واقعةٌ في نطاق عمله (الآيتان ٥–٦)، وهو مؤهَّل، على هذا الأساس، «ليمنحكم هبة روحيّة لثباتكم» (الآية ١١). ولكي يتأكّد أنّهم لن يسيئوا فهمه ويعتبروا أنّه يتدخّل في شؤونهم يذكر مباشرةً السبب الذي دعاه إلى الكتابة إليهم:

«ثمّ لست أريد أن تجهلوا أيّها الإخوة أنني مرارًا كثيرة قصدت أن آتي إليكم، ومنعت حتى الآن، ليكون لي ثمر فيكم أيضًا كما في سائر الأمم. **إنّي مديون** لليونانيّين والبرابرة، للحكماء والجهلاء. فهكذا ما هو لي مستعدّ لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضًا» (الآيات ١٣–١٥).

طرح الرسالة (الآيتان ١٦-١٧)

« لأنّي لست أستحي بإنجيل المسيح لأنّه قوّة الله للخلاص لكلّ مَن يؤمن ، لليهوديّ أوّلًا ثمّ لليونانيّ . لأنّ فيه معلَن برُّ الله كما هو مكتوب : أمّا البارّ فبالإيمان يحيا » .

يعتبر هذا القول ، على اختصاره اللافت ، من بين أقوال الكتاب المقدّس المتعدّدة الوجوه . فالقوّة والخلاص والإنجيل / الأخبار السارّة من المصطلحات الملكيّة الرومانيّة البارزة : فالأمبراطور هو القوّة الإلهيّة (dynamis) التي تضمن الخلاص (soteria) لرعاياه ؛ من هنا اعتلاؤه العرش وحتّى ميلاده[1] كانا يعتبران خبرًا سارًّا (evengelion) . يطلب بولس من مواطني روما ، مدينة الأمبراطور ، أن يستعدّوا للشهادة لأنّ ربّهم الذي منحهم الخلاص بقوّته هو ذاك اليهوديّ الذي صلبته السلطات الرومانيّة . ولهذا السبب سوف يعيَّرون ، الأمر الذي سيكون في غاية الصعوبة عليهم ، خصوصًا على مَن كان منهم مواطنًا حرًّا أو محرَّرًا . فلكي يمنع أيّة ردّة فعل من جهتهم يستهلّ بولس - وهو مواطن رومانيّ - كلامه بالقول : « لا أستحي بالإنجيل » (١:١٦أ) .

لا سبيل آخر أمام المؤمنين الذين لا يستطيعون أن يضمنوا لأنفسهم برًّا محييًا إلّا بالإيمان بمسيح الإنجيل المصلوب (الآية ١٧) . ولا يضلّنّ أحدٌ بسبب دفاع بولس المعروف عن المهتدين من الأمم : فالأوّلون في

(١) كان ينظر إلى هذين الحدثين كظهور للأمبراطور (الإلهيّ) .

البرّ هم اليهود الذين في ناموسهم وعدُ برِّ الله[١] . ثم يأتي الأمم (الآية ١٦ب) ، وذلك لأنّ البرّ أُعلنَ في إنجيل « العار » (إنجيل الصليب) لا في ختان « العار »[٢] . غير أنّ أولويّة اليهوديّ لا تسمح له بأن يهمل عار الصليب لصالح عار أقلّ هو عار الختان . وقد كان عار الختان بالفعل أقلّ وطأة : رغم أنّ الأمم الرّومانيّين كانوا يرون في الديانة اليهوديّة نواقص كثيرة ، إلّا أنّها كانت ديانة شرعيّة في الأمبراطوريّة يحميها الأمبراطور الرومانيّ ومجلس الشيوخ ؛ لم يكن اليهوديّ عرضةً للاضطهاد . من جهة أخرى كان كلّ من يرتدّ من اليهود واليونانيّين عن الآلهة الرومانيّة والأمبراطور باسم شخصٍ صلب بحسب قوانينهم يعتبر عاصيًا على السلطات الرومانيّة ، ويعاقب بالسجن ، أو التعذيب ، أو الموت . كلا ! يقول بولس بنبرة توكيديّة لليهوديّ الذي قبل الإنجيل ، لكنّه يودّ أن يكون حذرًا ويختبئ وراء الختان والناموس الموسويّ ، متيحًا للأمميّ أن يسبقه إلى قبول « العار الأعظم » ، عار الصليب . اليهوديّ أوّل ، وسيبقى هكذا ؛ لا خيار له إلّا أن يرضى بمكانته . فقد سبق للإله الكتابيّ أن اختار عنه ، وهو لن يسمح بأن يعود إلى مصر بعد أن أخرجه منها . نعم ، يقول بولس ، اليهوديّ أوّل دائمًا ، حتّى في روما حيث الطعن في الذات الأمبراطوريّة أوضح وأشد عقابًا من أي مكان آخر في الأمبراطوريّة ؛ اليهوديّ أوّل حتّى في الموت . هذه سياسة الإله الكتابيّ ابتداءً من عاموس :

---

(١) أنظر ٩:٤.

(٢) أنظر الفصل ٣.

« إيّاكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض ، لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم » (٣:٢) .

« ويل للمستريحين في صهيون والمطمئنّين في جبل السامرة ، نقباء أوّل الأمم ، يأتي إليهم بيت إسرائيل ! . . . لذلك الآن يسبون في أوّل المسبيّين ويزول صياح المتمدّدين » (٦:١،٧) .

هذا طرح بولس في الرسالة إلى أهل رومية . وبما أنّ أساس هذا الطرح كتابيّ فيشرحه ويدافع عنه على نحو كتابيّ .

كلّ البشر ، أممًا ويهودًا ، أذنبوا أمام الله (١:١٨–٤:٢٠)

يتبنّى بولس نظرة كانت سائدةً في يهوديّة زمنه ، وهي أنّ الأمم من حيث تحديدهم أو طبيعتهم « خطأة »[١] ، ويصف بناءً على هذه النظرة وضعهم الخاطئ بإيجاز (١:١٨–٣٢) . ثمّ يذكّر اليهوديّين بأنّ كونهم أمينين على الناموس غير نافعٍ إذا لم يمارس اليهوديّ هذه الوصايا . سبب هذا أنّ الناموس ، في النهاية ، القاعدة التي سيدين الله عليها إسرائيل ، كما هو واضح في تثنية الاشتراع . وكان مفترضًا أن يكون الناموس قانون حياة إسرائيل في كنعان : إذا خالف إسرائيل الوصايا سيُسبى إلى الموت . فكرة الدينونة الإلهيّة هذه محور الفقرة ٢:١–٣:٨ حيث يتوجّه بولس إلى اليهود . ليست هذه الفقرة متضمّنةً بين ذكرين لدينونة في أوّلها وفي آخرها فحسب (٢:٢ و٣:٣–٨) ، ولكنّ فكرة الدينونة تسيطر عليها كليًّا[٢] . في الواقع يشهد الكتاب لأنّ لا بارّ في إسرائيل

(١) أنظر غلاطية ٢:١٥، وتفسير رسالة غلاطية ، صفحة ٨١–٨٤.

(٢) إلى جانب اسم Krima (دينونة) ، لاحظ الاستعمال الكثيف لفعل Krino (أدين ، ٢:١ [ثلاث مرات] ، ٣، ١٢، ١٦؛ ٣:٦، ٧) .

(٣:٩-٢٠) . هذا يعني أنّ إسرائيل كالأمم ، وذلك لأنّه يتصرّف مثلهم[١] .

البرّ بالإيمان (٣:٢١-٣١)

غير أنّ الكتاب الذي يقول لنا إنّه «لا فرق [بين اليهوديّ واليونانيّ][٢] وذلك لأنّ الجميع أعوزهم مجد الله » ، يشهد أيضًا لأنّ الله منح البرّ بمعزل عن الناموس (٣:٢١) ، وذلك بالإيمان بأنّ الله قادر على أن يصنع هذا وأنّه صنعه بمسيحه ، يسوع (٣:٢٢-٢٦) . على هذا يتّفق بولس و« الأعمدة »[٣] . فأين تكمن المشكلة بينهم إذًا ؟ واضحٌ أنّها تكمن في « كيفيّة » تنفيذ هذا الأمر : إذا كان الله قادرًا على تحقيق البرّ بالنعمة ، فكيف يفعل هذا ؟ مرّة أخرى يلجأ الفريقان إلى الكتاب ، الذي يرى فيه كلاهما مقياسًا وحيدًا لحلّ المسألة ومصدرًا وحيدًا صحيحًا في الأمور المتصلة بالله .

الوعد لإبراهيم (الإصحاح ٤)

كان « الأعمدة » يؤكّدون أنّ على الأمم أن يصيروا أولادًا لإبراهيم لكي يتأهّلوا لنعمة الله في يسوع المسيح . كما كانوا يؤكّدون أنّ على المرء ، ليصير ابنًا لإبراهيم ، أن يختتن ويتقيّد بأحكام الناموس[٤] . أمّا بولس فيرفض هذا . ذلك أنّ الكتاب يقول لنا إنّه بالإيمان بوعد الله ،

---

(١) هذا أساس القصّة الكتابيّة والكتابات النبويّة .

(٢) أنظر ١٠:١٢.

(٣) أنظر غلاطية ٢:١٥-١٦.

(٤) أنظر الرسالة إلى أهل غلاطية .

نال إبراهيم البرّ، لا بالختان ولا بأيّ عمل من أعمال الناموس (٤:١-١٠). لم يكن الختان إلَّا مجرّد علامة أو ختم لنعمة الله عليه **وهو غير مختتن** (الآية ١١أ). فلنيل نعمة الله على المرء أن يؤمن، وحسب؛ ومن منظور الإيمان، إبراهيم هو أبو المؤمنين، المختتنين وغير المختتنين على السواء (الآيتان ١١ب - ١٢). فالكتاب يقول، في الفقرة التي تتناول الختان، إنّ الله وعد إبراهيم بأن يجعله «أبًا لأمم كثيرة»[1] (الآيات ١٣-١٨). أضف إلى هذا أنّ دعوة إبراهيم، ووعد الله له بأن يكون أبًا لكثيرين، وإيمان إبراهيم، وختم هذا الإيمان بالختان، كلّ هذه الأمور حصلت عندما كان إبراهيم وسارة قد تجاوزا سنّ الولادة، أي عندما بدا إتمام الوعد مستحيلًا (الآية ١٩). إلَّا أنّ إبراهيم آمن (الآية ٢٠)، وبإيمانه «تيقّن أنّ ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضًا» (الآية ٢١). لذا، على أولاده أن يتمثّلوا به ويؤمنوا بأنّ الله حقّق وعده لإبراهيم بأن يجعله أبًا لأمم كثيرة عندما أقام يسوع من بين الأموات مانحًا بهذا البرّ للجميع (الآيات ٢٢-٢٥).

الطريق من البرّ إلى الحياة الأبديّة (٥:١-٧:٦)

بعد أن صار جميع المؤمنين، يهودًا وأممًا، أبرارًا بالمسيح، يحيون الآن في نطاق سلام الله (٥:١). غير أنّهم لا يزالون خاضعين للنطاق الأرضيّ الذي فيه يحيون إلى أن يحقّق الله حكمه على الذين لم يؤمنوا بعد (الآية ٢). إلى ذلك الحين على المؤمنين أن يقبلوا المسيّا المصلوب

(١) تكوين ١٧:٥. لاحظ أنّ الكلمة اليونانيّة المستعملة هي ethne، التي تعني «أمم».

مثلًا لهم، ويحملوا آلامه بصبرٍ مفتخرين بها بدل أن يستحوا، ذلك لأنّ مخلّصهم نفسه تكبّد تلك الآلام المخزية ليجعلهم في الحالة التي هم فيها (الآيات ٦-١١). عدوّ المؤمنين الحقيقيّ هو الخطيئة: إنّ المسيح ضمن لهم الحياة عندما أقيم من بين الأموات، لكنّ الكتاب يقول إنّ سبب الموت الخطيئة (الآية ١٢). فالخطيئة موجودة منذ آدم، رغم أنّ الناموس الموسويّ هو الذي يوضح الربط بين الموت والخطيئة (الآيتان ١٣-١٤)[١]. لذلك، نعمة الله بيسوع المسيح دعوة لعدم السماح للخطيئة بأن تجعل الموت يتسلّط على حياتنا؛ علينا أن نبدل الخطيئة بالبرّ الذي نلناه بالنعمة والذي يقودنا إلى الحياة الأبديّة (الآيات ١٥-٢١). إنّ المؤمن الذي يرفض أن يصنع هذا يجعل الله يبدو زائفًا، إذ تبدو مشيئته (بألّا نخطئ) وكأنّها لا تحكم على الذين خلّصهم وأعلنهم أبرارًا. في المعموديّة، رمز شركتنا مع المسيح، نموت للخطيئة (٦:٢) لنحيا حياةً جديدة (الآية ٤). نهمل سيّدًا لنصير عبيدًا لآخر (الآيات ٦، ١٢، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٢)[٢]؛ ونستبدل عبوديّة بأخرى. إلّا أنّ نهاية الواحدة موتٌ (الآيتان ٢١، ٢٣أ) أمّا الأخرى فنتيجتها حياة أبديّة (الآيتان ٢٢، ٢٣ب). لكنّ الحياة الأبديّة ليست نتيجة فوريّة، سحريّة؛ شرطها[٣] قداسة المؤمنين (الآية ٢٢)[٤]. الأمر عائدٌ

---

(١) يقول سفر تثنية الاشتراع بوضوحٍ إنّ الله هو الذي ينفي شعبه إلى الموت إذا ما أخطأوا إليه بعدم إطاعتهم إيّاه.

(٢) هذه التعابير مأخوذة من وضع العبيد في الأمبراطوريّة الرومانيّة: يشبّه بولس المؤمن بالعبد الذي اشتراه سيّد جديد من سيّده السابق (أنظر ١ كورنثوس ٦:٢٠أ؛ ٧:٢٣أ؛ وأيضًا رومية ٧:٤).

(٣) لاحظ كيف أنّ بولس، عندما يتحدّث عن الخطيئة، يقول إنّ نهايتها الموت

إلى المؤمنين في ما إذا كانوا يريدون أن يأخذوا كلمة الله في المسيح على محمل الجدّ؛ يقول بولس لهم: «كذلك أنتم أيضًا **احسبوا أنفسكم** أمواتًا عن الخطيئة ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (الآية ١١). فالناموس ذاته يعلّم أنّ المعمّدين ليسوا بعد مقيّدين بالناموس (٧:١): فأحكامه لا تنطبق على الذين ماتوا (الآيتان ٢-٣). ولكن، ما نفع المعموديّة إذا كانت مجرّد انتقال من سيّد إلى آخر، ومن أحكام الناموس إلى اتباع الروح (الآيات ٣-٦)، الذي له أيضًا ناموسه الخاصّ (٨:١)؟

الناموس الجديد وملكوت الله (٧:٧-٨:٣٩)

إنّ الهروب من الناموس أساس، وذلك لأنّه مرتبط بحقيقة الخطيئة (٧:٧)[1] وبالموت، نتيجتها، ارتباطًا فعليًا[2]. ولئن كان الناموس أعطيَ ليضمن الحياة، إلّا أنّ أتباعه خالفوه فعوقبوا بالموت (الآيات ٨-١٢). يقدّم بولس هنا مضمون الكتاب بشكل موجز[3]. فالكتاب الأوّل، أي التوراة، يقول إنّ الشعب الذي أعتق من الأسر والموت أعطيَ، قبل الدخول إلى كنعان، الناموس ختمًا لحضور الله في ما

(الآية ٢١)، في حين أنّه عندما يتحدّث عن العبوديّة لله، يكتب: «لكم ثمركم (Karpon) للقداسة والنهاية حياة أبديّة» (الآية ٢٢).

(٤) أنظر أيضًا ١ تسالونيكي ٤:٧.

(١) أنظر أيضًا غلاطية ٣:١٩، وتفسير الرسالة إلى أهل غلاطية، صفحة ١٤٦-١٥٤.

(٢) أنظر ٥:١٢.

(٣) لاحظ كيف يبدأ بولس حجّته: «أم تجهلون أيها الإخوة - **لأني أكلّم العارفين بالناموس** - أنّ الناموس يسود على الإنسان ما دام حيًّا»؟ (٧:١).

بينهم ليمكّنهم من التمتّع بالحياة الجديدة التي منحها . إلّا أنّه كان ثمّة شرط : على الشعب أن يتّبع هذا الناموس ؛ وما لم يتّبعه سيعاقب بالسبي والموت[١] . وهذا بالضبط ما حصل ، بحسب الكتاب الثاني ، أي الأنبياء[٢] . حتى يعزّز بولس صلة هذه النقطة بموضوعه ، بالنسبة إلى قارئيه ، ويجعلهم « يعيشون » هذا الوضع الحزين ، يعيد رواية القصّة الكتابيّة بتعابير شخصيّة (الآيات ١٣-٢٥) .

رغم أنّ الكتب النبويّة تنذر بعقاب الله إلّا أنّها تتحدّث أيضًا عن المستقبل حين سيؤسّس الله مملكته ، التي فيها سيتقيّد الكلّ بمشيئته ، حين يمنح روحه الذي يضمن لهم الحياة الأبديّة[٣] . وهذا ما حصل في يسوع ، مسيح الله (٨:١-٣٠) . وإذا كان الله القاضي ، ومسيحه المدّعي العامّ ، إلى جانب المعمّدين ، فلن تتغلّب أيّة قوّة ، حتّى قوّة الموت ، على محبّة الله لهم في المسيح (الآيات ١٣-٣٩) .

وضع أنسباء بولس اليهود (٩-١١)

بناءً على مشروع الله العالميّ القاضي بأن يدعو الجميع إلى ملكوته ، ملكوت المحبة والسلام ، يحاول بولس ، انطلاقًا من الكتاب ، أن يجد تفسيرًا ، أو إذا أمكن ، معنى لأمرٍ يقضّ مضجعه ، ألا وهو أنّ معظم

---

(١) أنظر كتاب تثنية الاشتراع .

(٢) يشتمل هذا الكتاب الثاني على الأنبياء الأوّلين (تاريخ تثنية الاشتراع - يشوع ، القضاة صموئيل ، الملوك) والأنبياء اللاحقين (إشعياء ، إرميا ، حزقيال ، والأنبياء الاثني عشر الصغار) .

(٣) إشعيا ٤٢:١؛ ٤٤:٣؛ ٤٨:١٦؛ ٦١:١-٤؛ حزقيال ١١:١٩-٢١؛ ١٨:٣٠-٣٢؛ ٣٦:٢٦-٢٧؛ ٣٧:١٤؛ ٣٩:٢٩؛ يوئيل ٢:٢٨-٢٩.

المدعوين أوّلًا[١] رفضوا رسالة الإنجيل بينما قبلها الأمم بفرح، وهم أتوا لاحقًا (٩:١-٥). الأمر في منتهى الخطورة. ذلك أنّ النتيجة الطبيعيّة لرفض اليهود هي أنّ وعد الله قد فشل (الآية ٦أ). وإذا كان هذا صحيحًا فسيبدأ الأمم أنفسهم يشكّون في مصداقيّة إنجيل الخلاص المقدَّم إليهم. يجيب بولس على الزعم بأنّ كلمة الله قد فشلت بنفي قاطع. لم تفشل كلمة الله، لأنّ اليهود الذين رفضوا الإنجيل الكتابيّ ليسوا إسرائيل الكتابيّ؛ فعندما يتحدّث الكتاب عن «إسرائيل» لا يقصد كلّ اليهود في زمن بولس. «إسرائيل» في الكتاب يعني كلَّ الذين اتخذهم الله في رحمته[٢]. منذ البدء لم يكن إسرائيل أبدًا كيانًا بيولوجيًّا بل هو نتيجة كلمة وعد الله الحرّة من كلّ القيود ما خلا مشيئته (الآيات ٦-١٧). وقد تضمّنت كلمة الوعد هذه التي بدأت مع إبراهيم **كلّ** أولاده من **كلّ** الأمم[٣]. كانت حريّة الله المطلقة هذه دائمًا «حجر عثرة» لإسرائيل (٩:١٩-١٠:٤): الكلمة الكتابيّة هي دائمًا كلمة الله، حتى ولو إئتمن إسرائيل عليها[٤]. فإسرائيل ملزم بها وهي التي ستدينه إذا لم يحترمها[٥]. وهذا ينطبق على كلمة وعد الله: فحين تتحقّق ينبغي أن

---

(١) ١:١٦؛ ٢:٩، ١٠.

(٢) أنظر مثلًا حزقيال ٢٠. رغم أنّ هذا الإصحاح يقول إنّ الله سيطهّر بني إسرائيل (الآيات ٣١-٣٩)، إلّا أنّ **كلَّ** إسرائيل، **كلَّهم**، سيقبلهم على جبله المقدّس (الآية ٤٠).

(٣) أنظر ٤:١٣-٢٥.

(٤) «الذين هم إسرائيليّون ولهم التبنّي والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد...» (الآية ٤).

(٥) أنظر القسم السابق.

تقبل (١٠:٥-١٧). إلّا أنّ الأمم هم الذين قبلوها، أمّا غالبيّة الإسرائيليّين، فقد سمعوا الإنجيل ورفضوه (الآيات ١٨-٢١). لكن، ليس كلّ الإسرائيليّين مستعصين: بولس نفسه مثل واضح، وهذا كافٍ لأنّ إسرائيل الأخيريّ في الكتاب هو، في النهاية، «بقيّة مختارة بالنعمة» (١١:١-١٠)[1]. وكلّ من يعتبر نفسه إسرائيليًّا مدعوٌّ إلى أن يتلافى «التطهير»[2] وينضمّ إلى هذه البقيّة المؤلّفة من كلّ الذين خلصوا بحسب وعد الله لإبراهيم (الآيات ١١-٢٤؛ ٢٨ب).

دعوة أخيرة ليعقوب وأتباعه (١١:٢٥-٣٦)

بولس آتٍ إلى أورشليم حاملًا تقدمات الأمم، وعلى رأسهم أهل مقدونية واليونان، بلدي «الأمم» بامتياز (١٥:٢٥). هذه فرصة ذهبيّة أمام يعقوب ليليّن قلبه من رسالة الإنجيل. إذ، بقبوله التقدمات، يعترف بالشرعيّة الكاملة لإنجيل بولس الداعي إلى أن يتاح للأمم الذين قبلوه «دخول» مدينة الله دونما عائق (١١:٢٥). من شأن هذا الأمر أن يؤكّد على فم سيّد «الأعمدة»، الناطق باسم الله[3] أنّ وعد الله في أشعياء[4] قد تحقّق فعلًا بأن أتمّ الله خلاصه في مدينته وجذب الأمم إليها[5]. ويقول إشعياء أيضًا إنّ هذه الأخبار ستخرج، بعد ذلك، (الآيتان ٢٦ب-٢٧) داعيةً سائر اليهود، سواء الذين في داخلها أم

(١) أنظر الحاشية ٢٥.
(٢) حزقيال ٢٠:٣٨.
(٣) أنظر صفحة ٢٨.
(٤) أنظر صفحة ٢٨.
(٥) أنظر صفحة ٢٤، ٢٨.

في خارجها في الأمبراطوريّة الرومانيّة، إلى أن يسيروا على خطى يعقوب، الوجه الأورشليميّ الأبرز. حينئذٍ يتحقّق مشروع الله القاضي بأن يشمل في رحمته الغزيرة الجميع، يهودًا وأممًا (الآيات ٢٨-٣٢)، الأمر الذي، وإن بدا للناس مستحيلًا، إلّا أنّه ممكن عند الله (الآيات ٣٣-٣٦).

دعوة ونصيحة إلى الكنيسة في روما (١٢-١٥)

لكنّ نجاح رسالة بولس في أورشليم ليس مؤكّدًا. فقد يصرّ يعقوب على رفض إنجيل بولس، وسيزداد هذا الرفض احتمالًا، إذا لم تقبله الكنيسة الرومانيّة الآن[١]. على المدى القريب لن تكون لهذا آثار؛ إذ لن تتبدّل أمور كثيرة، وسيتابع بولس جهوده من أجل إنجيله. لكنّ العواقب في المدى البعيد - أي بعد موت بولس - ستكون أشدّ خطورة. فإذا زال تقليد إنجيل بولس في كنيسة روما بعد موته، سيكون وجوده في أيّ مكان آخر مهدّدًا أيضًا بالزوال. لهذا، وبعد أن افترض أنّ رسالته ستلقى ردًا إيجابيًا، راح بولس يسدي نصائح عمليّة متعدّدة تضمن استمراريّة إنجيله هناك. إنّ استمراريّته هناك تعوض إلى حد بعيد عن رفض يعقوب الممكن له، وذلك لسببين: روما عاصمة الأمبراطوريّة، ويستطيع أن يجعل منها مركزًا له ليرسّخ الإنجيل غربها (٢٨:١٥)، كما رسّخه شرقها (الآية ١٩).

(١) لأهمّيّة كنيسة روما بالنسبة إلى موقف بولس، راجع بدء هذا الفصل.

تحيّات أخيرة (الإصحاح ١٦)

تنتهي الرسالة بسلسلة طويلة من التحيّات، ربما كان القصد منها ذكر أكبر عدد ممكن من أسماء اليهود والأمم الذي يعيشون في شركة بمقتضى «صورة التعليم»[١] الذي حدّده إنجيل بولس.

(١) ٦:١٧.

٨

الرسالة إلى أهل فيليبّي

الغاية من الرسالة إلى أهل فيليبّي والتراث البولسيّ

تعتبر هذه الرسالة وصيّة بولس كتبها من أفسس أو من روما ، تبعًا للمكان الذي مات فيه[١] . فكثير من ميزاتها إذا نظرنا إليه ، مجموعًا ، يحمل دليلًا قويًّا على طابع الرسالة كوصيّة :

١) كتبت إلى كنيسة « بدأ » الإنجيل فيها (٤:١٥)[٢] .

٢) وهو موجَّهة « إلى كلّ القدّيسين في المسيح يسوع الذين في فيليبّي ، **مع الأساقفة والشمامسة** » (١:١) ، الأمر الذي يعني أنّ القصد منها لا أن تقرأ علنًا في اجتماعات الكنيسة فحسب ، بل أن يرى فيها هؤلاء القادة مصدرًا للسلطة وأن تكون لهم كتابًا مقدّسًا .

٣) يذكر بولس تكرارًا غيابه وحضوره في جملة واحدة (١:٢٦-٢٧؛ ٢:١٢) . قد يكون ذكر غيابه إشارة غير مباشرة إلى موته الوشيك . يؤكد هذا الانطباعَ سياقُ المثل الأوّل ، حيث نقرأ ما يأتي :

(١) أنظر صفحة ٣٧.

(٢) أنظر صفحة ٣١-٣٤.

« لأنّي أعلم أنّ هذا يؤول لي إلى خلاص بطلبتكم ومؤازرة روح يسوع المسيح ، حسب انتظاري ورجائي أنّي لا أخزى في شيء بل بكلّ مجاهرة كما في كلّ حين كذلك الآن يتعظّم المسيح في جسدي سواء كان بحياة أم بموت . **لأنّ لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح** . ولكن إن كانت الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي فماذا أختار ؟ لست أدري . فإنّي محصور من الاثنين . لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح . ذلك أفضل جدًّا . ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من « أجلكم » (١:١٩-٢٤) .

٤) في بداءة الفقرة التي يتحدّث فيها بولس عن غيابه والتي تلي الحديث عن موته ، يذكر بولس « مجيئه » مستعملًا عبارة parousia. بسبب استعمالها باتصال مع مجيء الربّ توحي هذه العبارة بأنّ بولس قصد أن يقول إنّه سيأتي إليهم مع المسيح في ذلك الوقت :

« فإذ أنا واثق بهذا أعلم أنّي أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدّمكم وفرحكم في الإيمان ، لكي يزداد افتخاركم في المسيح يسوع فيّ بواسطة حضوري أيضًا عندكم » (١:٢٥-٢٦) .

٥) في ٣:١٧-٢١ يقدّم بولس نفسه مثلًا للمؤمنين بقوله :

« فإنّ سيرتنا (موطننا) نحن هي (هو) في السماويّات التي منها أيضًا ننتظر مخلّصًا هو الربّ يسوع المسيح ، الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل

استطاعته أن يخضع لنفسه كلّ شيء» (الآيتان ٢٠-٢١).
تذكّر هذه العبارات بمصطلحات الأمبراطوريّة الرومانيّة السياسيّة: «المواطنة، والمخلّص، والربّ، وإخضاع كلّ شيء»، كلّها عبارات لها علاقة بشخص الأمبراطور الرومانيّ. لئن كان بولس مسجونًا وتحت رحمة الأمبراطور، إلّا أنّه يعترف علنًا بيسوع المسيح، لا بالأمبراطور، سيّدًا له. يكفي هذا الحديث لكي يستحيل إطلاقه من السجن، ويحكم عليه بالموت. علينا أن نتذكّر أنّ هذه الرسالة موجّهة إلى سكّان مستعمرة رومانيّة[1].

٦) يمهّد عنوان الرسالة الطريق لتيموثاوس ليصير خلفًا له. فمع غلاطية بدأ بولس يفرّق بينه كرسول وبين معاونيه[2] حتّى حين يذكر تيموثاوس بالاسم (١ كورنثوس ١:١). إلّا أنّه يسقط هنا هذا التفريق مشيرًا إلى نفسه وإلى تيموثاوس (بالتساوي) بعبارة «عبدي يسوع المسيح» (١:١). يوحي القول الآتي بأنّ هذه الرسالة تقدّم تيموثاوس وريثًا لبولس:

«على أنّي أرجو في الربّ يسوع أن أرسل إليكم سريعًا تيموثاوس لكي تطيب نفسي إذا عرفت أحوالكم. لأنّ ليس لي أحد آخر نظير نفسي يهتمّ بأحوالكم بإخلاص. إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح. وأمّا اختياره فأنتم تعرفونه أنّه

---

(١) أنظر صفحة ٣١-٣٣.
(٢) أنظر الفصل ٤.

كوالدٍ مع أب خدم معي لأجل الإنجيل . هذا أرجو أن أرسله أوّل ما أرى أحوالي حالًا . واثق بالربّ أنّي أنا أيضًا سآتي سريعًا »[١] (٢:١٩-٢٤) .

مضمون الرسالة إلى أهل فيليبّي

بعد أن ذكر بإيجاز « الإنجيل من أوّل يوم إلى الآن »[٢]، يناشد بولس الذين يتوجّه إليهم بأن يسيروا على هذا الطريق إلى « يوم المسيح »[٣] (١:١-١١) . ثم يدعوهم بجرأة إلى أن يعتادوا على موته الذي سيحصل في المدى المنظور ، وأن يركّزوا اهتمامهم على الإنجيل الذي بشّرهم به (الآيات ١٢-٣٠) . وبما أنّ المسيح مضمون الإنجيل ، لا بولس ، يلفت انتباههم إلى المسيح في فقرة (٢:١-١١) قلبها نشيد مسيحانيّ رائع جمع بولس أجزاءه لهذه المناسبة (الآيات ٦-١١) . في غياب بولس ، وعند موته الممكن[٤]، «على الفيليبيّين أن يصيروا أنوارًا في العالم »[٥] كما كان هو (الآيات ١٣-١٨) . عليهم في هذا أن يحذوا حذو تيموثاوس ، خلفه (الآيات ١٩-٢٤) ، وأبافروديتوس (الآيات ٢٥-٣٠) .

ثم يوجز بولس إنجيله : البرّ بالمسيح لا بالناموس (٣:١-١١)[٦] .

---

(١) أنظر سابقًا تعليقي على ١:٢٦.

(٢) ١:٥.

(٣) ١:١٠.

(٤) أنظر تعليقي سابقًا .

(٥) ٢:٥.

(٦) قارن مع غلاطية ١-٤ وورومية ١-٥.

المؤمنون لا يزالون في طريقهم نحو الملكوت، وعليهم أن يصبروا إلى مجيء المسيح (parousia؛ ٣:١٢-٤:١)[١]. ولمّا كان إنجيله يعلّم وحدة اليهود والأمم في المسيح، يسألهما، ممثّلين باسمي إفوديا[٢] وسينتيخي[٣] الرمزيّين بأن يكون لهما فكر واحد (to avto phronein)[٤] في الربّ بتوجيه تيموثاوس، شريك بولس في الجهاد (: ٢-٣)، إلى أن يأتي الربّ (الآية ٥). الربّ قريب والله يثبت سلامه عما قريب (الآيات ٦-٩). قبل أن يودّعهم (الآيات ٢١-٢٣) يذكر بولس مرة أخرى كيف أنّ كنيسة فيلبّي، في فكره، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالإنجيل (الآيات ١٠-١٩).

القطيعة النهائيّة مع أورشليم

تتضمّن الرسالة إلى أهل رومية دعوة مفتوحة إلى يعقوب وأورشليم للمصادقة على إنجيل الخلاص **الواحد**، إنجيل بولس، لكي لا يقطعوا من شجرة الزيتون، شجرة الآباء، ويبقوا جزءًا من «البقيّة المختارة

---

(١) قارن مع غلاطية ٥-٦ ورومية ٦-٨؛ وأيضًا ١ كورنثوس.

(٢) عبارة euodia اليونانيّة مركّبة من eu، التي تعني «مستقيم» واسم hodos (طريق). تشير إلى أتباع «الطريق» من اليهود (أنظر أعمال ١٦-١٧؛ ١٨:٢٥-٢٦؛ ١٩:٩، ٢٣؛ ٢٤:١٤، ٢٢؛ وتفسير الرسالة إلى أهل غلاطية، صفحة ٥٤-٥٥) كما يحدّدها بولس (أنظر غلاطية ٦:١٦ وتفسير الرسالة إلى أهل غلاطية، صفحة ٣٢٦-٣٢٧).

(٣) عبارة syntykhe اليونانيّة مركّبة من حرف الجر syn، الذي يفيد المعيّة، واسم tykhe (مصير). تشير إلى الأمم الذين آمنوا بإنجيل يسوع، مسيح الكتاب (اليهوديّ).

(٤) قارن مع ٢:٢.

بالنعمة » التي بولس نموذج لها[١] . أمّا الرسالة إلى أهل فيليبّي فتتضمّن ملاحظات سلبيّة حول اليهود تدلّ بوضوح على أنّ هذا العرض قد رفض . فهي تتوجّه إليهم « ككلاب » (٣:٢) ، وهي عبارة تستعمل في اليهوديّة للإشارة إلى الأمم كخارجيّين[٢] . لأنّ يعقوب وأتباعه لم يقبلوا الإنجيل ، الذي هو كلمة الله[٣] ، قطعوا من شجرة الزيتون[٤] ؛ هم « أعداء الله »[٥] لأنّهم « أعداء صليب المسيح » (٣:١٨) . أمَّا الأمم الذين قبلوا الإنجيل فقد طُعّموا في شجرة الزيتون ذاتها وصاروا « الختان الحقيقيّ . . . [الذي يعبد] الله بالروح . . . [يفتخر] في المسيح يسوع ، ولا . . . [يتّكل] على الجسد » (٣:٣) . إنّهم المواطنون الحقيقيّون لمدينة الله « السماويّة » (٣:٢٠)[٦] .

---

(١) أنظر التعليق على رومية ١١.

(٢) أنظر مرقس ٧:٢٧-٢٨//متى ١٥:٢٦-٢٧؛ متى ٧:٦؛ رؤيا ٢٢:١٥.

(٣) أنظر رومية ١:١-٤.

(٤) يعثر هذا الكلام العديد من المسيحيّين واليهود في يومنا هذا . السبب أنّ كلا منا ، على طريقته الخاصّة ، يعتبر أنّه إسرائيل الله لمجرّد كونه يهوديًّا أو مسيحيًّا . لم يكن هذا فكر الناس في القرن الأوّل ، وهو لا يعكس وجهة النظر المعبَّر عنها في الكتاب (أنظر ، مثلًا ، حزقيال ٢٠-٣٣-٤٠) . لم يكن الأسانيّون والفرّيسيّون يعتبرون يهود القرن الأوّل الآخرينو أعضاء في إسرائيل الله ؛ من هنا عبارة بولس « إسرائيل الله » في غلاطية ٦:١٦ (أنظر تفسير الرسالة إلى أهل غلاطية ، صفحة ٣٢٦-٣٢٧) .

(٥) رومية ١١:٢٨.

(٦) أنظر أيضًا غلاطية ٤:٢٤-٢٧.

٩

إرث بولس المباشر

الرسالة إلى أهل كولوسي

يمكننا الافتراض أنّ بولس مات قبل بدء الثورة اليهوديّة السنة ٦٦م . التي كانت المؤذنة بنهاية أورشليم ؛ وإلّا لكان أتى على ذكر هذا الأمر عندما أشار إلى أورشليم السماويّة والأرضيّة في فيليبّي ٣:١٩-٢٠ . بعد موته تجمّع أتباعه حول تيموثاوس ، « ابنه في الإنجيل » (٢:٢) ، وذلك في أفسس (أو محيطها) التي غدت مركزًا للنشاط البولسيّ[١]. هناك كتب تيموثاوس الرسالة إلى أهل كولوسي مستندًا إلى خلاصة إنجيل بولس كما هو مقدّم في الرسالة إلى أهل رومية وفيليبّي ، وجعلها شرعة لكلّ الكنائس البولسيّة (٤:١٦). واحترامًا لبولس الذي ذكر تيموثاوس على أنّه خادم مثله في رسالته الوصيّة إلى أهل فيليبّي ، يعود تيموثاوس إلى مراسلات[٢] بولس الأولى ويميّز بين بولس كرسول وبينه هو كأخ فقط (١:١)[٣].

تعكس الرسالة فكرة بدء جديد مؤسّس على إنجيل بولس ، كلمة

---

(١) أنظر ص ٣٦-٣٧.

(٢) غلاطية ١:١-٢؛ ١ كورنثوس ١:١؛ ٢ كورنثوس ١:١ .

(٣) أنظر تفسير رسالة غلاطية ، ص. ٢٢-٢٣ .

الحقّ، التي تثمر في العالم أجمع وتنمو (١:٥-٦)؛ أمّا المخاطبون فمطلوب منهم أن يسلكوا «كما يحقّ للربّ في كلّ رضى مثمرين في كلّ عمل صالح ونامين في معرفة الله» (١:١٠). ونلاحظ جذريّة هذه البداءة الجديدة في العبارات المستعملة لوصفها: فهي تذكّر بقصّة الخلق في تكوين ١[1]. أمّا التعابير الحكميّة المرتبطة بالإنجيل في هذه الرسالة[2] فتذكّرنا بمقطع من حكمة سليمان.

«وهي التي أنقذت البارّ لمّا هلك الكافرون وكان هاربًا من النار الهابطة على المدن الخمس. ولا تزال هناك للشهادة على شرّهم أرض مقفرة يسطع منها دخان ونبات **يثمر ثمرًا** لا ينضج في أوانه وعمود من ملح قائم تذكارًا لنفس لم تؤمن... وهي التي هدت البارّ الهارب من غضب أخيه سبلًا مستقيمة وأرته **ملكوت** الله وآتته **معرفة** المقدّسات وأنجحته في **أتعابه** وكثّرت ثمن **أعماله**» (١٠:٦-٧،١٠).

اللافت أنّ العبارات التي أظهرتها بالخط الأسود في الآية ١٠ يستعملها بولس للإشارة إلى نشاطه الرسوليّ[3]. لاحظ أيضًا كيف

(١) تكوين ١:١١، ١٢، ٢٢، ٢٨، ٢٩. فعل (ينمو/يكثر) يرد أيضًا في تكوين ٨:١٧؛ ٩:١،٧؛ ١٧:٦،٢٠؛ ٢٨:٣؛ ٣٥:١١.

(٢) الحكمة (١:٩،٢٨؛ ٢:٣،٢٣؛ ٣:١٦؛ ٤:٥)؛ المعرفة (٢:٣)؛ المعرفة الكاملة (١:٩،١٠؛ ٢:٢؛ ٣:١٠)؛ أعرف تمامًا (١:٦).

(٣) أنظر ٢ كورنثوس ١١:٢٧ و١ تسالونيكي ٢:٩ (أنظر أيضًا تفسير الرسالة الأولى إلى تسالونيكي ص. ٩٢-٩٤) حول Mokhtos (تعب). بالإضافة إلى رؤيا ١٦:١٠،١١؛ ٢١؛ ٤، ترد عبارة (ponos) (كدّ) فقط في كولوسي ٤:١٣ في العهد الجديد بكامله.

تنطبق الآيات التي تشير إلى « البارّ » الذي يهاجمه الشرير و« أخوه » على ما حصل لبولس نفسه.

هذه الخليقة الجديدة ليست إلّا الكنيسة التي رأسها المسيح (كولوسي ١٨:١). غير أنّ هذا الربّ لا يجلس مع « العروش والسيادات والرئاسات والسلاطين » (الآية ١٦)، سواء في روما أم في أورشليم، بل هو مصلوب (الآية ٢٠) « عند الأمم » الذين قبلوا إنجيل بولس (الآية ٢٧). هؤلاء اختتنوا بالمعموديّة بختانة المسيح غير المصنوعة بأيدٍ بشرية (١١:٢)؛ ومع أنّهم يعيشون في الأمبراطوريّة الرومانيّة إلّا أنّ « ربّهم » ليس الأمبراطور، بل المسيح المصلوب (١٧:٣-١:٤).

٢ تسالونيكي

استقطبت الحرب اليهوديّة (٦٦-٧٠م) المواقف في شأن مجيء المسيح، ممثّل الله. ولأنّ بولس شدّد، مرّات عدّة، على مجيء الربّ كميزة مهمّة من ميزات إنجيله، اغتنم خصومه الفرصة لبثّ الاضطراب في كنائسه بإشاعاتهم أنّ مسيح بولس الآتي مرتبط بالحرب اليهوديّة. فبعث تيموثاوس رسالة لتصحيح الوضع مشدّدًا على أنّ لا تعليم في هذا الخصوص نافذًا إلّا تعليم بولس في إنجيله الذي سلّمه مرّة واحدة إلى الأبد:

« ثمّ نسألكم أيّها الإخوة من جهة مجيء ربّنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعًا عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنّها منّا أي أنّ يوم المسيح قد حضر... وأمّا نحن

فينبغي لنا أن نشكر الله كلّ حين لأجلكم أيّها الإخوة المحبوبون من الربّ. إنّ الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحقّ، **الأمر الذي دعاكم إليه بإنجيلنا** لاقتناء مجد ربّنا يسوع المسيح. **فاثبتوا إذًا أيّها الإخوة وتمسّكوا بالتعاليم التي تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا**» (٢:١-٢، ١٣-١٥).

هذا التصريح يختم تعليم بولس كما هو مقدّم في رسائله، جاعلًا إيّاها في الوقت ذاته التفسير الرسميّ لإنجيله ومصدره.

أمّا توجيه تيموثاوس هذه الرسالة إلى أهل تسالونيكي فمردّه إلى أنّ رسالة بولس إلى تلك الكنيسة تعالج مسألة مجيء الربّ بشكل مستفيض (١ تسالونيكي ٤:١٣-٥:١١)، ردًّا على مخاوف في هذا الخصوص كانت اعترت عددًا من أعضائها. وعندما بعث تيموثاوس هذه الرسالة باسم بولس وسلوانس وتيموثاوس، كما توجّه أوّل مرّة إلى تسالونيكي، أغدق على مضمونها ختم صوت بولس وإمضاءه (٢ تسالونيكي ٣:١٧).

ذيل: الرسائل المنسوبة إلى بولس

بخلاف زمننا الذي يشدّد على المؤلّف الفعليّ لكتاب أو نصّ، كان التركيز في زمن بولس وقبله على مضمون الكتاب أو النصّ أو تعليمه. فعلي سبيل المثال يصعب القول ما إذا كانت حوارات سقراط المنسوبة إلى أفلاطون تعود إلى سقراط نفسه، أو أنّها كلّها من عمل أفلاطون؛ أضف إلى هذا بعض الحوارات التي يمكن أن يكون كتبها

تلامذة أفلاطون على مثال أعمال معلّمهم الأصيلة . كما يصعب أن نعرف بالتأكيد إلى هذا مدى تعود التعاليم المنسوبة إلى أفلوطين وبوذا وكونفوشيوس إليهم شخصيًّا ، أو إلى تلامذتهم . هذه الظاهرة نجدها أيضًا بوضوح في العهد القديم حيث التقليد المتعلّق بالناموس بكامله منسوب إلى موسى[١] ، والمزامير إلى داود[٢] ، والكتابات الحكميّة إلى سليمان[٣] ، وفكر المدرسة الإشعائيّة التي استمرت قرونًا من الزمن إلى إشعياء نفسه[٤] . فبهذه الطريقة يضمن المرء **وحدة** تقليد معين أو تعليم ؛ أضف إلى هذا أنّ مدرسة معيّنة ، حين تضع كامل الفكر الذي أنشأه المعلم باسمه ، تعبّر عن الكرامة التي تليق به[٥] . وهكذا يكون صوت المعلّم الأوّل هو الذي نسمعه عبر العصور وهو الذي يجمع أتباعه المختلفين إلى جماعة **واحدة** . هذه الظاهرة شبيهة بما ندعوه اليوم « إرث لوثر » ، أو « المدرسة الكانطيّة » ، أو « الفلسفة الماركسيّة » .

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الأول ، ص ٨٤ .
(٢) المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الثالث ، ص ٩٨ .
(٣) المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الثالث ، ص ١٢٧ .
(٤) المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الثاني ، ص ١٠٨ .
(٥) أنظر الحاشية السابقة .



القسم الثاني

مرقس



١٠

مقدّمة

العهد القديم : كتاب كنائس الأمم

يجمع العلماء على أنّ كتاب مرقس أقدم الأناجيل الأربعة القانونيّة وأنّه لم يكتب إلّا بعد السنة ٦٥ م[١]. هذا يعني أنّ جماعات المؤمنين الأولى بدأت في عقودها الثلاثة الأولى ونمت من دون « إنجيل » مكتوب . الكتابات الوحيدة التي كانت تعكس الإيمان بيسوع مسيحًا ، والتي تعود إلى تلك الحقبة ، هي رسائل بولس التي حرّرها إلى كنائس الأمم التي أسّسها[٢]. في هذه الرسائل لا تشير عبارة « إنجيل » إلى أيّة وثيقة مكتوبة ، بل إلى تعليم بولس حول مسيانيّة يسوع (وبنوّته الإلهيّة) ومعناها بالنسبة إلى الأمم واليهود . « الإنجيل » في هذا السياق مرادف « للإيمان » ، وذلك واضح في الرسالة إلى الغلاطيّين[٣] . الاتفاق الذي توصّل إليه القادة المسيحيّون في أورشليم والذي نجد وصفًا له في هذه الرسالة (٢:١–١٠) يشهد على أنّ ما نقع عليه في رسائل بولس

---

(١) يفترض البعض أنّ نسخة من إنجيل متّى كتبت اصلًا بالآراميّة سابقة لمرقس (ولكنّ هؤلاء يوافقون على أنّ النسخة اليونانيّة من متّى ، وهي ذاتها نسختنا القانونيّة ، كتبت بعد مرقس) ، كما أنّ ثمّة فرقة صغيرة تقول بأسبقيّة يوحنّا .

(٢) باستثناء الرسالة إلى رومية التي وجّهها إلى كنيسة لم يؤسّسها هو .

(٣) ١:٢٣؛ ٣:٢،٥؛ أنظر تعليقي في تفسير غلاطية ، ص ٥٥،١٠٠–١٠١ .

من عدم الاهتمام بإنجيل مكتوب لم يكن وقفًا عليه وحده: فما من أحد، في تلك الفترة، كان يتحدّث عن «إنجيل» أو «الإنجيل» كوثيقة مكتوبة تشكّل جزءًا من الكتاب المقدّس. ولم يكن ثمّة «عهد جديد» كما نعرفه اليوم، وأهمّ من ذلك، لم يكن هناك شعور واضح بالنقص. الواقع أنّ عبارة «عهد قديم» تفترض وجود «عهد جديد»، لكنّ هذا لم يكن الحال في ذلك الوقت. فقد اعتبر العهد القديم، ككتاب مقدّس، كاملًا وكافيًا في السنوات الثلاثين الأولى.

وإذا صحّ هذا بالنسبة إلى المؤمنين من اليهود فهو يصحّ أيضًا، وبالمقدار عينه، بالنسبة إلى الأمم المؤمنين؛ فالكتاب المؤلّف من العهد القديم وحده كان ينطبق بالتساوي ومباشرة على كلّ المؤمنين، سواء كانوا من اليهود أم من الأمم (مع أنّ خصوم بولس فسّروا بعض مقاطعه بطريقة تختلف عن تفسيره هو). ويتّضح من رسائل بولس أنّ على المرتدّين من الأمم أن يقبلوا العهد القديم تمامًا كما يقبله اليهود. فهي تفترض أنّ القارئين من الأمم قد تمثّلوا مضمونه بشكل كامل. وسلطة العهد القديم كانت تمتدّ حتّى إلى مسائل عمليّة في الجماعات الأمميّة، كما نتبيّن في ١ كورنثوس: حتّى حين يعالج بولس شؤونًا تخصّ الطبيعة الأمميّة لتلك الجماعات – شؤونًا لم يكن ليتطرّق إليها لو كان يكتب إلى يهود – فهو يرجع مرارًا وتكرارًا إلى كتابات العهد القديم كسلطة نهائيّة فيها حلول لمشاكل «أمميّة»، لا تقلّ أهميّتها عن مثيلاتها «اليهوديّة».

الإنجيل وشخص بولس

بقي «الإنجيل» ذاته إعلانًا شفهيًّا، شيئًا خارج الكتابات المدوّنة.

ولا نجد دليلًا في رسائل بولس على أنّ الكرازة الشفهيّة اعتبرت غير ملائمة لنقل مضمون هذا الإنجيل. كما أنّنا لا نقع في رسائل بولس على أيّة إشارة إلى أيّ قلق في ما يختصّ بغياب نسخة مكتوبة شاملة ومنهجيّة لمضمون هذه الكرازة. كان الإنجيل، بالنسبة إلى بولس، مختصرًا بجوهره، يشير دائمًا إلى كتابات العهد القديم، وهذا ما نلاحظه في إيجازه ردّ التسالونيكيّين على بشارته: فهم رجعوا «إلى الله من الأوثان ليعبدوا الله الحيّ الحقيقيّ، وينتظروا ابنه من السماء الذي أقامه من الأموات، يسوع (١ تسالونيكي ١:٩ب-١٠).

وفي حياة بولس كان تعليمه هو «الإنجيل»؛ لم يكن يستعاض عنه أو يستكمل بأيّ عمل مكتوب يدعى «إنجيل» أو «أناجيل». صحيح أنّ بولس قدّم دفاعًا عن إنجيله وتوضيحًا له مكتوبًا في رسائله، إلّا أنّه لم تكن هناك محاولة لتأليف أدبيّ منهجيّ، أو محاولة لخلق كتاب يمكن تسميته إنجيلًا.

وهكذا، بالنسبة إلى الكنائس البولسيّة الأمميّة، كلّ شيء كان على ما يرام طالما بولس على قيد الحياة. وتمثّل رجاء إيمانهم الساطع «بأورشليم الجديدة»، نظرة أمل في مستقبل أخرويّ خلقه لهم بولس نفسه، الذي شكّل، وهو حيّ، صلتهم الوحيدة الملموسة والأمينة بهذا الأمل وهذا الهدف. حزقيال وإشعياء تحدّثا في العهد القديم «عن أورشليم الجديدة»، وقد خلقت نصوصهما في ذلك الوقت أيضًا هذه الفكرة كحقيقة جديدة وملموسة في أذهان قارئي الكتاب المقدّس وسامعيه. على نحو مشابه صارت فكرة بولس عن «أورشليم الجديدة»

الأخرويّة حقيقة للذين قبلوا إنجيله، وذلك لأنّ سامعيه وثقوا بسلطته كما وثق من سبقوهم بسلطة حزقيال وإشعياء.

«أورشليم العليا» (غلاطية ٤:٢٦) جزء لا يتجزّأ من إنجيل بولس، كرز بها أوّلًا للجماعات التي أسّسها وحفظها لنا مكتوبة في رسائله. من بولس وحده تعلّم المرتّدون أنّ «أورشليم أمّهم الحرّة»[(١)]، ولكنّ بولس أخذ هذه العبارة بدوره من كلمات إشعياء[(٢)]. كان بولس يعلن «إنجيل الله، الذي سبق فوعد به» الله نفسه في كتاب «نبيّه» إشعياء[(٣)]. بكلمات أبسط: كان بولس يقول للأمميّين إنّ وعود إشعياء قد تحقّقت، وكان يفسر كيف تحقّقت[(٤)]. النصوص النبويّة ذاتها ألّفها اليهود، ولكنّ هذا لا ينطبق على تفسير مضمونها هذا وتحقّقه. وهذا التفسير هو الذي يشكّل جوهر إنجيل بولس. لهذا كان كلّ ما يقوله بولس للأمم ينطبق أيضًا على اليهود، ذلك أنّ إنجيله هو الإنجيل الواحد الحقيقيّ وهو موجّه إلى الفريقين كليهما[(٥)]. مع هذا رفض عدد من اليهود الذي قبلوا مسيّانيّة يسوع، أو أغلبهم، تفسير بولس معنى تلك المسيّانيّة. وكان على بولس، وهو بعد حيّ، أن يدافع عن إنجيله ضدّ الذين كانوا يبشّرون بـ «إنجيل آخر» (غلاطية ١:٦).

---

(١) غلاطية ٤:٢٦. قي الواقع لم ير مؤمنو بولس الأمميّون مدينة أورشليم قطّ - ولا سمعوا بها - إلّا من خلال كرازته، التي قدّمتها بتعابير كتابيّة صرف.

(٢) غلاطية ٤:٢٧. أنظر تعليقي في تفسير غلاطية، ص. ٢٤٩-٢٥٠.

(٣) رومية ١:١-٢.

(٤) أنظر حول هذا الموضوع المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ٢١٤.

(٥) غلاطية ١:٦؛ ٢:٧-٨؛ رومية ١٠:١٢؛ أيضًا ٣:٢٢-٢٣. أنظر تفسير غلاطية ٦٩-٧٠؛ أيضًا ٣٧-٣٩.

وبناء على هذا كان إنجيل بولس، في حياته، مؤسّسًا على سلطته الشخصيّة، ولم يكن له أساسًا إلّا هذه السلطة. بعد موت بولس بقي أتباعه من الأمم من دون جذر أو مرساة. من نافل القول إنّ المؤمنين من اليهود والأمم كانوا لا يزالون يملكون قسمًا من الكتابات مشتركًا، مجموعة من النصوص اعتمدها بولس مصدرًا ذات سلطان عندما كان يبشّر بإنجيله. لكنّ النصوص تستطيع أن تفسّرها بطرائق عديدة. ويكمن جوهر إنجيل بولس في تفسيره هو هذه النصوص، التفسير الذي ادّعى أنّه وحده صحيح[1]. وحده تفسير بولس كان يضمن العضويّة الكاملة للمؤمنين من الأمم كإخوة متساوين مع اليهود في الكنيسة **الواحدة** للإله **الواحد**. ولكن مَن مِن الرسل أصحاب السلطان كان يجرؤ، كبولس، على أن يقول هذا بصراحة، لا أحد، على حدّ علمنا. فالأمميّ، بالنسبة إلى الآخرين يبقى ثانويًا إلى أن يصير - أو ما لم يصر - يهوديًّا كاملًا باتّباعه أوامر الناموس اليهوديّ.

وهكذا، منذ القطيعة التي حصلت في أنطاكية بينه وبين مبعوثي القيادة اليهوديّة المسيحيّة في أورشليم (غلاطية ٢:١١-١٤)، أدرك بولس أنّ كنائسه الأمميّة ستبقى دائمًا طريدة لمعسكر يعقوب وبرنابا. ومنذ ذلك الوقت، وابتداء بالرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي، قرّر بولس أن يختم تعليمه كتابة بواسطة رسائل إلى تلك الكنائس، عالمًا أنّه في يوم من الأيام سيتركها يتيمة، تحت رحمة خصومه، الذين سيقولون

(١) في تفسير غلاطية، وخصوصًا في الفصلين الرابع والخامس، أظهر أنّ تفسير بولس كان صحيحًا.

لمؤمنيها إنّهم كأمم **لا يزالون** « بدون مسيح ، أجنبيّين عن رعويّة إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا إله في العالم » (أفسس ٢:١٢) . لكنّ وضعًا كهذا يمكن أن يؤدّي إلى كارثة بالنسبة إليهم لو لم ينقذ بالضبط بسبب الطريقة التي قدّم بها بولس إنجيله ككلمة (Logos). **فكلمة** إنجيل بولس – لا بولس نفسه – هي التي أعلنت لهم الحقيقة الجديدة لإيمانهم الجديد وهي التي أكّدت لهم حقيقته . بينما كان بولس يبشّر الأمم كان يدخل في أذهان المرتّدين منهم أنّ المهمّ ليس شخصه بل تعليم إنجيله ؛ هو مجرّد ناقل لآخرين ما نقله إليه الله . ثمّة نصوص كثيرة تؤكّد نظرة بولس إلى نفسه ، كمجرّد خادم ، إلى الإنجيل الذي يخدمه ، لا كإنجيله هو ، بل كـ « الإنجيل » ، وكأنّه شيء موجود بذاته ويحيا بذاته :

« بولس ، عبد ليسوع المسيح **المدعو رسولاً المفرز لإنجيل** الله ... فإنّ الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي ... ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئيًّا أيّها الإخوة كمذكّر لكم بسبب النعمة التي وهبت لي من الله حتّى أكون خادمًا ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشرًا لإنجيل الله ... وللقادر أن يثبّتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السرّ الذي كان مكتومًا في الأزمنة الأزليّة . ولكن ، ظهر الآن وأعلن به جميع الأمم بالكتب النبويّة حسب أمر الإله الأزليّ لإطاعة الإيمان . لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد » (رومية ١:١،٩؛ ١٥:١٥-١٦؛ ١٦:٢٥-٢٧) .

لأنّه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس لكم

آباء كثيرون . لأنّي ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل ... إن كنّا نحن قد زرعنا لكم الروحيّات أفعظيم إن حصدنا منكم الجسديّات ؟ إن كان آخرون شركاء في السلطان عليكم أفلسنا نحن بالأولى ؟ لكنّنا لم نستعمل هذا السلطان بل نتحمّل كلّ شيء لئلا نجعل عائقًا لإنجيل المسيح ... وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكًا فيه » (١ كورنثوس ٤:١٥؛ ٩:١١-١٢، ٢٣) .

« ولكن إن كان إنجيلنا مكتومًا فإنّما هو مكتوم في الهالكين الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله ... إذ هم باختبار هذه الخدمة يمجّدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح وسخاء التوزيع لهم وللجميع ... لأنّنا لا نمدّد أنفسنا كأنّنا لسنا نبلغ إليكم . إذ قد وصلنا إليكم أيضًا في إنجيل المسيح ... فإنّه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به ، أو كنتم تأخذون روحًا آخر لم تأخذوه ، أو إنجيلاً آخر لم تقبلوه فحسناً كنتم تحتملون ... أم أخطأت خطية إذا أذللت نفسي كي ترتفعوا أنتم لأنّي بشّرتكم مجانًا بإنجيل الله؟ » (٢ كورنثوس ٤:٣-٤؛ ٩:١٣؛ ١٠:١٤؛ ١١:٤،٧) .

« أشكر إلهي عند كلّ ذكري إيّاكم دائمًا في كلّ أدعيتي مقدّمًا الطلبة لأجل جميعكم بفرح ، لسبب مشاركتكم في الإنجيل من أوّل يوم إلى الآن ... كما يحقّ لي أن أفتكر هذا من جهة جميعكم لأنّي حافظكم في قلبي في وثقي وفي المحاماة عن الإنجيل وتثبيته ... ثمّ أريد أن تعلموا أيّها الإخوة أنّ أموري قد آلت أكثر إلى تقدّم الإنجيل ... وأولئك عن محبّة

عالمين أنّي موضوع لحماية الإنجيل ... فقط عيشوا كما يحقّ لإنجيل المسيح حتّى إذا جئت ورأيتكم أو كنت غائبًا أسمع أموركم أنّكم تثبتون في روح واحد مجاهدين معًا بنفس واحدة لإيمان الإنجيل ... وأمّا اختباره فأنتم تعرفون أنّه كولد مع أب خدم معي لأجل الإنجيل ... نعم أسألك أنت أيضًا يا شريكي المخلّص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع إكليمندس أيضًا وباقي المعلّمين معي الذين أسماؤهم في سفر الحياة » (فيليبّي ١:٣-٥، ٧، ١٢،١٧،٢٧؛ ٢:٢٢؛ ٤:٣).

« ... إنّ إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوّة أيضًا وبالروح القدس وبيقين شديد كما تعرفون أيّ رجال كنّا بينكم من أجلكم ... لأنّكم أنتمَ أيّها الإخوة تعلمون دخولنا إليكم أنّه لم يكن باطلًا ، بل بعدما تألّمنا قبلًا وبغي علينا كما تعلمون في فيليبّي جاهرنا في إلهنا أن نكلّمكم بإنجيل الله في جهاد كثير . لأنّ وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر ، بل كما استحسنّا من الله أن نؤتمن على الإنجيل هكذا نتكلّم لا كأنّنا نرضي الناس بل الله الذي يختبر قلوبنا ... هكذا إذ كنّا حانين إليكم كنّا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضًا لأنّكم صرتم محبوبين إلينا . فإنكم تذكرون أيّها الإخوة تعبنا وكدّنا إذ كنّا نكرز لكم بإنجيل الله ... فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل معنا في إنجيل المسيح حتّى يثبّتكم ويعظكم لأجل إيمانكم » (١ تسالونيكي ١:٥؛ ٢:١-٤، ٨-٩؛ ٣:٢).

« الذي كنت أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمني عوضًا عنك في قيود الإنجيل » (فيلمون ١٣).

المؤلّفات البولسيّة ككتاب

التشديد على الإنجيل قويّ لدرجة أنّه يظلّل كلّ صورة يمكن أن نأخذها عن شخص بولس؛ كما لو أنّ بولس جعل نفسه شفّافًا حتّى يرى سامعوه وقارئوه فيه الإنجيل فقط. والإنجيل، كما يقول بولس بوضوح في الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي (٢:٨) والرسالة إلى فيليبّي (١:٣–٥،٢٧)، هو الجسر الوحيد للتواصل بينه وبينهم، والمنظار الوحيد لكي يرى واحدهم الآخر. وهكذا، كلّما تكلّم بولس عن نفسه، فهو يفعل هذا بارتباط مع سلطته الخاصّة كرسول للإنجيل. وقد هدف من هذه الملاحظات دعم دفاعه عن الإنجيل. وقد درّب بولس رعيّته على أن ينظروا إليه كرسول حصرًا، أو كرسول إليهم، على وجه التخصيص (١ كورنثوس ٩:٢؛ ٢ كورنثوس ٣:١–٣). وسلطته هذه لا يستعملها إلّا لينشر الإنجيل بينهم، وهي كانت ذات فائدة خاصّة بالنسبة إليه ذلك لأنّه يمكن استخدامها في غيابه وفي حضوره بالجسد أيضًا:

« فإنّي أنّا كأنّي غائب بالجسد ولكن حاضر بالروح فقد حكمت كأنّي حاضر في الذي فعل هذا هكذا. باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوّة ربّنا يسوع المسيح أن يسلّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الربّ يسوع » (١ كورنثوس ٥:٣–٥).

إنّ قدرته على ممارسة سلطته، بهذا الشكل، جعلت حضوره الجسديّ غير ذي أهميّة إذ كان يجعل نفسه حاضرًا بكلماته؛ أي أنّ

بولس أرسل إلى كنائسه تجسّدًا له في كلمات. إقرارًا بهذه السلطة، التي في كلمات بولس، جمع معاونوه، بقيادة تيموثاوس، الرسائل التي كتبها لكنائسه في مجموعة صارت لهم ذا سلطة في إنجيله[١]. هذه المجموعة هي التي ضمنت إلّا تغتنم معارضة بولس المستمرّة فرصة غيابه، وذلك لأنّه، في هذه الرسائل، حاضر بقوة حتّى بعد موته. كانت عمليّة جمع رسائل بولس، لهذه الغاية، الخطوة الأولى نحو خلق « كتاب رابع (وأخير)[٢]» لـ « إسرائيل الله ». وهذه العمليّة إنّما هي بداءة ما صار يعرف بالعهد الجديد.

في تحقيق هذا الجسم الكتابيّ الجديد كان القادة البولسيّون للكنائس الأمميّة الناشئة يحذون حذو أسلافهم، حزقيال وكتّاب العهد القديم الكهنوتيّين الذين بدأوا بجمع « كلمات » عاموس وهوشع وإشعياء وميخا وإرميا[٣]. العمليّة ذاتها تكرّرت في القرن الميلاديّ الأوّل. فكانت الخطوة الأولى التي قامت بها المدرسة البولسيّة جمع رسائل المعلّم في مجموعة واحدة وزيادة سلسلة من الرسائل الإضافية على هذه المجموعة كتبت في الخطّ التعليميّ ذاته، وكما كانت العادة

---

(١) أنظر ص ١٥٣.

(٢) أنظر أيضًا الكلام على العهد الجديد ككتاب رابع في المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثالث، ص ١٥٧، ١٨١-١٨٧،٨٦-٩١. أنظر الجزء الأوّل من المدخل ذاته، ص. ١٤٣-٤٥، في ما يختصّ بالكتب الموسويّة الخمسة كـ « الكتاب الأوّل »، والجزء الثاني، ص ٢٠١-٢٠٥، حيث « الأنبياء » يعتبرون « الكتاب الثاني »، والجزء الثالث، ص ١٥١-١٥٢، حيث ينظر إلى الأدب الحكميّ كـ « الكتاب الثالث ».

(٣) انظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ١٦١،٢٠١-٢.

في ذلك الوقت سمّيت باسمه وذلك من باب تقديم الاحترام له (وأوّل هذه الرسائل إلى أهل كولوسي ورسالة تيموثاوس الثانية) . وهكذا خلق تلاميذ بولس وأسلافه أنبياء العهد القديم مجموعة من الكتابات ذات سلطة تحدّد المميّزات الحقيقيّة لإسرائيل الله وطبيعته .

شرعة أكثر منهجيّة

الخطوة الثانية التي قامت بها المدرسة البولسيّة كانت أكثر تعقيدًا . يجب أن نذكر هنا أنّ مدرسة حزقيال ، إلى جانب تحرير كلمات الأنبياء في دروج ككتابات مقدّسة ، راحت تنتج كتابها هي ، أي **التوراة** (الكتب الموسويّة الخمسة) ، حتّى تقدّم نظرة أكثر منهجيّة لتعليمهم[1] . الكتب الموسويّة الخمسة هي قصّة بداءة شعب الله أعيدت كتابتها على ضوء التعليم النبويّ الذي عيّن هويّة الإله الحقيقيّ لليهوديّة الناشئة وحدّده[2] . وقد تمّ انتاج إنجيل مرقس ضمن خطّ مشابه . فهو يعيد قراءة كلّ القصص عن يسوع التي ما زالت حيّة في ذاكرة قادة الكنيسة الأولى ، وذلك على ضوء تعليم الإنجيل البولسيّ . في بشارة بولس وتعليمه يسوع المسيّا والربّ يتماهى مع الإنجيل الذي علّمه الرسول وبشّر به . فإنجيل بولس إلى الأمم قد حمل إليهم يسوع نفسه ؛

---

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الثاني ، ص ١٦٠-٦١ .

(٢) أنظر المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الأوّل والجزء الثاني . العبارة المفتاح هنا هي فعل « حدّد » ، كتابات اليهودية الناشئة ذات السلطة هي نتاج أقلية ممّن بقوا أمناء لتعليم مَن صاروا يعرفون بالأنبياء الحقيقيّين ، حملة الكلمة الإلهيّة . لا وجود لإسرائيل الكتابيّ خارج أذهان هؤلاء الأنبياء ؛ فهم الذين خلقوا فكرة إسرائيل التي ندعوها الآن « إسرائيل الكتابيّ » . بكلمات أخرى : نظرتنا إلى

اليسوع الوحيد الذي عرفوه، بدءًا بتيموثاوس ومرقس اللذين لم يشاهداه شخصيًّا، هو الحقيقة المحفورة في أذهانهم وقلوبهم بفضل كلمات بولس الرسوليّة[1]. لا بدّ من أنّهم قرّروا – وهم غالبًا قادة كتيموثاوس ومرقس – أنّ إرث بولس المكتوب غير ملائم، حتّى بالأعمال المضافة إليه كالرسالة إلى أهل كولوسي. وخلصوا إلى أنّه من الضروريّ كتابة نظرة إلى المسيح، موضوع بشارة بولس ومضمونه، أكثر منهجيّة. ولكن لماذا؟ ما الذي خطر في أذهانهم حتّى يبدأوا مشروعًا ضخمًا كهذا؟ ما الهدف منه؟ وعلى من تعود فائدته؟ وهل كان ضروريًّا أم أنّه من الأمور الكماليّة التي يستحسن امتلاكها؟

الحدث الذي أدّى إلى اتخاذ القرار بكتابة إنجيل هو موت بولس. فقد ترك هذا الحدث الكنائس الأمميّة في وضع غير مستقرّ، من دون رسول يدعمهم، الأمر الذي اضطرّهم إلى إيجاد وسيلة أخرى للدعم مختلفة، ولكن بالسلطة ذاتها. فجمعت رسائل بولس وكتب تيموثاوس شرعة جديدة (الرسالة إلى أهل كولوسي) مبنيّة على سلطة

إسرائيل وهويّته شكّلتها كتابات هؤلاء الأنبياء؛ كثيرون من معاصريهم، أو أغلبهم، كانت لهم، على الأرجح، نظرة مختلفة جدًا لإسرائيل أو تاريخه أو طبيعته أو ميزاته. والأمر ذاته ينطبق على «المسيحيّة الأولى»: إنّ ما أصبح بالنسبة إلينا أمرًا معيارًا هو، على الارجح، لا بل بالتأكيد، جهاد أقلّيّة صغيرة من أجل حياتها في تلك الفترة.

(١) إلى جانب المقاطع التي سبق أن أوردناها عن الأسبقية التي يعطيها بولس للإنجيل على شخصه؛ أنظر أيضًا: رومية ١:١-٤؛ ١٠:١٦-١٧؛ ١ كورنثوس ٣:١-١١؛ ٤:١٧؛ ١٥:١-٥؛ ٢ كورنثوس ٢:١٢؛ غلاطية ١:٦، ١١-١٢، ١٥-١٦؛ ٤:١٣،١٨.

بولس الرسوليّة . ولكن رغم كلّ ما قلناه آنفًا عن أهميّة كلمة بولس الرسوليّة وتقدّمها على شخصه ، لم تكن الكلمة المكتوبة في هذه الرسائل المجموعة تحمل الوزن ذاته كما لو كان بولس حيًّا . كان الرسل الآخرون الأحياء مرتبطين بالقيادة الأورشليميّة التي سبق لها أن رفضت ، علنًا ، تحرّر المؤمنين من الأمم من الختان والأوامر الموسويّة . الأمل الوحيد هو في استمالة أحد هؤلاء القادة إلى المعسكر البولسيّ . كان يعقوب أو من تبعه من الأشخاص الذين يصعب إقناعهم ، لكنّ بطرس كان أقلّ صلابة في هذا الموقف وأقرب إلى قضيّة الامم . هذا بالإضافة إلى أنّه كان رسولًا وكان رديف بولس بين اليهود (غلاطية ٢:٧–٨) ، الأمر الذي يعني أنّه يمكن أن يؤثّر على يعقوب (الآية ٩) وسائر القيادة الأورشليميّة .

مرقس

مرقس ، رفيق بولس في أيامه الأخيرة ، كان صلة وصل طبيعيّة بين التبعيّة البولسيّة وجماعة بطرس . « يسلّم عليك أبفراس المأسور معي في المسيح يسوع ، ومرقس وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معي » (فيلمون ٢٣–٢٤) . ولاحقًا نرى مرقسَ لا يزال مع تيموثاوس (كولوسي ٤ : ١٠) . إلّا أنّ صلته الوثيقة ببرنابا ، وخصوصًا ببطرس ، هي التي جعلته الشخص الأنسب لهذه المهمّة (كولوسي ٤ : ١٠؛ أنظر أيضًا أعمال ١٢ : ٢٥؛ ١٥ : ٣٧): « تسلّم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقس ابني » (١ بطرس ٥ : ١٣؛ أنظر أيضًا أعمال ١٢ : ١٢). لفترة وجيزة جعلت علاقته ببرنابا زملاء بولس يرتابون لأمره ، إلى حدّ

أنّ تيموثاوس اضطرّ إلى أن يضيف ملاحظة حول كونه جديرًا بالثقة : « يسلّم عليك أرسترخوس المأسور معي ، ومرقس ابن اخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا . إن أتى اليكم فاقبلوه » (كولوسي ٤ : ١٠) .

المؤلّف

الواقع الذي جعل من مرقس جسرًا ممدودًا ، نحو التبعيّة البطرسيّة ، قد طبع التقليد الذي ينسب الإنجيل إليه ؛ وقد يكون هو المؤلّف في الحقيقة . غير أنّ نصّ الإنجيل يبدو وكأنّه يلمّح إلى مرقس كجزء من قصّة الإنجيل[1] . الإمكانيّة الأخرى هي أن يكون مؤلّف الإنجيل هو نفسه مؤلّف لوقا – أعمال ، الذي يظهر إتقانًا للغة اليونانيّة أساسًا لمن يتأمّل في مشروع كهذا . أضف إلى هذا أنّ هذا الاحتمال ، إذا صحّ ، يفسّر الحرية التي استعملها لوقا لإعادة كتابة إنجيله الأوّل في جزءين مهمّين ، لوقا – أعمال. على كلّ حال ، إذا كان لوقا هو المؤلّف ينبغي أن يكون كتب إنجيل مرقس تحت مراقبة تيموثاوس ومرقس ، وذلك لما في هذا الشأن من دقّة . وبما أنّ الاحتكام إلى بطرس قد كتب من مرقس نفسه أو استعمل مرقس كمثل ، أو الاحتمالان معًا ، فهذا الكتاب هو ، بمعنى ما ، رسالة « مرقسيّة » إلى التبعيّة البطرسيّة . وبما أنّ اسم لوقا مرتبط بإنجيل لوقا وبأعمال الرسل ، فسوف أشير إلى هذا الإنجيل ومؤلّفه بعبارة « مرقس » .

الإنجيل المكتوب

مع ذلك لا يشرع المرء في مهمّة مستحيلة . بل عليه أن يتسلّح

(١) راجع تعليقي على مرقس ١١:٢؛ ١٤:٥١؛ ١٦:٥ .

بأمل واقعيّ بالنجاح قبل أن يبذل جهدًا عظيمًا في مشروع ضخم كهذا . ما هي العلامة التي تدلّ على أنّ هذه المغامرة قد تنجح ؟ هي تكمن في الوضع في أورشليم وما يحيط بها في ذلك الوقت . فقد بدأت في السنة ٦٦م. ثورة يهوديّة ضدّ السلطات الرومانيّة أشعلت حربًا انتهت بحصار المدينة وسقوطها على يد الجيوش الرومانيّة السنة ٧٠. وكالعادة ، وضعت هذه الثورة المؤمنين اليهود في مأزق صعب . فإذا لم يعلنوا ، كيهود ، وقوفهم إلى جانب أصحابهم بحملهم السلاح للدفاع عن أورشليم يكونون خائنين . وإذا فعلوا ذلك ، يكونون ، كأتباع يسوع ، قد خانوا إيمانهم به كالمسيّا الذي أعطاهم ملكوت الله وضمن لهم الحرية التي يناضل اليهود للحصول عليها . بكلام آخر : الثورة اليهوديّة التي بدأت السنة ٦٦م. أجبرت الكنيسة الأورشليميّة على أن تدرك عمق الهوّة التي تفصلها عن اليهوديّة المعاصرة . نظرة اليهود إلى مدينة الله كمدينة أرضيّة أسمها أورشليم لم تتغيّر منذ زمن إرميا وحزقيال . وقتها كانت هذه النظرة تتعارض مع نظرة هذين النبيّين أيضًا [١]. فقد علّم النبيّان إرميا وحزقيال أنّ كلمة الله هي التي تهمّ ، لا المدينة الأرضيّة . والحقيقة أنّ إرميا ، كحامل كلمة الربّ (إرميا ١:١-٩) صار هو نفسه ، بمعنى ما ، مدينة الربّ ، مقاومًا الأورشليميّين واليهوذيّين (الآيتان ١٨-١٩) . وحزقيال أيضًا صار مسكنًا للكلمة الإلهيّة (حزقيال ٣:١-٣) وتكلّم ضدّ بيت إسرائيل المتمرّد (٢:١-٧؛ ٣:٤-١١) ، وذلك من بابل ، أرض الأمم الذي نفوه إلى هناك السنة

(١) أنظر ، مثلًا ، إرميا ٧؛ ٢١؛ ٢٥:١-١٣؛ ٢٨؛ حزقيال ٢:١-٣: ١١؛ ٢٠.

٥٩٧ ق.م. وضربوا أورشليم بعد عقد من الزمن تمامًا كما فعل الرومان في القرن الأوّل للميلاد. من خلال هذين النبيّين، وجّه الله رسالته الخلاصيّة لأورشليم ضدّها ومن خارج حدودها!

استفاد مرقس من هذا الوضع وصاغ مخطّطه الأدبيّ وفقًا لتصميم حزقيال. الكلمة الإلهيّة، وهي الآن إنجيل بولس، تنادي الكنيسة الأورشليميّة لتقطع صلتها باليهوديّة المتمرّدة، وذلك من خارج أورشليم – من روما وغرب آسيا الصغرى. هذا بالإضافة إلى أنّها تدعو تلك الكنيسة لتنتقل من أورشليم وتقيم في ما بين الكنائس الأمميّة، التي منها تقوم الكلمة الإلهيّة الآن كإنجيل. وبما أنّ هذه الكلمة الإلهيّة قد تماهت مع يسوع نفسه، المسيّا المصلوب، استعمل مرقس كلّ ما توفر لديه من تقاليد حول يسوع وقدّمها في قصّة يسوع الذي من الجليل. تكمن أهميّة الأصل الجليليّ في أنّ يسوع أتى من خارج أورشليم، ومن خارج اليهوديّة. إلى هذا المكان الغريب نسبيًّا عن اليهوديّة دعي بطرس ليترك أورشليم لكي «يرى القائم» (مرقس ١٦:٧) ويصير بهذا رسولًا حقيقيًّا ليسوع[١].

أعتقد بقوّة أنّ مرقس ذهب أبعد من هذا: فقد أدرك قصّة يسوع ورتّبها وفقًا لتصميم كتاب إشعياء. هذا يعني أنّه قصد بها منذ البدء أن تكون كتابًا مقدّسًا، وتقرأ في الكنائس البولسيّة الأمميّة وعلى الرجاء، في جماعة الكنيسة الأورشليميّة أيضًا في مقرّها الجديد خارج أورشليم. لماذا اختار مرقس كتاب إشعياء ليحاكيه؟ ثمّة سببان لذلك، أوّلهما

---

(١) أنظر ١ كورنثوس ٩:١؛ ١٥:٥–٨ للربط بين «رؤية الربّ» والرسوليّة.

ماديّ وثانيهما شكليّ. من الناحية الماديّة يمكن القول إنّ إشعياء هو الكتاب المسيّانيّ بامتياز[١] وهو تاليًا ملائم كمخطّط لقصّة يسوع، المسيّا. وهو يعتبر بالإضافة إلى هذا، «قصّة كلمة الله» الموجّهة إلى مدينته، أورشليم. كلمة الله تدين المدينة وتدعوها لتصير حقًّا مدينته، المكان الذي فيه يحقّق قضاءه العادل والذي إليه تأتي كلّ الشعوب لتنعم بالسلام[٢]. هذه «القصّة» وهي قصّة خيانة مستمرّة من جهة إسرائيل، وأمانة لا تتزعزع من جهة الربّ»[٣] خدمت أهداف مرقس.

وهكذا كان مرقس شخصًا نقل ولاءه من برنابا (وبطرس) إلى بولس، أي فعل ما كان مطلوبًا من بطرس وخلفائه.

مرقس وهو قصد أن يشدّد على أنّ «إسرائيل» بشخص بطرس ويعقوب، غير أمين لكلمة الله المعبّر عنها في الإنجيل (البولسيّ).

أمّا من الناحية الشكليّة فالقصّة الواحدة المقدّمة في إشعياء تقدّم في الواقع «كسلسلة كاملة من قصص تتبع نسقًا متكرّرًا»[٤]. هدف هذا الترتيب التشديد على خيانة الشعب إزاء أمانة الربّ، لأنّ النسق المتكرّر هو «أنّ الشعب يحاول من خلال تمرّده أن ينهي القصّة، لكنّ الله، من خلال أنبيائه، عنده دائمًا كلمة أخيرة»[٥]. هذا النسق الواضح في

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ١٢١-١٢٨؛ ١٦٦-١٨٥؛ ١٦٩.

(٢) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٣) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ٢٦١.

(٤) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ٢٦٢.

(٥) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ٢٦٢.

إشعياء، بشكل خاصّ، نجده في كلّ العهد القديم، وهو الذي يجعله فعلًا نسقًا «كتابيًّا» بقدر ما هو نسق إشعيائيّ[١].

يستتبع هذا النسق الكتابيّ ميزة أخرى شديدة الأهمّيّة. تقدّم «قصّة» إشعياء قصّة لمدينة أورشليم من بدئها إلى نهايتها كأورشليم «جديدة». لكنّه ينظر دائمًا **من منظور النهاية**، وهذا واضح في «رؤيا» إشعياء الافتتاحيّة للكلمة الإلهيّة: موضوعها الأساس أورشليم الأخرويّة حيث يتأسّس سلام الله الأخرويّ والتي إليها ستتدفّق الشعوب جميعًا (٢: ١-٤)[٢]. «منظور النهاية» ميزة مهمّة من ميزات أدب العهد القديم وإنجيل بولس، ذلك أنّ مسيح بولس هو دائمًا المسيح الآتي، الربّ القائم الذي سيأتي ليدين العالم[٣]. وعليه، عندما يبدأ يسوع «يكرز بإنجيل الله» (١: ١٤) في بدء مرقس، فهذا الإنجيل مركّز على نهاية الأزمنة: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله» (الآية ١٥). كانت أورشليم يوم إشعياء مدينة أرضيّة حقيقيّة، لكن ما كتبه عنها لوّنه برؤياه مجدها المستقبليّ؛ بالطريقة ذاتها يكتب مرقس عن الشخص البشريّ ليسوع الذي من الجليل، لكن تقديمه هذا الشخص ملوّن برؤياه الربّ القائم المنتظر رجوعه بالمجد.

---

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ٢٦٦-٢٧١؛ المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثالث، ص. ٩٩-١٠٤.

(٢) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٣) انظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ٢٦٢-٢٧١.

الإنجيل المكتوب ككتاب مقدّس

أشرت سابقًا إلى أنّ مرقس لم يرد أن يكتب مقالة لاهوتيّة أو مراجعة موجّهة إلى بطرس والكنيسة الأورشليميّة كما فعل بولس في رسالته إلى أهل روما فحسب. بل كان يريد أيضًا أن يكتب « كتابًا مقدّسًا » للكنائس الأمميّة البولسيّة مبنيًّا على إنجيل بولس كما قدّمه في بشارته وتعليمه. فهو يشير إلى عمله هذا ك « إنجيل »، واضعًا هذه العبارة في الجملة الأولى التي يمكن اعتبارها عنوانًا للكتاب كلّه: « بدء إنجيل يسوع المسيح، ابن الله ».

ثمّة دلالة أخرى على أنّ مرقس قصد أن يكتب « كتابًا »، وذلك في الملاحظة الآتية: « ... ليفهم القارئ » في ١٣: ١٤. الإشارة الى قارئ **واحد** معبّرة. في يومنا هذا، نحن أبناء جيل ما بعد اكتشاف الطباعة، يختلف فهمنا لمعنى « الكتب » أو « القراءة » عمّا كان عليه في القرن الأول ميلاديّ. في ذلك الوقت كانت نسخ الكتاب، أي كتاب، قليلة، وكانت « قراءتها » تحصل عادة في اجتماعات. نستدلّ على هذا من معنى الفعل العبريّ **قرا** وما يقابله في اليونانيّة Anaginosko؛ كلاهما يفيد « القراءة عاليًا »، وليس القراءة الشخصيّة كما نفهمها اليوم. وهكذا كان مفهوم القراءة يستتبع بالضرورة القراءة العالية من قبل شخص واحد هو « القارئ » في اجتماع رسميّ يكون فيه آخرون حاضرين، هم « السامعون ». في رؤيا ١:٣ نجد شهادة أخرى على هذا: « طوبى **للذي يقرأ والذين يسمعون** أقوال النبوّة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لانّ الوقت قريب ». ثمّة في هذا

النصّ أمر ذو أهميّة خاصّة ، وهو أنّ النصّ اليونانيّ يشير إلى القارئ بالمفرد وإلى السامعين بالجمع « طوبى للذي يقرأ والذين يسمعون » . وهكذا ، إذا كان إنجيل مرقس موجّهًا إلى قارئ واحد فهذا القارئ هو « القارئ الرسميّ » للجماعة المجتمعة .[١] وبما أنّ الكتاب المقدّس كان يقرأ ويفسر في هذه الاجتماعات فالقارئ أو المفسّر هو من ينبغي له أن يفهم النصّ ، لكي يشرحه للآخرين .

استنتاجي هو أنّنا نجد في إنجيل مرقس « قصّة » أريد بها أن تقرأ في الاجتماعات البولسيّة كما تقرأ النبوءة[٢] ، « قصّة » مقدّمة ككلمة ، أو ، بشكل أخصّ ، ككلمة الله . بهذه الطريقة تعالج « قصص » البطاركة ، والخروج ، ومملكتي إسرائيل ويهوذا في العهد القديم . بكلام آخر : كان إنجيل مرقس يعتبر ككتاب مقدّس .

مضمون القصّة

قرّر مرقس إذًا أن يخلق « قصّة ليسوع » وأراد بها أن تكون كتابًا ، ولكن ما هو مصدر هذه القصّة وخطوطها العريضة ؟ هل خلقها من لا شيء مقسّمًا تصميمه ليدخل صورًا عن يسوع موجزة في كلّ متكامل ؟ أنا مقتنع بأنّه استعمل خطوطًا عامّة لقصّة كانت معروفة في الكنائس الأمميّة . سبق أن أشرت إلى نقطتين جوهريّتين : المساواة العمليّة

---

(١) نجد الفهم ذاته لعبارة « قراءة » في القرن السابع م . فكتاب الإسلام المقدّس يدعى القرآن ، في حين أنّ قارئه العلنيّ هو المؤذّن ، وقراءته هي الآذان ، والمكان الذي يقرأ منه المئذنة .

(٢) كما في رؤيا ١:٣ .

بين شخص يسوع وكلمات الإنجيل حوله ؛ وأنّ بولس كان بالنسبة إلى الكنائس الأمميّة ولليهود وتيموثاوس ومرقس الرسول ، حامل هذا الإنجيل ذا السلطان . إذا أخذنا هذين الأمرين جدّيًا بعين الاعتبار يمكننا أن نفهم أنّ « قصّة الإنجيل » في أذهان تلاميذ بولس وجماعاته كانت قد رسمت خطوطها العريضة : كانت تتبع نهج بولس في حياته ونشاطه كرسول . ليس صعبًا أن نحدّد هذه الخطوط العريضة ، كونها تعرض بشيء من التفصيل في رسائل بولس ، التي كتبها **كرسول** ، أي بارتباط مع شرحه إنجيل ودفاعه عنه . من هذه الرسائل غلاطية وفيليبّي هما الوحيدتان اللتان تتشابك فيهما الحجّة والمعلومات الشخصيّة عن بولس كرسول ، ما يجعل من تاريخ المؤلّف وخبراته نوعًا من « قصّة إنجيل » . تعالج الأولى اهتمام مرقس المباشر : إنجيل بولس من جهة ، وبطرس ويعقوب والكنيسة الأورشليميّة من جهة أخرى . أمّا الثانية فهي وصيّة بولس من سجنه قبل موته وهي تعكس أنّ السلطات في الكنيسة الأورشليميّة لم تُعِر المراجعة التي قدّمها بولس إليهما في الرسالة إلى أهل روما أيّ انتباه . بالحجج ذاتها التي في هاتين الرسالتين كتب مرقس « قصّة إنجيله » .

سابقة العهد القديم

قد يبدو هذا غريبًا للقارئ المعاصر ، ولكن هكذا كانت تجري الأمور في العهد القديم ، وما فعله مرقس لم يعد كونه مجرّد اتباع للمثل الذي وضعه الكتاب المقدّس نفسه . كانت الكتب الموسويّة الخمسة كلّها وكذلك تثنية الاشتراع والتاريخ التثنويّ بشكل خاصّ ، تعتبر

« قصصًا » ، وذلك على أساس التعليم النبويّ[١]. يمكننا ، حتّى ، أن نقول إنّ هذه « القصص » قد نسجت من شخصيّات الأنبياء وحياتهم . طالما أشار العلماء إلى أوجه شبه بين موسى وإرميا[٢]. ولاحظوا أيضًا أنّ الكتب الموسويّة الخمسة تصف هارونين : الأوّل تابع لموسى أو حتّى معارضه ،[٣] والثاني خليفته كرئيس كهنة على مرّ العصور[٤]. في حين قاد موسى إسرائيل في حياته ، قاده هارون الآخر على مرّ الأجيال[٥]. هذا الهارون الآخر شبيه إلى حدّ بعيد بحزقيال ، الكاهن النبيّ الذي عاش في فترة السبي . ومعبد هارون في البريّة صورة عن أورشليم حزقيال الأخرويّة[٦]. وأخيرًا نجد أنّ يشوع القائد الذي أدخل إسرائيل إلى كنعان الأرض الموعود بها لإبراهيم يشبه إشعياء الثاني وإلى حدّ ما حزقيال . إسما إشعياء ويشوع من الجذر ذاته الذي يعني ، في العبريّة ، « الربّ يخلّص » ، وإشعياء الثاني هو النبيّ الذي يتحدّث عن العودة إلى

---

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الأوّل ، ص ٧١-١١٨. والمدخل إلى العهد القديم ، الجزء الثاني ، ص ١٦٠-١٦٢.

(٢) قارن ، مثلًا ، إرميا ١:٦ مع خروج ٤:١٠؛ وإرميا ٥:١٩؛ ١٦:١٠-١١؛ ٢٢:٨-٩ مع تثنية ٢٨:٤٧-٤٨؛ ٢٩:٢٣-٢٤؛ وإرميا ٧:١٦؛ ١١:١٤؛ ١٤:١١؛ ١٥:١ مع خروج ٣٢:١١-١٤؛ ٣٠-٣٢؛ عدد ١١:٢؛ ١٤:١٣-١٩؛ ١٦:٢٢؛ ٢١:٧؛ تثنية ٩:٢٥-٢٩.

(٣) خروج ٤:١٠-١٧،٢٨؛ ٧:١-٢،٩،١٩؛ ٨:١٦؛ ١٦:٩،٣٣؛ ٣٢:١-٦، ٢١-٢٥،٣٥؛ عدد ١٢:١-٩.

(٤) خروج ٢٨-٣١؛ ٣٩؛ عدد ١٦-٢٦.

(٥) لاويّين

(٦) حزقيال ٤٠-٤٨؛ خروج ٣٥-٣٨.

مدينة الله، أورشليم، وفي الوقت عينه، يعتبر إبراهيم الشخص الذي قطع الوعد لنسله[١]. من جهة أخرى يتمّ فتح الأرض من قبل يشوع على الطريقة «الكهنوتيّة»: الربّ هو الذي يقود إسرائيل بشكل عباديّ إلى الأرض كما لو كانت قدس الاقداس، تمامًا كأورشليم حزقيال الجديدة[٢].

خلق مرقس في إنجيله بنية مشابهة؛ حياة يسوع هنا تذكّر «بنبيّ» العهد الجديد. هدف مرقس دعوة كنيسة أورشليم وأتباع بطرس – ومن خلالهم يهوديّة ذلك الزمن بكاملها – إلى التخلّي عن أورشليم الأرضيّة التي قدرها الدمار واتّباع الدعوة النبويّة الخارجة من «بريّة الأمم» إلى أورشليم الجديدة السماويّة. وهذا الصوت النبويّ ما هو إلّا صوت بولس «عبد ليسوع المسيح المدعو رسولًا المفرز **لإنجيل الله**، الذي **سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدّسة**»، (رومية ١:١–٢). وهكذا تبدو صورة يسوع في تصوير مرقس ليسوع، كما تبدو صورة إرميا في تصوير الكتب الموسويّة الخمسة لموسى.

بنية إنجيل مرقس

نتبيّن هيكليّة إنجيل مرقس الأدبيّة إذا أعرنا انتباهنا الطريقة التي بها يبدو بولس والمسائل التي تواجه الكنائس الأمميّة في قصّة يسوع. القصّة مبنيّة حول إطار يبدأ بمقدّمة (١:١–١٥) تليها دعوة في ثلاث دورات

(١) إشعياء ٤١:٨–٩؛ ٥١:١–٣.

(٢) يشوع ٣–٤؛ ٦:١–٢١؛ حزقيال ٤٨:٣٠–٣٥؛ أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ١٥٩–١٦٠.

(١٦:١-٣:١٢؛ ٣:١٣-٦:٦أ؛ ٦:٦ب-٨:٢١) وثلاث دورات تعليم (٨:٢٧-٩:٢٩؛ ٩:٣٠-١٠:٣١؛ ١٠:٣٢-٤٥) . ثمّ لدينا مقطع محوريّ حيث تقدّم قيادة تيموثاوس كخلف لبولس (١٠:٤٦-٥٢) ، يليه قسمان طويلان ، أوّلهما يقدّم الإنجيل للمرّة الأخيرة للقيادة المسيحيّة الأورشليميّة (الإصحاحات ١١-١٣) وثانيهما يتحدّث عن رفضه (الإصحاحان ١٤-١٥) . وعندنا ، اخيرًا ، نصّ قصير يوحيّ بأنّ الباب لا يزال مفتوحًا أمام بطرس وأتباعه (١٦:١-٨) ليقبلوا إنجيل بولس .

اللائحة الآتية تقسم هذه البنية إلى مقاطع تفصيليّة وتظهر كيف تعكس هذه المقاطع بولس نفسه ، وإنجيله ، أو المسائل الخاصّة التي واجهها المنتمون إلى إنجيله . وضعناها هنا ليس كنظرة عامّة مبدئيّة ، بل كمرجع سريع يساعد القارئ على أن يتبيّن بسهولة تسلسل القصّة المرقسيّة وهو يتبع النصّ الأساس لهذا الكتاب . ووضعناها أيضًا هنا لنتأكّد أنّ القارئ يعي أهميّتها ؛ أمّا الذين يقرأون هذا الكتاب للمرّة الأولى فننصحهم إمّا بقراءتها بسرعة أو بالعبور عنها في الوقت الحاضر .

المقدّمة

اهتداء بولس من يهوديّة زمنه إلى المسيح المصلوب وبدء الإنجيل .

ثلاث دورات يدعى فيها الرسل الآخرون إلى قبول إنجيل بولس (١٦:١-٨:٢١)

الدورة الأولى (١٦:١-٣:١٢): إلى اجتماع أورشليم .

مقدّمة : دعوة « الأعمدة » (١:١٦-٢٠).

أ. موجز عن جوهر القصص اللاحقة : ثلاث مراحل أساسيّة لنشر الإنجيل (١:٢١-٣٩).

١. نشاط بولس قبل اجتماع أورشليم (١:٢١-٢٨).

٢. لقاء الأعمدة (١:٢٩-٣٤).

٣. الذهاب إلى الأمم (١:٣٥-٣٩).

ب. صيغة موسّعة لقصّة الإنجيل البولسيّ (١:٤٠-٣:١٢) .

١. اهتداء بولس (١:٤٠-٤٥).

٢. المواجهة مع الأعمدة (٢:١-٣:٦).

٣. البشارة بالإنجيل في أنحاء الأمبراطوريّة الرومانيّة (٣:٧-١٢) .

الدورة الثانية (٣:١٣-٦:٦أ): من حادثة أنطاكية إلى كتابة الرسالة إلى أهل رومية .

مقدّمة : دعوة الرسل (٣:١٣-١٩) .

أ. المواجهة مع « الإخوة » (٣:٢٠-٣٠) والانفصال عنهم (٣:٣١-٣٤) الذي يطابق غلاطية ٢:١٠-١٤ .

ب. مضمون الإنجيل (٤:١-٣٤).

ت. الدعوة للخروج من نطاق اليهوديّة (٤:٣٥-٤١) والتبشير بالإنجيل في العالم الأمميّ أيضًا (٥:١-٢٠).

ث. إنجيل الأمم مقدّم أيضًا إلى اليهود (٥:٢١-٣٤) ، وهذا يتطابق مع طرح الرسالة إلى أهل رومية .

ج. القيادة اليهوديّة ترفض الإنجيل (٦:١-٦أ) .

الدورة الثالثة (٦:٦ب - ٨:٢١): بعد موت بولس

مقدّمة: دعوة الرسل إلى الخروج من نطاق اليهوديّة (٦:٦ب-١٣).

أ. الرسل يدعون لمتابعة تعليمه عن المشاركة في المائدة (٦:٣٠-٤٤).

ت. ويدعون للذهاب إلى الأمم (٦:٤٥-٥٢).

ث. يرون الطريق : الإنجيل يقدّم إلى الامم (٦:٥٣-٥٦).

ج. نقد تعليم الأعمدة المتهوّد وتصحيحه (٧:١-٢٣).

ح. ينبغي للإنجيل أن يمضي من دون عائق إلى الأمم (٧:٤-٣٠) في كلّ أنحاء الأمبراطوريّة الرومانيّة (٧:٣١-٣٧) إلى حدّ المشاركة الكاملة في المائدة معهم (٨:١-١٠).

خ. رفض القيادة اليهوديّة (٨:١١-٢١) .

تيموثاوس ، مثل للأعمدة وذلك لأنّ عينيه انفتحتا على الإنجيل (٨:٢٢-٢٦).

هذا المقطع مفصل بين المقاطع التي تتضمّن مجموعتي الدورات . تيموثاوس هو تابع بولس اليهوديّ الأوّل وهو لذلك أفضل المرسلين منه

إلى اليهود . وهو الذي حمل تعليم إنجيل بولس بعد موت هذا الأخير .

ثلاث دورات تفصل إنجيل المسيّا المصلوب (٨:٢٧–١٠:٤٥)

مقدّمة : بدء الإنجيل مربوط بفيليبّي (٨:٢٧–٣٠).

الدورة الأولى (٨:٢٧–٩:٢٩) .

أ. الإعلان الأوّل عن موت يسوع (٨:٣١)

ب. تعليم بطرس إنجيل الصليب (٨:٣٢–٩:١).

ت. تعليم الأعمدة الإنجيل نفسه (٩:٢–١٣).

ث. الجماعة الواحدة التي خلقها الإنجيل تضمّ الأمم (٩:١٤–٢٩).

الدورة الثانية (٩:٣٠–١٠:٣١)

أ. الإعلان الثاني عن موت يسوع (٩:٣٠–٣٢).

ب. تعليم الأعمدة (٩:٣٣–٥٠).

ت. الإنجيل يضمّ الأمم على قدم المساواة مع اليهود (١٠:١–٣١).

الدورة الثالثة (١٠:٣٢–٤٥).

أ. الإعلان الثالث عن موت يسوع (١٠:٣٢–٣٤).

ب. عرض الإنجيل على الأعمدة (١٠:٣٥–٤٥).

ترؤس تيموثاوس للجماعة البولسيّة (١٠:٤٦–٥٢)

مجيء تيموثاوس إلى أورشليم حاملاً رسالة من بولس كما نقلت إلى أهل رومية (١١–١٢).

أ. الدخول إلى أورشليم (١١:١–١١).

ب. سلطة يسوع (١١:١٥–٣٣).

ت. كلمات تعليميّة أخيرة قبل إعلان الامتحان الأخير (الإصحاح ١٢).

دعوة أخيرة إلى الأعمدة قبل مجيء الربّ (الإصحاح ١٣).

رفض رسالة تيموثاوس (١٤–١٥).

أ. رفض أورشليم الأوّل للإنجيل (الإصحاح ١٤)

ب. رفض أورشليم الثاني للإنجيل (الإصحاح ١٥).

عرض مرقس على الجماعة البطرسيّة (١٦:١–١٨).

١١

مقدّمة (١:١-١٥)

« بدء الإنجيل »

عبارة « بدء الإنجيل » مستعارة ، على الأرجح ، من فيليبّي ٤:١٥، وهو الموضع الآخر الوحيد الذي ترد فيه في العهد الجديد . هناك يحدّد بولس « بدء الإنجيل » هذا بتعابير زمنيّة بقوله إنّ الإنجيل « بدأ » عندما غادر مقدونيا . لكنّه كان يبشر بالإنجيل سنين عديدة قبل هذا ، فلماذا اعتبر إذًا أنّه بدأ في ذلك الوقت ؟ أفضل تفسير هو أنّه يريد بهذا أن يقول إنّها المرّة الأولى التي يمارس فيها السلطة المعطاة له من قبل مجمع أورشليم « كرسول للأمم » (غلاطية ٢:٧-١٠)[١]. رأى مرقس أن هذه الإشارة إلى « بدء الإنجيل » مناسبة لأنّها تصف بدء عمله « الرسوليّ » - خلق « الإنجيل » المكتوب - تمامًا كما كانت بشارة بولس في مقدونيا بدء عمله الرسوليّ . عبارة « إنجيل » استعملت إذًا لتشير إلى علاقة كلّ من الكاتبين بالإنجيل . كما استعملت عبارة « بدء » بطريقة نسبيّة لا مطلقة ، ذلك أنّ مرقس لم يعن بها أنّ « الإنجيل » بطريقة ما لم يكن موجودًا قبل « البداءة » التي يصفها .

---

(١) أنظر ص٣١-٣٣.

يوحنّا المعمدان كصورة للرسول بولس

في حين تبدو بداءة الإنجيل وأجزاء أخرى من إنجيل مرقس وكأنّها مأخوذة من كتابات بولس، يحمل وجه يوحنّا المعمدان، في إنجيل مرقس، شبهًا كبيرًا ببولس نفسه. ينبغي ألّا يفاجئنا أن تصوير مرقس يوحنّا المعمدان كشخصيّة تاريخيّة يعكس اهتمامًا بنقل رسالة أكثر من أن يكون كتابة نوع من «تاريخ حرفيّ»، ذلك أنّ هذا الأمر يوافق الطريقة التي بها يصوّر يسوع المسيح نفسه. كما سأظهر في ما يلي، يشدّد إنجيل مرقس في تصويره أحداث الحياة الارضيّة ليسوع المسيح على ربّ ما بعد القيامة الذي صعد وسيعود ثانية. بالطريقة عينها تأثّر تصوير يوحنّا المعمدان كسابق ليسوع ما قبل القيامة بمثل بولس، الذي أصبح، في وقت لاحق، سابقًا للربّ القائم والعائد ثانية. كدليل على هذا سنبدأ بتحليل نصوص العهد القديم الثلاثة التي يطبّقها مرقس على يوحنّا المعمدان.

تعرض هذه النصوص وكأنّها استشهاد واحد من إشعياء، غير أنّ الجزء الأوّل من هذا الاستشهاد (١:٢) ليس مأخوذًا منه. لكنّه يبدو، بدلًا من ذلك، تركيبًا مكثفًا لنصّين آخرين، أحدهما من خروج ٢٣:٢٠-٢١ («ها أنا أرسل ملاكًا أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرّد عليه. لأنّه لا يصفح عن ذنوبكم لأنّ اسمي فيه»)، وثانيهما الآخر من ملاخي ٣:١ («هاأنذا أرسل ملاكي فيهيّئ الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيّد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرّون به

هوذا به يأتي، قال ربّ الجنود»). يقدّم نصّ الخروج السابق «كملاك» (إلماح إلى موسى) يقود إسرائيل في **البريّة**، والبريّة، كما سنرى، موضوع يتكرّر في مرقس. أمّا المقطع الذي من ملاخي، فبعد تكرار الإشارة إلى «الملاك»، يذكر مجيء الربّ، وهو موضوع آخر مهمّ في مرقس. كلا النصّين يتحدّث عن السابق كملاك، الأمر الذي يذكّر بوصف بولس نفسه بـ angelos theou (ملاك/مرسل الربّ؛ غلاطية ٤:١٤).

يكمل مرقس استشهاده بالعهد القديم في الآية ٣ بقول مأخوذ من إشعياء، من الإصحاح ٤٠ في الترجمة السبعينيّة. هنا أيضًا نجد أنّ أصل الرسالة في الصحراء، أو البريّة. مهمّ كذلك استعمال عبارة «الطريق» (hodos)، وهي عبارة تقنية تطلقها الأوساط البولسيّة على رسالة الإنجيل الذين يتبعونه[١]. من بين نصوص العهد القديم الثلاثة، هذا هو الأهمّ في ذهن مرقس، وهذا واضح كونه ينسب النصوص الثلاثة جميعها إلى «إشعياء النبيّ» (١:٢-٣).

وتزداد الأهمّيّة النسبيّة لمقطع إشعياء وضوحًا عندما ندرك أنّ نصًّا يتضمّن عبارة eutheias (مستقيم) هو الخيار الأفضل لمرقس، وذلك لكثرة ما ترد عنده أشكال أخرى من هذه العبارة، وخصوصًا الحال euthys (حالًا/مباشرة)، التي تظهر ما لا يقلّ عن ٤٢ مرّة في هذا الكتاب القصير مقارنة بـ ١٢ مرّة في سائر كتب العهد الجديد[٢]. لا

---

(١) كما في «طريق الربّ»؛ أنظر تفسير غلاطية، ص. ٥٤-٥٥.

(٢) مرقس ١:١٠، ١٢، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٤٢، ٤٣؛ ٢:٨، ١٢؛ ٣:٦؛ ٤، ٥، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٩؛ ٥:٢، ٢٩، ٣٠، ٤٢ (مرّتين)؛

يمكن تجاهل أهميّة هذه العبارة وذلك لأنّ الربط الذي نجده في ١:٣ ما بين الحال euthys والصفة eutheias واضح بالنسبة إلى سامعي مرقس. فالعبارتان شبيهتان في اللفظ وقريبتان في المعنى[1]. وبما أنّ شكل الحال الآخر، Eutheos، يرد ٣٤ مرّة في العهد الجديد ولا يرد أبدًا عند مرقس، يمكننا أن نستنتج أنّ اختيار euthys تمّ عمدًا وذلك لانّ هذه اللفظة مرتبطة بوضوح بلفظة eutheias التي ترد عند إشعياء. في كلّ مرّة يكرّر مرقس هذه العبارة يشير، في الواقع، إلى كيفيّة تحقيق نبوءة إشعياء هذه. ولكن، لماذا استعمل هذه العبارة دون غيرها لتشديد كبير كهذا؟ هنا ايضًا المصدر الظاهر هو بولس الذي يستعمل eutheos ليصف طاعته الفوريّة عندما دعاه الله ليبشر بإنجيل ابنه للأمم[2]. تظهر العبارة مرّة واحدة في رسائل بولس، في غلاطية ١:١٦؛ وكلّ ما تبقّى يرد في كتب حرّرت بعد مرقس. وإذا كان مرقس تبنّى من بولس تشديده على أهمّيّة الجواب «الفوريّ» على دعوة الله، فقد اختار صيغة أخرى للكلمة التي استعملها بولس حتّى يكون ربطه المقصود بإشعياء ٤٠:٣ جليًا.

ولتأكيد أكثر على أنّ قصّة تبشير يوحنّا بمعموديّة التوبة لمغفرة

٦:٢٥،٢٧،٤٥،٥٠،٥٤؛ ٧:٢٥،٣٥؛ ٨:١٠؛ ٩:١٥،٢٠،٢٤؛ ١٠:٥٢؛ ١١:٢،٣؛ ١٤:٤٣،٤٥،٧٢؛ ١٥:١. الأمثلة الأخرى ترد في متّى ٣:١٦؛ ١٣:٢٠،٢١؛ ١٤:٢٧؛ ٢١:٢،٣؛ ٢٦:٧٤؛ لوقا ٦:٤٩؛ يوحنّا ١٣:٣٠؛ ١٩:٣٤؛ أعمال ١٠:١٦.

(١) صيغة المذكر المفرد للصفة eutheias هو euthys، الذي يطابق صيغة الحال.

(٢) أنظر مناقشة هذا الحال في تفسير غلاطية، ص ٦–٧.

الخطايا قد تشكّلت على غرار قصّة تبشير بولس بمعموديّة في المسيح ، يمكننا الإشارة إلى الموازاة بين الشخصيّتين وعملهما . لقد وصف بولس الجانب المركزيّ من عمله بـ « البشارة » (kerysson)، ومرقس يستعمل العبارة ذاتها ليصف عمل يوحنّا . تركيز بشارة بولس كان على المعموديّة ، والمعموديّة في مرقس كانت مهمّة بالنسبة إلى يوحنّا إلى درجة أنّه حمل لقب « المعمدان » . بولس بدأ رسالته في « بريّة الأمم »[١] ، ومرقس يصف أصول يوحنّا في البريّة بشكل مطوّل ، مضيفًا إلى روايته الخاصّة استشهادات من الكتاب المقدّس . والحقيقة أنّ معموديّة يوحنّا وطابعها الخاص كبداءة جديدة للمعمّدين يمكن اعتبارها تذكيرًا بعمل بولس في نشر المعموديّة في المسيح .

من أوجه الشبه هذه يتمتّع موضوع البريّة بأهمّيّة خاصّة . بالنسبة إلى سكان المدن الأقدمين كانت البريّة تعني العقاب والنفي والموت ؛ وكانت عند اليهود أرض « الشعوب » ، أي الأمم الخطأة بالتحديد ، وتاليًا الغرباء عن الله الحقيقيّ والذين هم بحاجة للتوبة لكي يجدوه[٢]. ولكن أصبحت البريّة ، في العهد القديم ، المكان الذي أعلن الله منه خلاص أورشليم ، والذي دعا الأورشليميّين ليأتوا إليه حتّى يتطهّروا ويستعيدوا صباهم الأوّل[٣]. وهذا ما يحصل مع يوحنّا ، فقد « خرج إليه **جميع كورة اليهوديّة وأهل أورشليم** واعتمدوا جميعهم منه في نهر

(١) أنظر لاحقًا .

(٢) أنظر تفسير غلاطية ، ص. ٨٣-٨٤. الفعل العبريّ **شوب** (يعود) يستعمل أيضًا بمعنى التوبة والرجوع (إلى الله) . أنظر ١ تسالونيكي ١:٩ .

(٣) أنظر ، مثلًا ، إشعياء ٣٥:١-٢؛ إرميا ٢:٢،٦؛ ٣١:٢؛ حزقيال ٣٤:٢٥؛ هوشع ٢:١٤؛ ٩:١٠؛ ١٣:٤-٥؛ يوئيل ٢:٢٢.

الأردن **معترفين بخطاياهم** » (٥:١). وهكذا نتبيّن في الموضع الذي يعمل فيه يوحنّا في الملاحظات حول الذين أتوا إليه، نيّة لدعوة اليهود إلى الخروج من أورشليم واليهوديّة لكي يلتقوا في « البريّة (بريّة الأمم) » بالإنجيل الذي يوحّدهم بالله . وكلّ من اعتمد على يد يوحنّا قبل هذه المعموديّة لكي يحظى ببداءة جديدة، تمامًا كما كانت المعموديّة التي تبشّر بها بولس مرتبطة بقبول الإنجيل بهدف الحصول على بداءة جديدة(١) .

إذا أنعمنا النظر في رسالة يوحنّا، نتبيّن بوضوح، الموازاة بينه وبين بولس . فبشارة يوحنّا دعوة لكلّ أهل اليهوديّة والأورشليميّين إلى انتظار المسيح الآتي، وبشكل خاصّ للمسيح الذي قدّمه يوحنّا؛ ربما جاء شخص آخر غير يسوع الناصريّ ودعا نفسه المسيح، ولكن ليس هذا هو المسيح الذي نادى يوحنّا به .

ثمّة شبه في الآيتين ٦-٧ بين يوحنّا وإيليا، وقد عرف هذا الأخير بأنّه ممثّل الكتابات النبويّة في العهد القديم كسابق للربّ(٢). هكذا بالضبط كان بولس ينظر إلى نفسه - كرسول ينادي بمجيء الربّ . يوحنّا يعلن هنا أيضًا أنّه « سيأتي بعدي من هو أقوى منّي الذي **لست أهلًا** (ouk eimi heikanos) أن أنحني وأحلّ سيور حذائه ». جملة « لست أهلًا » مأخوذة حرفيًّا من الرسالة الأولى إلى أهل

(١) ١ كورنثوس ١:١٣-١٧. هدف المعموديّة الأخير ملكوت الله الأخرويّ الذي أتى به المسيح القائم بالروح القدس؛ رومية ٦و٨.

(٢) أنظر ٢ ملوك ١:٨. أنظر أيضًا لاحقًا حول بولس وإيليا، والمدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ٢٠٣-٢٠٥.

كورنثوس حيث وردت مرّة وحيدة في نصّ أقدم من مرقس إذ يعبّر السياق عن التواضع الذي أظهره بولس، وهو يشبه تصريح يوحنّا المعمدان في مرقس: لأنّي أصغر الرسل، أنا الذي لست أهلًا ouk) eimi heikanos) لان أدعى رسولًا لأنّي اضطهدت كنيسة الله» (٩:١٥).

إشارات إلى المستقبل في معموديّة المسيح

ذكرت سابقًا أنّ مرقس، في تصويره المسيح، مهتمّ بنقل رسالة عن يسوع ربًا عائدًا أكثر منه عرض تاريخ «حرفيّ» لحياته الأرضيّة. كمثل على هذا التشديد، لاحظ جملة «وفي تلك الأيام» التي تستهلّ في الآية ٩ ظهور يسوع الأوّل. هذه الجملة نموذجيّة في الأدب النبويّ حين يشار إلى مجيء الربّ، وهي لا ترد في مرقس بعد هذا إلّا في الإصحاح ١٣، الذي موضوعه مجيء المسيح بالمجد. أضف إلى هذا أنّ معموديّة المسيح يختمها نزول الروح القدس، دليلًا على بنوّة يسوع الإلهيّة وربوبيّته[1]. وأخيرًا، التصريح الإلهيّ بشأن يسوع مصاغ على غرار مزمور ٢:٧ الذي يقرأ عند تتويج الملك، والذي يعطي الملك لقب «ابن الله». غير أنّ لغة مرقس لا تقتبس فقط من مزمور ٢: ٧، ولكنّها تشبه أجزاء من غلاطية ١:١٦ حيث يقول بولس إنّ الله سرّ بأن يعلن ابنه فيّ» (غلاطية ١:١٦). يعزّز الانطباع بأنّ الرسالة إلى أهل غلاطية كانت مصدرًا لمرقس بجملة أخرى يستعملها مرقس في هذه المرحلة:

(١) أنظر رومية ١:٤.

« ابني الحبيب » (ho houis mou ho agapetos). تظهر هذه العبارة ثلاث مرات في كلّ العهد القديم (تكوين ٢٢:٢،١٢،١٦) للإشارة إلى إسحاق، وذلك في قصّة أمر الله إبراهيم بالتضحية بابنه. ليس من قبيل المصادفة أنّ بولس في الرسالة إلى أهل غلاطية يتحدّث عن إسحاق، عارضًا إيّاه كصورة للبنوّة الحقيقيّة لله والذبيحة البريئة (٤:٢٨-٢٩). وبما أنّ بولس نظر إلى نفسه كابن لإبراهيم ولله على غرار إسحاق، وبما أنّ بنوّة الله هذه صارت ممكنة وفاعلة بواسطة المسيح (٤:٤-٧)، فقد عرض مرقس بنوّة يسوع، ابن الله الوحيد[1]، مستعملًا العبارات ذاتها. وهكذا أعدّ مشهد آلام هذا الابن الوحيد، وهذا هو الموضوع المركزيّ في إنجيل مرقس.

الصراع في البريّة

وكما ذهب بولس إلى العربيّة، لا إلى أورشليم، فورًا بعد الإعلان الإلهيّ الذي جعل منه رسولًا للأمم (غلاطية ١:١٧)، هكذا « اقتيد » يسوع من الروح إلى البريّة، بعيدًا عن أورشليم (التي كان قريبًا منها، عند نهر الأدرن)[2]. وهناك، في البريّة، حيث يظهر الإله الحقيقي[3]، يحصل صراع أخرويّ بين الربّ وملائكته ضدّ الشيطان و« الوحوش » الرؤيويّة (theria). كلمة « وحوش » في العربيّة لا تنقل المدلول

(١) عبارة agapetos التي ترد في الترجمة السبعينيّة لتكوين ٢٢:٢،١٤،١٦ هي ترجمة للكلمة العبريّة **يحيد** التي تعني « وحيد ».

(٢) انظر تعليقي في تفسير غلاطية، ص ٥١٠ حول قرب العربيّة من أورشليم.

(٣) « أربعين يومًا » إشارة واضحة إلى نيّة إسرائيل بعد الخروج في البريّة حيث ظهر الله لموسى.

الأخرويّ الذي تحمله الكلمة اليونانيّة. في العهد الجديد، تستعمل هذه الكلمة ٣٧ مرّة بصيغة المفرد therion في كتاب الرؤيا الرؤيويّ، حيث تشير إلى الشيطان أو ممثّليه. أمّا سياق أعمال ٢٨:٤،٥ حيث تشير Therion إلى «مخلوق» «نفضه [بولس] إلى النار ولم يتضرّر بشيء رديء» بعد هربه من «البحر الهائج»، فقريب من سياق الرؤيا، وهو تاليًا، ذو لون أخرويّ[١]. ألا يكون الشيطان أو الوحوش في مرقس ١:١٢-١٣ قادرين على قهر يسوع واقع يظهر أنّ الله «أخضع كلّ شيء تحت قدمي» (١ كورنثوس ١٥:٢٧) فعلًا. وهكذا يخرج منتصرًا من الصراع ويذهب إلى الجليل في الآية ١٤.

الرحلة إلى الجليل

الإشارة إلى أنّ رحلة يسوع إلى الجليل، لم تحصل، إلّا بعد القبض على يوحنّا المعمدان، الذي انتهى بموته (الآية ١٤) لم يوردها مرقس لمجرّد إعطاء معلومات زمنيّة في خصوص هاتين الحادثتين. الحقيقة أنّ هذه الملاحظة تبدو في غير محلّها، ذلك لأنّ توقيف يوحنّا وموته يؤتى على ذكرهما بعد خمسة إصحاحات، في ٦:١٤-٢٩. أمّا هذه الملاحظة، فلا معنى لها، إلّا إذا فهمناها كإشارة غير مباشرة إلى موت بولس وتأكيد أنّ عودة يسوع ستكون بعيد هذا الموت، الأمر الذي يناسب الخلفيّة التاريخيّة لكتابة إنجيل مرقس.

---

(١) هناك أربع إشارات. تيطس ١:١٢ وعبرانيّين ١٢:٢٠ استشهادان. أمّا في أعمال ١١:٦ ويعقوب ٣:٧ فهو جزء من تعداد حيوانات، ولا يعني أكثر من حيوانات بريّة.

يمكننا الذهاب بهذا التفسير خطوة أبعد. لقد بشّر يسوع بإنجيل التوبة والإيمان في الجليل (١٤:١-١٥) تمامًا كما فعل بولس بين الأمم. غير أنّ جانبًا واحدًا من بشارة بولس في هذه الآيات فريد: وهو أنّ سامعيه يدعون لا إلى الإيمان بالله أو المسيح، بل بالإنجيل. جملة «الإيمان بالإنجيل» ليست بولسيّة - فبولس يتحدّث عن الإيمان بالمسيح - ولا نجدها في موضع آخر في العهد الجديد. الطريقة الوحيدة لفهمها هي باعتبارها إشارة من مرقس نفسه إلى إنجيله المكتوب. بكلمات أخرى: بما أنّ المسيح غير موجود جسديًّا، وبما أن بولس قد رحل، فالمسيح الذي على المؤمنين ان يؤمنوا به لا يجدونه إلّا في إنجيل بولس المكروز به، وهذا الإنجيل يمكن الوصول إليه في هذا الكتاب الذي كتبه مرقس والذي سمّاه علنًا «الإنجيل» (١:١). وهكذا يتطلّب من سامعي كلمة مرقس أن يؤمنوا بهذه الكلمات التي تحمل إنجيل بولس إليهم. فهمي هذا، يعزّزه أنّنا فقط في مرقس نجد موازاة تامّة - أو هويّة وظائفيّة - بين شخص يسوع والإنجيل: «فإنّ من أراد أن يخلّص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلّصها» (٣٥:٨)؛ «الحقّ أقول لكم ليس أحد ترك بيتًا أو إخوة أو أخوات أو أبًا أو أمًّا أو امرأة أو أولادًا أو حقولًا لأجلي ولأجل الإنجيل...» (٢٩:١٠). ما فعله مرقس هنا شبيه بما نجده في العهد القديم، حيث يصير الله كلمة[1]. مرقس يحوّل مسيح بولس إلى كتاب؛ وهو يجعل تعليم بولس كتابًا مقدّسًا وقانونًا.

---

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ٨٧-٩٠،١٢٧-١٢٨، وأيضًا تثنية ٣٠:١١-١٤ ومزمور ١١٩.

١٢

دورة الدعوة الأولى (١:١٦–٣:١٢)

دعوة الأعمدة

يتضمّن الجزء الأوّل من إنجيل مرقس (١:١٦–٨:٢٠) سلسلة قصص تروي دعوة الرسل من قبل يسوع، كلّها تتبع التسلسل التاريخيّ لأحداث حياة بولس التي نقرأها في الرسالة إلى أهل غلاطية. تبدأ الدورة الأولى «بسير يسوع عند بحر الجليل»، الذي يرمز، في إنجيل مرقس، إلى البحر الرومانيّ (المتوسّط)، وهو نطاق الأمم[١]. هناك التقى سمعان وأندراوس amphiballontas في البحر» (الآية ١٦). هناك لعب على الكلمات في اللغة اليونانيّة في هذه الآية. في العربيّة تنقل هذه الكلمة إلى «يلقيان شباكهما»، وهذه الترجمة مؤسّسة على معنى الفعل اليونانيّ «يلقي» واستعماله المتكرّر بالإشارة إلى الشباك، والجملة التالية «في البحر» – مع العلم أنّ اسم «شبكة» لا يرد في النصّ اليونانيّ. ينبغي ألّا نتجاهل إسقاط «شبكة» من النصّ اليونانيّ، ذلك لأنّ فعل amphiballo من دون مفعول به يحمل معنى «تأرجح/شكّ»، الأمر الذي يلمّح بشكل شديد الذكاء إلى

(١) أساس الاستنتاج حول المعنى الرمزيّ لبحر الجليل أعرضه مرّات عدّة في تفسيري لاحقًا.

تصرّف الرسل إزاء بولس وإنجيله، وخصوصًا إلى تصرّف سمعان / صفا كما تصفه غلاطية ٢:١-١٤.

أمّا وعد يسوع بأن يجعل سمعان وأندراوس «صيّادي الناس» فهو مستوحى من حزقيال. كان هذا الكتاب مهمًا بالنسبة إلى مرقس وذلك لأنّه يتحدّث عن رؤيا أورشليم الجديدة، الرؤيا الأخرويّة التي تشكّلت على أساسها نظرة مرقس الخاصّة إلى المستقبل بعد عودة المسيح. في نظر حزقيال، جماعة شعب الله في المستقبل ستكون مؤسّسة على المعبد (٤٧:١-٤٨:٢٨)[1]، وأورشليم ذاتها من ضمن الجماعة الجديدة ستكون مساوية لقدس الأقداس (٤٨:٣٠-٣٥). في مقطع مهمّ يرد قبل وصف الأرض (٤٧:١٣-٢٣) وتوزيعها على الأسباط (٤٨:١-٢٨)، نقرأ:

« ثم أرجعني إلى مدخل البيت وإذا بمياه تخرج من تحت عتبة البيت نحو المشرق لأنّ وجه البيت نحو المشرق. والمياه نازلة من تحت جانب البيت الأيمن عن جنوب المذبح. ثم أخرجني من طريق باب الشمال ودار بي في الطريق من خارج إلى الباب الخارجيّ من الطريق الذي يتّجه نحو المشرق وإذا بمياه جارية من الجانب الأيمن. وعند خروج الرجل نحو المشرق والخيط بيده، قاس ألف ذراع وعبّرني في المياه والمياه إلى الكعبين. ثم قاس ألفًا وإذا بنهر لم أستطع عبوره لأنّ المياه طمت مياه سباحة نهر لا يعبر. وقال لي: «أرأيت يا ابن آدم». ثم ذهب وأرجعني إلى شاطئ النهر. وعند رجوعي إذا على شاطئ النهر

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، ص ١٥٩.

أشجار كثيرة جدًا من هنا ومن هناك. وقال لي: «هذه المياه خارجة إلى الدائرة الشرقيّة [في السبعينيّة **نحو الجليل** أي نحو المنطقة الشرقيّة] وتنزل إلى العربة [في السبعينيّة **العربيّة**]؛ **وتذهب إلى البحر. إلى البحر هي خارجة فتشفى المياه. ويكون أنّ كلّ نفس حيّة تدبّ حيثما يأتي النهران تحيا ويكون السمك كثيرًا جدًا** لأنّ هذه المياه تأتي إلى هناك فتشفى ويحيا كلّ ما يأتي النهر إليه. **ويكون الصيّادون واقفين عليه** من عين جدي إلى عين عجلايم **يكون لبسط الشباك ويكون سمكهم على أنواعه كسمك البحر العظيم كثيرًا جدًا** ...» (٤٧: ١- ١٣).

ما حاول بولس أن يفعله طيلة حياته يسعى مرقس إلى أن يتمّمه، وذلك بجعله يسوع يدعو سمعان الحائر إلى اللحاق به من أورشليم إلى أرض الأمم، على خطى مياه حزقيال المعطية الحياة وذلك لحمل بشرى حزقيال السارّة بـ «أورشليم جديدة»[1] إلى الأمم.[2]

يقوم يسوع بالأمر ذاته مع يعقوب ويوحنّا، اللذين يذكّر اسماهما بالأعمدة الذين التقوا بولس في اجتماع أورشليم (غلاطية ٢: ١- ١٠).

---

(١) يتحدّث بولس عن «أورشليم العليا» في غلاطية ٤: ٢٦.

(٢) مناداة «ابن الإنسان» موضوع خلاف كبير في الأوساط العلميّة. وهي مأخوذة على الأرجح من كتاب حزقيال. المرّة الأولى التي يرد فيها هذا القلب في ٢: ١- ١٢، حيث يقيم مرقس موازاة بين مواجهة بولس مع «الأعمدة» في أورشليم ومواجهة يسوع في كفرناحوم (أنظر سابقًا). هذه الموازاة جزء من تصميم أوسع أشرت إليه في المقدّمة: مرقس يقابل حمل بولس للإنجيل من نطاق الأمم إلى أورشليم وإعلان حزقيال كلمة الله لأورشليم من بابل.

هذان يظهران أيضًا مباشرة في صورة سلبيّة بكونهما ابني « زبدى » ويجعلان مع « الأجراء » (misthotoi). هذه العبارة الأخيرة أريد بها أن تعبّر عن شيء أكثر من مجرّد الواقع التاريخيّ ؛ في كلّ العهد الجديد ترد هذه العبارة هنا وفي يوحنّا ١٠:١٢-١٣ حيث تحمل أيضًا مدلولًا سلبيًا : « وأمّا هو أجير وليس راعيًا الذي ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلًا ويترك الخراف ويهرب ، فيخطف الذئب الخراف ويبدّدها » .

اسم زبدى يعزّز الانطباع بأنّ « الأجير » يحمل مدلولات سلبيّة هنا ، ذلك أنّ في العبريّة يشبه اسم زبدي[1] ، وهو اسم يخصّ بحسب يشوع ٧:١-٢٦ أهل اليهوديّة الذين يعملون لمصلحتهم الخاصّة كمرتزقة ، بدلًا من أن يضعوا ذواتهم كاملة في خدمة الله طوعًا . وهكذا يعرض يعقوب ويوحنّا ، الأورشليميّان وتاليًا اليهوديّان « كابني » زبدي اليهوذيّ - وعبارة «ابنَي » في العبريّة تعني الانتماء إلى نوع واحد والتشابه .

جولة « بولسيّة » مع الأعمدة

بعد أن دعا يسوع سمعان ويعقوب ويوحنّا ، « الأعمدة » ، يسير بهم على طريق بولس . فيذهبون أوّلًا إلى كفرناحوم ، إلى مجمع في يوم سبت (١:٢١-٢٨) ؛ وهذا ما كان بولس يفعله في العادة .

---

(١) في الأبجديّة العبريّة كما في الأبجديّة العربيّة لا تجد إلّا الحروف الساكنة ، والحروف الساكنة في هذين الاسمين واحدة .

كفرناحوم في الآراميّة تعني « قرية النعمة » ، وهذه التسمية تشير عند اليهود إلى اليهوديّة ذاتها ، ديانة اليهود الذين أعطوا نعمة الله **بالتوراة** . يتحدّى يسوع تعليم كتبتهم ، مقدّمًا لهم تعليمًا سلطويًا جديدًا كما يفعل المسيّا وحده ، قدّوس الله . مع ذلك ، وكما فعل القادة الأورشليميّون مع بولس ، فسرّوا التعليم الذي أعطاهم كمحاولة « لتدميرهم » ككيان يهوديّ منفصل . بعد هذا انتشرت شهرة يسوع في كلّ مكان في المنطقة المحيطة بالجليل ، تمامًا كما حصل مع بولس بين الأمم .

ثم لدينا لقاء « الأعمدة » في « بيتهم » ، وهو حدث يذكّر برحلة بولس لعقد مجمع مع « الأعمدة » في « بيتهم » في أورشليم (١:٢٨-٣٤) . يسوع أيضًا سافر إلى « بيت » - كان مركز الكنيسة اليهوديّة في أورشليم - هو ، في رأيه ، مريض ، وبحاجة إلى شفاء . لماذا « حماة » بطرس هي المريضة ؟ فعبارة « أمّ » أفضل تعبير مجازيّ عن البيت بشكل عامّ . السبب أنّ هناك في الآراميّة كما في العربيّة ربط بين **حماه** (حماة) **وحوماه** (حمى) ؛ هذا لعب على الكلمات يفترض أنّ بيت سمعان ليس مريضًا صدفة ، أي أنّه مريض بطبيعته ، أو سائر في غير الطريق الصواب[١] .

بعد أن شفى يسوع المرضى « خرج ومضى » (exelthen kai apelthen) إلى « موضع خلاء » (eremon topon) وهناك

---

(١) صورة البيت المريض يكمّلها شفاء المرضى والمجانين الذين اجتمعوا إلى يسوع من « المدينة كلّها » في الآيتين ٣٣-٣٤ .

صلّى. إذًا يسوع جعل البريّة (بريّة الأمم)[١] مكانًا للصلاة مقبولًا، هذا بالضبط ما أراد بولس أن يفعله، بدءًا بأنطاكية، وذلك بعد اجتماع أورشليم. لكن بطرس، منذ زمن طويل، ومعه أيضًا باقي اليهود (غلاطية ٢:١٣) كانوا قد أخذوا موقفًا ضدّه، ولم ينقطع الخصوم بعد ذلك عن إقلاقه. هذا فعلًا ما تعكسه الآيتان ١:٣٦-٣٧: «فتبعه (katedioxen) سمعان والذين معه. ولمّا وجدوه قالوا له إنّ الجميع يطلبونك (zetousin)». فعل Katadioko يفيد حرفيًّا المطاردة (بغية الأذيّة)، وتاليًا الاضطهاد، ولا نجده في العهد الجديد إلّا في هذا الموضع. أمّا الفعل الموازي (Zeto) فيحمل مدلولًا شبيهًا، يؤكده استعماله في مواضع أخرى في مرقس: فهو يرد تسع مرّات في هذا الإنجيل، خمسًا منها بارتباط مع نيّة قتل يسوع، واثنتين بهدف تحدي تعليمه[٢]. أن يكون **الجميع** وراء يسوع يعني أنّ الجميع عارضه وتركه، تمامًا كما فعل معاصرو بولس معه. لكن يسوع مثل بولس وللسبب عينه وقف في وجه خصومه «لأنّي لهذا خرجت (exelthon) لأكرز (keryxo) هناك أيضًا» (الآية ٣٨).

اهتداء بولس

مجموعة القصص التالية (١:٤٠-٣:١٢) ترجمة موسّعة للأولى. تبدأ بقصّة الابرص، وهو عضو في الطبقة الأكثر إذلالًا من المرذولين في

(١) كما أنّ بحر الجليل يمثّل في مرقس البحر الرومانيّ (المتوسّط) وتاليًا أرض الأمم، هكذا تشير «البريّة» فيه – كما سيتّضح لاحقًا – إلى أرض الأمم.
(٢) مرقس ١١:١٨؛ ١٢:١٢؛ ١٤:١،١١،٥٥؛ مرقس ٨:١١،١٢.

العهد القديم، لكنّه يصير ناشرًا «للكلمة» كلمة الإنجيل. ليست هذه إلّا قصّة بولس كما يخبرها هو[١]. أنيطت بالابرص مهمة «الشهادة لهم» (eis martyrion autois)، أي «للكهنة» والذين حولهم، وهذا يشبه ما صاره بولس ليعقوب والذين معه. لكنّ هذا الأبرص لم يذهب مباشرة إلى «مدينة» كفرناحوم[٢]، رمز اليهوديّة. بل بدأ «ينادي كثيرًا ويذيع الخبر حتّى لم يعد [يسوع] يقدر أن يدخل مدينة ظاهرًا بل كان خارجًا في مواضع خالية وكانوا يأتون إليه من كلّ ناحية». يذكر الربط هنا بين الكلمات «يخرج»، «بدأ»، «يذيع»، «الكلمة»، «خارج»، «مواضع خالية»، بما يرويه بولس عن إعلانه الإنجيل بين الأمم في أعمال الرسل. ونتيجة هذا التبشير هو أنّ يسوع صعب عليه دخول أورشليم، تمامًا كما اختبر بولس عداء أورشليم عندما ابتدأ إنجيله بالانتشار.

مكاشفة مع القادة اليهود

نتركنا ظروف مواجهة يسوع مع الكتبة في كفرناحوم (٢:١-١٢) واللغة التي يستعملها مرقس ليرويها أمام الغاز عديدة، إذا أخذناها معًا تدلّ على أنّ القصّة قد تشكّلت على غرار قصّة مواجهة بولس مع القيادة المسيحيّة الأورشليميّة كما نقرأ عنها في غلاطية (٢:١-١٤).

١- يدخل يسوع كفرناحوم «بعد أيّام» (٢:١). تتألّف هذه العبارة d'i hemeron من اسم hemeron (أيام) مسبوق

(١) أنظر غلاطية ١:١٣-١٧؛ أنظر أيضًا ٢:١٥-١٦.

(٢) يذكر اسم المدينة في ١:٢١ و٢:١؛ وتذكر من دون اسمها أيضًا في ١:٣٣.

بحرف الجرّ dia. المعنى العادي لـ dia هو « من خلال » ؛ أمّا إذا رافقه اسم مجرور يفيد الزمن فيصير الزمن حالًا بمعنى « مدّة » ، كما نرى في أعمال ١:٣. ونادرًا ما يأتي حرف الجرّ dia بمعنى « بعد » ، وفي الأناجيل الأربعة لا نجده بهذا المعنى إلّا هنا وفي مرقس وحده يستعمل dia بهذا المعنى الفريد – وفي ما تبقّى من كتب العهد الجديد لا نجد هذا الاستعمال إلّا عند بولس . أمّا في بولس فالمثل الوحيد عن استعمال dia بمعنى « بعد » فيرد في غلاطية ٢:١ (dia dekatesseron eton) في سياق مشابه : « بعد ١٤ سنة » يذهب بولس إلى أورشليم حيث يواجه القيادة المسيحيّة اليهوديّة ؛ « وبعد أيّام » يذهب يسوع إلى كفرناحوم حيث يواجه الكتبة[1].

٢– تطابق جملة « كان يخاطبهم بالكلمة » (٢:٢) جملة « عرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم » في غلاطية ٢:٢[2].

٣– يطابق بيت كفرناحوم (٢:١) بيت سمعان (١:٢٨)، الذي ، كما أشرت آنفًا ، يمثّل كنيسة أورشليم . وليس الأربعة الذين حملوا المخلع ، نتيجة لذلك ، إلّا الرسل الأربعة الذين « دعوا » ، في ١:١٦–

---

(١) السياق مختلف في مرقس ١٤:٥٨: يقال عن شهود الزور الذي شهدوا ضدّ يسوع إنّهم رووا عن يسوع أنّه يدمّر الهيكل ويقيمه « بعد ثلاثة أيّام » . أنظر أيضًا تفسير غلاطية ، ص ٦–٧ لأمثلة مشابهة حيث تستعمل بعض ميزات بولس الأدبيّة ، وفي مقدّمتها Eutheos (حالًا) و He Syria kei he kilikia (سوريا وكيليكيا) في مواضع أخرى . المثل الثاني يقدّم دليلًا قويًا على الاستشهاد الحرفيّ بنصّ من نصوص بولس .

(٢) لاحظ استعمال الفعل ذاته Lalo في مرقس ٢:٢و٧.

٢٠، ٢٩:سمعان، ويعقوب، وأندرواس، ويوحنّا، هؤلاء (باستثناء أندراوس) هم «الأعمدة» في غلاطية ٢:١-١٤.

٤- تدور المواجهة بين يسوع والكتبة حول سلطان يسوع، وهو موضوع سبق لمرقس أن أتى على ذكره مرّتين في ١:٢٢ و٢٧. كذلك، هدف بولس من روايته القصيرة لتاريخ رسوليّته في غلاطية ٢:١-١٤ إلى الدفاع عن سلطته الرسوليّة بإظهاره كيف نالها - مباشرة من الله من دون واسطة بشريّة، تمامًا كيسوع - وكيف يستعملها للدفاع عن الإنجيل، كما يفعل يسوع في هذه المواجهة.

٥- نتيجة الصراع هو أنّ «كلّ» الذين اجتمعوا في كفرناحوم، التي تعني الكنيسة في أورشليم واليهوديّة، «مجّدوا الله»، الأمر الذي يذكّر بغلاطية ١:٢٢-٢٤، حيث يصف بولس ردّ فعل «كنائس المسيح في اليهوديّة» عليه وعلى إنجيله.

يمكننا أن نستنتج أنّ «الجمع» في الآية ٤ إشارة إلى الأمم، وهذا ما سيتعزّز لاحقًا في الآية ١٣. والسبب الذي جعل «الأربعة» «غير قادرين» على الدنو منه (الآية ٤) هو على الأرجح مخالطته الأمم، الأمر الذي لم يكن مسموحًا به في اليهوديّة التي يمثّلها يعقوب. هذان الاستنتاجان سوف يتعزّزان في المقطع التالي.

شركة المائدة

بعد ذلك «يخرج» يسوع «إلى البحر» (Para ten thalassan). لمّا كانت العبارة الأخيرة قد وردت أيضًا في ١٦:١

حيث « البحر » هو « البحر الرومانيّ » ، يمكننا أن نستنتج أنّ الموضع الذي وجد فيه يسوع لاوي - أو ، بكلام آخر ، أحد اللاويّين - وجعله تلميذًا له (٢:١٣- ١٧) ، أرض أمميّة . إذا صحّ هذا ف « الجمع » الذي كان يسوع يعلّمه يشير إلى الأمم . وجود لاوي في أرض أمميّة يرمز إلى انتقال قدسيّة أورشليم وخدمة هيكلها إلى الأمم . لا يكتفي الكاتب بهذا الحدّ بل يجعل من أرض الأمم المكان الذي تبدأ فيه التلمذة الحقيقيّة ، حيث « الخطأة » يجلسون مع قدّيسي الله إلى مائدة واحدة[1]. يوضح يسوع « أنّني لم آت لأدعو أبرارًا ، بل خطأة » . ثمّة موازاة في المضمون والعبارات بين تصميم يسوع على مؤاكلة الخطأة وامتعاض « الكتبة » من هذا وبين رواية غلاطية ٢:١١-١٧ عن تصميم بولس على الاشتراك مع الأمم في المائدة[2] ومحاولة « رجال يعقوب » منع اليهود كلّهم ، بمن فيهم بولس عن هذا .

ثمّة ارتباط وثيق بين مسألة شركة المائدة ومسألة القوانين اليهوديّة التي تنهي عن تناول بعض الأطعمة أو تجيزه[3]، والتي تناقش في المقطع التالي (٢:١٨-٢٢). تبعًا لتعليم بولس ، إذا كان يسوع هو المسيّا ، فعلى اليهود والأمم أن يجتمعوا إلى مائدته كأعضاء لبيت واحد متساوين ، وذلك وفقًا لقواعد هذا البيت . وهذه القواعد المرعيّة هي قواعد المائدة الأخرويّة التي توصف عادة بعبارات مستعارة من حفل

---

(١) في ٢:١٥ نقع للمرّة الأولى على عبارة « تلاميذ يسوع » .

(٢) أنظر مناقشتي للموازاة بين « الأمم » و« الخطأة » في اليهوديّة ، في تفسير غلاطية ، صفحة ٨٣-٨٤.

(٣) أنظر ١ كورنثوس ٨؛ ١٠:٢٢-٢٣. أنظر أيضًا غلاطية ٢:١٢.

الزواج حيث العريس هو المسيّا نفسه[١]. وفي هذا الحفل تختصر القواعد في قانون واحد، هو قانونه الذي يأمر بمحبّة القريب[٢]، وكلّ إنسان يأكل على مائدة كهذه هو قريب لكلّ إنسان آخر[٣]. مباشرة بعد الحديث عن الصوم والاحتفال بالعرس يرد كلام عن التضارب بين القديم والجديد، واستحالة التوفيق بينهما، الأمر الذي يحتّم الفصل أو القطيعة بينهما (الآيتان ٢١-٢٢)، وهذا بالضبط موضوع غلاطية ٢:١٥-٢٠: الحاجة إلى التخلّص من القديم (الولاء للناموس) كشرط للتقدّم نحو الجديد (الولاء للمسيح)[٤].

فكرة القطيعة هذه تستمرّ في المقطع التالي (٢:٢٣-٢٨). ففي مستهلّ الرواية نقرأ أنّ التلاميذ راحوا «يقطفون السنابل ليشقّوا طريقًا لهم»، وذلك يوم السبت. ليس هناك ما يشير إلى أنّ التلاميذ كانوا يقطفون السنابل بقصد أكلها، بل كانوا يقومون بهذا ليشقّوا لهم طريقًا بين الزرع[٥]. هذا يعني أنّ ما اعترض عليه الفريسيّون في فعلهم هذا هو «شقّ الطريق»، وخصوصًا شقّ طريق «جديد»: في عبارة «طريق»

---

(١) متّى ٢٢:١-١٤//لوقا ١٤:٧-١٤؛ متّى ٢٥:١-١٤؛ يوحنّا ٣:٢٨-٢٩؛ رؤيا ١٩:٧،٩. أنظر أيضًا ٢ كورنثوس ١١:٢؛ ٢١:٢،٩؛ ٢٢:١٧.

(٢) رومية ١٣:٨-١٠؛ غلاطية ٥:١٣-١٥؛ ٦:١-٢.

(٣) ١ كورنثوس ١١:١٧-٣٣.

(٤) أمثلة على هذا نجدها في التحذير من «بنيان ما تهدّم»، وفي الدعوة إلى «الموت عن الناموس لنحيا لله»، وكذلك في قول بولس «لست أنا أحيا بل المسيح يحيا فيّ». أنظر تفسير غلاطية، صفحة ٨١-٨٩.

(٥) النسخة العربيّة لجمعيّة الكتاب المقدّس تسيء ترجمة الآية ٢٣. فهي تورد أنّ التلاميذ ابتدأوا «يقطفون السنابل وهم سائرون»، بدلًا من «ابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل ليشقّوا لهم طريقًا».

دلالة على « طريق » الإنجيل[١]. أمّا عبارة « ابتدأوا » فتشدّد على أنّ هذا الطريق إنّما هو طريق « جديد »[٢]. في ٢:١٥ يقطع التلاميذ صلتهم بالماضي باشتراكهم في المائدة مع الخطأة ، وهنا يخالفون قواعد اليهوديّة مرة أخرى . فبقيامهم بما لا يحلّ فعله يوم السبت يتصرّفون ككهنة مع أنّهم ليسوا كذلك[٣]. وبما أنّ السبت هو ايضًا اليوم الذي يجتمع في إسرائيل حول كلمة الله ، فإنّ تصرّف التلاميذ يرمز إلى خلق اجتماع جديد بمعزل عن هيكل أورشليم ، اجتماع ليس لهذا الهيكل من سلطة عليه بالضرورة . هذا يعني أنّ يسوع نفسه هو الذي أعطى التلاميذ سلطانًا ليقوموا بما قاموا به وذلك باعتباره فعلهم مساويًا لما كان الكهنة ، ممثّلو الهيكل ، يفعلونه في الماضي (الآية ٢٦)[٤]. وأمّا مصدر سلطته فهو ربوبيّة « ابن الإنسان » ، التي تمتدّ الآن بوضوح إلى مؤسسة السبت .

القوّة لمن لا قوّة لهم

يعيدنا مرقس ٣:١-٦ إلى نطاق اليهوديّة ، وذلك عن طريق ذكر

---

(١) أنظر تفسير غلاطية ٤٥-٥٥ ومرقس ٦:٨؛ ٨:٣،٢٧؛ ٩:٣٣-٣٤؛ ١٠:١٧،٣٢؛ ١١:١٨؛ ١٢:١٤.

(٢) يذكر هذا الفعل باستعماله مع « الإنجيل » (١:١) الذي هو « الطريق الجديدة » الذي دعا التلاميذ إلى سلوكها.

(٣) تفترض هذه الأفعال وكلمات يسوع أنه لم يعدّ من تفريق بين الكهنة والعلمانيّين ، أي بين المقدّس وغير المقدّس . قارن مع مقطع لاوي في الآيات ١٣-١٧؛ أنظر أيضًا تعليقي على زخريا ١٤:٢٠-٢١ في « إسرائيل والأمم » ، في مجلة St Valdimir's Theological Seminary ، الجزء ٣٨،٢ (١٩٩٤) ، ص. ١٨٧-١٨٨.

(٤) أنظر سابقًا حول مرقس ٢:١٣-١٧.

مجمع ١:٢١[١]. هناك يمنح يسوع قوّة لرجل تعتبر السلطات اليهوديّة أنّ لا قوّة له ولا صوت (في العهد القديم تعني «اليد» القوّة والقدرة)،[٢] تمامًا كما أعطى بولس الأمم في الجماعة المسيانيّة صوتًا مماثلًا، ومكانة مماثلة. إنّ التأليف بين «الغضب» (orge) و«قساوة القلب» (porosis tis kardias) في ٣:٥ يدلّ على أنّ مصدره هو الرسالة إلى أهل رومية. ففي هذه الرسالة التي كتبها بولس كمحاولة له أخيرة لدفع أورشليم إلى قبول الإنجيل قبولًا تامًا، يتحدّث بإسهاب عن غضب الله على اليهوديّ الذي لا يلتزم بإرادة الله بسبب «قساوته» (sklerotes) و«قلبه» (Kardia) غير التائب، كما يشير إلى رفض إسرائيل للإنجيل «كقساوة» (porosis)[٣]. إنّ ذكر مرقس «لقساوة القلب» في ٣:٥ مضافًا إلى قرار «إهلاك» يسوع إشارة إلى أنّ قيادة أورشليم، في النهاية، رفضت إنجيل بولس حتّى بعد موته[٤].

الإنجيل يستقرّ خارج أورشليم ضمن حدود الأمبراطوريّة الرومانيّة

كانت نتيجة هذا أن «أبعدت» رسالة الإنجيل عن أورشليم واستقرّت في نطاق المسيحيّة الأمميّة، التي الكلّ مدعو إلى الانضمام إليها، حتّى الأورشليميّون واليهوديّون. هذا ما يخبرنا به المقطع التالي

(١) لاحظ استعمال «أيضًا» في ٣:١.
(٢) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثالث، ص ٥٨.
(٣) رومية ٢:٥،٨؛ ٣:٥؛ ٤:١٥؛ ٥:٩؛ ١١:٧،٢٥.
(٤) حول هذه المسألة انظر المقدّمة وتعليقي على ١:٢٤ والرسالة إلى أهل فيليبّي.

الذي يختم الدورة الأولى (٣:٧-١٢). « فانصرف يسوع » ، مسيّا أورشليم ، « مع تلاميذه إلى البحر وتبعه جمع كثير من الجليل **ومن اليهوديّة ومن أورشليم** ومن أدومية ومن عبر الأردن ، والذين حول صور وصيدا جمع كثير إذ سمعوا كم صنع **أتوا إليه** ». « البحر » هنا ، مرّة أخرى ، هو البحر الرومانيّ ، أرض الأمم الذين يشار إليهم هنا ايضًا بـ « الجمع » (الآية ٩). هذا هو هدف يسوع ، وعلى أتباعه أيضًا أن يقصدوه ، بمن فيهم يهود اليهوديّة وأورشليم . وكما تبعوا يوحنّا المعمدان في البريّة عليهم أن يتبعوا يسوع إلى أرض الأمم . هناك ، في نطاق الأمم ، يعترف بيسوع « ابنًا لله » ومسيحًا .

لكنّه « أوصاهم بإلحاح ألّا يظهروه (phaneron). تعني عبارة Phaneron « الظهور علنًا» ، وهي تستعمل للحديث عن ظهور يسوع المستقبليّ بالمجد[1]. في الوقت الحاضر وإلى أن يأتي على أتباع يسوع أن يعترفوا به كما كرز به الإنجيل : مسيح الله المصلوب . الله وحده يستطيع أن يجعله « ظاهرًا علنًا » ، والله سيفعل هذا في وقته .

---

(١) ١ كورنثوس ٣:١٣؛ ٤:٥؛ ٢ كورنثوس ٥:١٠-١١؛ كولوسي ٣:٤ .

١٣

دورة الدعوة الثانية

دعوة الرسل

تبدأ الدورة الثانية (مرقس ٣:١٣-٦:٦أ)، كالأولى، بدعوة رسوليّة (٣:١٣-١٩). فالدعوة في الدورة الأولى حدثت «عند بحر الجليل»، والجبل الذي منه يسوع يدعو ليس في أورشليم أو قريبًا منها بل في الجليل ذاته الذي يرمز إلى أرض الأمم. العبارة الأساس هنا هي apelthon («ذهبوا» إليه): فالفعل المستعمل عادة للتعبير عن المضي إلى أورشليم هو «صعد» لا «ذهب». والفعل عينه يصف حركة التلاميذ باتجاه «البريّة» – التي تشكّل رمزًا آخر لأرض الأمم – في ٦:٣٠-٤٤.

عدد التلاميذ الاثني عشر رمزيّ، وهو يشير إلى كلّ إسرائيل. الثلاثة الأوائل هم «الأعمدة» (غلاطية ٢:١-١٠). والواقع أنّ يسوع يعطي سمعان ويعقوب ويوحنّا مكانةً خاصّة وذلك بمنحهم ألقابًا دون غيرهم. «بطرس» يقابل في اليونانيّة «صفا» في الآراميّة. ولكن ماذا عن «ابني الرعد»؟ أعتقد أنّ المقصود بهذه التسمية أن تكون مساوية إلى حدّ ما لاسم «بطرس». فهذا الاسم مشتقّ من كلمة Petra التي تعني «صخرا» أو «جبلًا». والرعد مرتبط بظهورات الله على جبله.

في كلتا الحالتين إشارة إلى موقع السلطة الذي كان بطرس يحتلّه في (جبل) أورشليم .

في نهاية لائحة أسماء الرسل نظرة أخرى مكمّلة إلى يعقوب وسمعان نفسيهما ، باعتبارهما خانا يسوع ورسالته في نهاية المطاف . يعقوب هذا يقال عنه إنّه ابن حلفي ، أي « أخ » لاوي (٢:١٤) . فهو إذًا « كاهن »[١] الذين آمنوا من اليهود بيسوع مسيحًا . مع أنّ يسوع جعل « الكهنوت » الجديد « عند البحر » ، في أرض الأمم[٢] ، أراد يعقوب أنّ يقيّده بأورشليم . سمعان هنا هو القانوي ، أي الغيور في الآرامية ، وهذا إلماح إلى حزب الذين كانوا يحرّضون يهوذا وأورشليم على ثورة مسلّحة ضدّ روما .

اسم الرسول الأخير ، يهوذا يشير ، بشكل واضح ، إلى يهود منطقة اليهوديّة[٣] . لقبه الإسخريوطيّ لفظ آرامي لعبارة sicarius اللاتينيّة ، التي تعني الرجل الذي يحمل Scia (سيفا) ، وهي بذلك تطابق لقب « القانوي » . والربط بين « سمعان » و« يهوذا » مقصود ، إذ يعكس ما فعله صفا / بطرس في أنطاكية : بحسب بولس ، كان بطرس يدعو الأمم إلى أن « يتهوّدوا » (ioudaizein: غلاطية ٢:١٤) . فعل ioudaizein محته بولس من اسم يهوذا .

---

(١) أنظر تعليقي على مرقس ١:٤٤ .

(٢) بخصوص جملة « عند البحر » أنظر تعليقي على مرقس ١:١٣-١٤ .

(٣) يهوذا هو اسم أحد البطاركة الاثني عشر ، ثم أطلق في ما بعد على مملكة يهوذا ثم على المقاطعة التي تحمل الاسم ذاته .

الخيانة والانفصال

رغم أنّ يسوع « أراد » (٣:١٣) أن يكون يعقوب وبطرس أوّل رسله، خاناه. وحصلت هذه الخيانة في أنطاكية (غلاطية ٢:١١-١٧)، والمقطع التالي (٣:٢٠-٣٠) مبنيّ على هذه الخلفيّة. لاحظ الآتي:

١) « الجمع » الذي اجتمع « أيضًا » حول يسوع هو جمع الأمم[١]. يعني هذا أنّ يسوع كان يدعو رسله إلى العودة إلى أرض الأمم التي كان يعتبرها « بيته » (الآية ١٩) بقدر ما كانت اليهوديّة كذلك. لكنّ الرسل « لم يقدروا حتّى ولا على أكل الخبز »، أي أنّهم ما استطاعوا أن يشتركوا في المائدة مع الأمم اشتراكًا كاملًا، وما مردّ ذلك، كما سنرى في الآية ٢١، إلّا إلى ضغوط من « أقربائهم »[٢]. دور الأقرباء مركزيّ في النقطة الثانية التي سأثيرها. لكن هنا، في الآية ١٩، تجدر الإشارة إلى موضوع عدم القدرة على تناول الطعام. هذا الموضوع محوريّ في غلاطية ٢:١١-١٤، حيث أقنع مرسلو يعقوب بطرس وبرنابا أنّ تناول الطعام مع الأمم لا يجوز لمَن كان يهوديًّا.

٢) عبارة « أقربائه » في ٣:٢١ ترجمة لليونانيّة hoi par' autou، أي « الذين منه »، وهي اصطلاحيّة تعني « الذين من

(١) انظر التعليق على ٢:١٣،٤ و٣:٩.

(٢) أنظر لاحقًا النقطة الثالثة حيث أشير إلى أنّ الأقرباء، « لمّا سمعوا » ألصقوا بيسوع تهمة متطرّفة، قائلين إنّه فقد صوابه، وكانوا يخطّطون للإمساك به. ما الذي يمكن أن يكونوا سمعوه إلّا ما أشير إليه في الآية ٢٠ عن لقائه مع « الجمع »؟ فهو لاحقًا يكثّر الخبز مرتين ليوزّع على عدد كبير من الناس.

جهته /جماعته » أو « الذين يرتبطون به بشكل من الأشكال ». « أقرباء » يسوع هؤلاء خرجوا ليمسكوه، لأنّهم قالوا إنّه « خرج عن صوابه ». هذه الجملة ترجمة للفعل اليونانيّ exeste، التي تعني حرفيًّا « وقف خارجًا »، وهي تستعمل بهذا المعنى أيضًا. الفكرة العامة هي أنّ أقرباء يسوع اعتبروا أنّه وضع نفسه خارج العائلة (عائلة إسرائيل) لمّا اشترك في المائدة مع من هم في الخارج[١]. وبما أنّ الاقرباء يتماثلون و« الكتبة الذين نزلوا من أورشليم »، تصبح لدينا موازاة واضحة مع المشهد الذي تصفه غلاطية ٢:١١-١٤.

٣) يسهب نصّ مرقس في الحديث عن موضوع الانشقاق في البيت الواحد، في حين نتج من وصول « رجال من عند يعقوب » في الرسالة إلى أهل غلاطية انشقاق في كنيسة أنطاكية (غلاطية ٢:١١-١٤). يلي هذا في مرقس جدل بين يسوع وخصومه الذين يؤنّبهم كخطأة حقيقيّين (الآيات ٢٨-٣٠) بعد أن ألصقوا تهمتهم به ؛ يطابق هذا كامل الرسالة إلى أهل غلاطية حيث يدافع بولس عن نفسه ضدّ التهم ويردّ بتهديد خصومه بالقطع، anathema[٢].

٤) تنعكس خطورة المشادّة في تضارب الموقفين: يقول كلّ من يسوع والكتبة عن الآخر إنّه ضدّ روح الله. يعتبر الكتبة يسوع عميلًا للشيطان، مسكونًا بروح نجس، في حين يعتبرهم هو مذنبين « بخطيئة أبديّة »، بالضبط لكونهم اتهموه هذا الاتهام. كذلك، الموضوع المحوريّ في الرسالة إلى أهل غلاطية هو تضارب المواقف: يعلن بولس

(١) أنظر غلاطية ٢:١٥-١٧ وتفسير غلاطية، صفحة ٨١-٨٦.

(٢) انظر خصوصًا غلاطية ١:٨-٩؛ ٥:٤.

أنّ ثمّة إنجيلًا واحدًا ويؤكّد أنّ كلّ من يبشّر بإنجيل آخر ملعون ، ثم يظهر أنّ إنجيله هو هو الإنجيل الوحيد المؤسّس على الكتاب ، وأنّ كلّ من لا يوافق عليه يقطع عن المسيح إلى الأبد[١].

تعود الرواية التالية (٣:٣١-٣٥) إلى موضوع الخصومة بين يسوع وأقربائه . في حين قال أقرباؤه عنه سابقًا إنّه « واقف خارجًا » ، يشدّد النصّ هنا على كونهم أصبحوا هم أقرباء يسوع « في الخارج » :

« فجاءت حينئذ **إخوته وأمّه** ووقفوا **خارجًا** وأرسلوا إليه يدعونه . وكان الجمع جالسًا حوله Peri auton) ؛ فقالوا له : هوذا **أمك وإخوتك خارجًا يطلبونك** » .

الجملة الأخيرة ، « يطلبونك » ترجمة للفعل اليوناني Zetousin الذي ، كما أشرت آنفًا في تعليقي على ١:٣٦، يحمل مدلولًا سلبيًّا في إنجيل مرقس ، ويفيد نيّة على الأذيّة . إذا ما نظرنا إلى هذا المقطع مع ما يسبقه يتولّد لدينا انطباع بأنّ « أقرباء » يسوع الأصليّين وضعوا أنفسهم « خارج » جماعة أتباعه الحقيقيّة محرّفين الإنجيل ومسيئين تفسيره. وهذا ما يتّهم به بولس خصومه في رسالته إلى أهل غلاطية[٢]. لكن يسوع ، كبولس ، لم يبرح من مكانه ، و« الجمع » (جمع الأمم) الذي كان « حوله » (peri auton) - بعكس « الذين منه أي أقربائه » (par' autou ؛ ٣:٢١) - بقوا معه ، وصاروا بهذا عائلته الجديدة ، العائلة التي تعلّمت منه أن تصنع « مشيئة الله »[٣].

---

(١) أنظر غلاطية ١:٦-٩؛ ٥:٤؛ وتفسير غلاطية ؛ صفحة ٨٠-٨١ .

(٢) أنظر خصوصًا غلاطية ١:٦-٩ .

(٣) Thelema tou theou عبارة يستعملها بولس مرارًا للإشارة إلى رسوليّته

التعليم بأمثال

يلي هذين المقطعين بدء جديد: «**وابتدأ** أيضًا يعلّم **عند** (Para) **البحر**. فاجتمع إليه (pros) جمع كثير، حتّى إنّه دخل السفينة وجلس على البحر، والجمع كلّه كان عند البحر على الأرض». صادفنا هذه العبارات قبل ذلك (٢:١٣؛ ٣:٢٣؛ ٣:٩)[١]، لكن يسوع، هذه المرّة، يجلس **في** البحر، والشعب **على الأرض** متوجّهًا **نحوه**. هذا يعني أنّ المركز الجديد الذي منه يعلّم يسوع جماعته المسيانيّة كلّها قد انتقل من أورشليم إلى أنحاء الأمبراطوريّة الرومانيّة؛ من هناك، لا من أورشليم، يصدر تعليمه (٤:٢)، الذي يحمل السلطان الإلهيّ[٢]. وما هذا إلّا مثال جديد على اتباع العهد الجديد لنمط العهد القديم: فمن بريّة سيناء البعيدة أتت كلمة الله في **التوراة** إلى كنعان، ومن أرض بابل الغريبة توجّهت كلمة الله النبويّة إلى أورشليم[٣].

(١ كورنثوس ١:١؛ ٢ كورنثوس ١:١؛ غلاطية ١:٤) أو لعمله الرسوليّ (رومية ١:١٠؛ ١٥:٣٢؛ ٢ كورنثوس ٨:٥؛ ١ تسالونيكي ٤:٣؛ وعلى الأرجح ١ كورنثوس ١٦:١٢).

(١) الكلمات أو الجمل الشائعة هي الآتية: «أيضًا» «علّم»، «عند البحر»، «إليه»، كلّ الجمع/الجمع كلّه» (pas ho okhlos)، «ابتدأ»، «السفينة».

(٢) قارن مع ١:٢٢، حيث لدينا العبارة ذاتها «تعليمه». لاحظ **أيضًا** «اسمعوا!» في ٤:٣ التي تطابق «اسمعوا» الأخرى الوحيدة في مرقس والتي ترد في مقطع التجلّي (٩:٢–٨)، حيث الصوت الإلهيّ يأمر بطرس ويعقوب ويوحنّا قائلًا: «هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا» (الآية ٧).

(٣) أنظر المقدّمة.

بعد هذا يأتي مثل الزارع (٤:٣-٢٠)، وهنا أيضًا دليل واضح من مرقس على أنّه يقصد الإشارة إلى تعليم بولس. فثمّة سلسلة من الملاحظات، إذا ما نظرنا إليها بدقّة، تتثبت لنا هذه النقطة:

١) قد يكون سبب اختيار مثل يخصّ الزرع استعمال بولس صورة حقل الله ليصف طبيعة عمل الرسول[١].

٢) تذكّر العلاقة بين البذور في المثل (٤:٣-٨) والذين يسمعون الكلمة في تفسير المثل (٤:١٣-٢٠) بتعليم بولس القائل إنّ المؤمنين بالإنجيل هم نتاج الكلمة الرسوليّة، أو أبناء الرسول أو «زرعه»[٢].

٣) سقط بعض الزرع على «مكان محجر». العبارة اليونانيّة Petrodes (محجر) قريبة من اسم Petros بطرس[٣]، ويصعب أن يكون هذا التشابه من قبيل الصدفة، خصوصًا على ضوء ما يقال عن هؤلاء الناس إنّهم «إذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فللوقت يعثرون» (الآية ١٧). هذا بالضبط ما حدث لبطرس في أنطاكية (غلاطية ٢:١١-١٤). يذكّر تفسير هذا التصرّف، في غياب «الأصل» (rhiza)، باستعمال صورة «الأصل» و«الأغصان» في رومية ١١:١٦-١٨.

---

(١) ١ كورنثوس ٣:٩.

(٢) ١ كورنثوس ٤:١٤؛ ٢ كورنثوس ٦:١٣؛ غلاطية ٤:١٩؛ فيليبّي ٢:٢٢؛ تسالونيكي ٢ : ٧،١١.
رومية ٩:٧-٨؛ ٢ كونثوس ١١:٢٢؛ غلاطية ٣:١٦،١٩،٢٩؛ رؤيا ١٢:١٧).

(٣) «صفا» في الآرامية تعني أيضًا «صخرة»، و Petros في اليونانيّة مشتقّة Petra (صخرة).

٤) ثم يأتي أولئك الذين «لم يعطوا ثمرًا»، وتفسير ذلك أنّ الكلمة في هؤلاء المتقبّلين «تصبح بلا ثمر» بسبب غرور الغنى. من الطبيعيّ أن تلي الإشارة إلى بطرس إشارة إلى يعقوب، وفي الواقع يعقوب هو الذي اعتبر أنّ الغنى الذي وهبه الله لإسرائيل له الحقّ وحده في التصرّف به[١]، وكانت نتيجة ذلك أن ظلّت كنيسة أورشليم بلا ثمر، وغير قادرة على تجاوز حدود أورشليم اليهوديّة. من جهة أخرى يصرّح بولس بأنّ «لا فرق بين اليهوديّ واليونانيّ لأنّ ربًا واحدًا للجميع **يغني جميع** الذين يدعون به» (رومية ١٠:١٢).

٥) أصبحت الأمبراطوريّة الرومانيّة، حيث زرع تعليم المسيح بكرازة بولس «الأرض الجيدة» (he ge he kale) بدلًا من اليهوديّة («الأرض الجيدة» في العهد القديم)[٢]. وما هذه «الأرض الجيدة» الجديدة، تلك التي «تحمل ثمرًا»[٣] إلّا الأرض التي جلس عليها «الجمع كلّه» مستمعًا إلى يسوع وهو يعطي تعليمه «في البحر» (٤:١)

(١) أنظر لاحقًا تعليقي على ١٠:١٧-٣١ و١٢:٤١-٤٤.

(٢) خروج ٣:٨؛ عدد ١٤:٧؛ تثنية الاشتراع ١:٢٥،٣٥؛ ٤:٢٢؛ ٦:١٨؛ ٨:٧،١٠؛ ١١:١٧؛ يشوع ٢٣:١٣،١٥،١٦.

(٣) لاحظ استعمال الماضي غير التامّ هنا وفي epheren المقابلة (أعطى) في الآية ٨. يدلّ اختيار صيغة الماضي غير التامّ إلى إثمار الإنجيل المستمرّ بين الأمم. غير أنّ استعمال فعل «زرع»، حين يستعمل مع الأرض الجيّدة، يأتي في صيغة الماضي التامّ (اسم الفاعل sparentes؛ الآية ٢٠) والذي يفيد حصول أمر ما دفعة واحدة. من جهة أخرى، لدينا اسم الفاعل في صيغة

٦) يظهر اسما الفاعل auxanamenon (يصعد وينمو) و karpophoroumenon (يعطي ثمرًا) معًا هنا في (الآيتان ٨ و ٢٠) وفي موضعين آخرين فقط في العهد الجديد - كولوسي ١:٦ و١٠- بالمعنى ذاته، مرّة في إشارة إلى الإنجيل وأخرى إلى الذين يؤمنون به[(١)].

لكن الحكم الأخير على حمل الثمر سيؤجّل، كما علّم بولس، إلى مجيء الربّ كديّان[(٢)]، وهذا هو موضوع المثل (٤:٢١-٢٣) والقول (الآيتان ٢٤-٢٥) التاليين. يأتي (erkhetai) السراج في المثل ليرمز إلى أنّ كلّ شيء « سيظهر » (phanerothe) ويعلن (elthe eis phaneron). يلمّح فعل « أتى » إلى « مجيء » الربّ؛ في الواقع كيف يمكن لسراج أن يأتي ما لم يكن هذا السراج المسيح نفسه؟ في رسائل بولس تصف عبارة Phaneron (مع الأفعال المشتقّة منها، مثل phanerote) مجيء يسوع العتيد في مجده[(٣)]. هذا الربط مع الأدب البولسيّ نجده أيضًا في عبارتي « خفي »

الحاضر في فعل « زرع » (speiromenoi) حيث تنطبق على الذين لم يأتوا بثمر (الآيتان ١٦،١٨) . مدلول هذا أنّ أمم بولس قبلوا الإنجيل وهم يأتون بثماره من ذلك الحين، في حين ينبغي تقديمه باستمرار إلى بطرس ويعقوب وأتباعهما .

(١) الأمر الذي يؤكّد النقطة التي حاولت إثباتها في خصوص العلاقة بين هذه الرسالة وإنجيل مرقس في المقدّمة.

(٢) ١ كورنثوس ٤:١-٥. أنظر تفسير غلاطية ٢٧١-٢٧٧؛ ٣١٣-٣١٩.

(٣) ١ كورنثوس ٣:١٣؛٤:٥؛ ٢ كورنثوس ٥:١٠- ١١؛ كولوسي ٣:٤. أنظر أيضًا سابقًا التعليق على مرقس ٣:١٢.

(krypton) و «مكتوم» (apokryphon) في الآية ٢٢، اللتين تردان مرّات عدّة في رسائل بولس وذلك في فقرات تطرح الموضوع عينه[١]. أضف إلى أنّ القصد من المثل هو نقل رسالة ليست بالضرورة واضحة في المعنى الحرفيّ لكلماتها، وهذا أمر تشير إليه ملاحظة ترد في نهايته، «من كان له أذنان للسمع، فليسمع». وموضوع هذه الرسالة، أخيرًا، دينونة الله الأخيرة. تؤكّد هذا الطريقة التي يتبع بها مرقس هذا المثل بقول يتحدّث بوضوح عن الدينونة العتيدة (الآيتان ٢٤-٢٥)، وبمجموعة من الأمثلة تتحدّث عن «ملكوت الله» (الآيات ٢٦-٣٢).

نجد أصول استعمال يسوع للأمثال في التعليم في تقليد حزقيال، الذي وضع رسالته في قالب «الأمثال»[٢]. وتبلغ الصلة بين يسوع

(١) رومية ٢:١٦؛ ١ كورنثوس ٤:٥. أنظر أيضًا كولوسي ٣:٣-٤، حيث يرد فعل kekryptai (أخفي) بارتباط مع hotan ho khristos phanerothe (عندما يظهر المسيح). في ١ كورنثوس ٢:٧ يتحدّث بولس عن الإنجيل «كحكمة الله المخفية في سرّ»، وهو يكرر الفكرة عينها في كولوسي ١:٢٦// أفسس ٣:٨ وكولوسي ٢:٣
ثمّة استعمالان آخران فقط في العهد الجديد: نصّ من لوقا يوازي نصّنا (لوقا ٨:١٧) و«أخفيت هذه الأمور عن الحكماء والفهماء...» (لوقا ١٠:٢١)، وهي جملة تذكّر بـ ١ كورنثوس ١:١٩ (ففي كلا الموضعين استعمال للعبارتين اليونانيّتين عينهما Sophos (حكيم) و Syneton (فهيم).

(٢) يذكّر استعمال يسوع للأمثال في الآيات ١٠-١١، ١٣، ٣٠، ٣٣-٣٤. يتحدّث نصّ حزقيال السبعينيّ عن «أمثال». أنظر حزقيال ١٢:٢١-٢٣؛ ١٦:٤٤؛ ١٨:٢-٣؛ ٢٠:٤٩ (٢١:٥ في السبعينيّة)؛ ٢٤:٣. يستعمل كتاب حزقيال بشكل عامّ لغة تصويريّة غنيّة لنقل كلمة الربّ.

وحزقيال أوجها في النصّ الآتي ، الذي يربط مثل الزارع (٤:٣-٢٠) بالامثال التالية التي تتكلّم على نموّ الزرع وحبّة الخردل (٤:٢٦-٣٢) - وهي سلسلة الأمثال الكاملة في الدورة التي نحن في صدد مناقشتها :

« وكان إليّ كلام الربّ قائلًا : يا ابن آدم حاج أحجية ومثل مثلًا لبيت إسرائيل . وقل هكذا قال السيّد الربّ : نسر عظيم كبير الجناحين ، طويل القوادم ، واسع المناكب ، ذو تهاويل ، جاء إلى لبنان ، وأخذ فرع الارز . قصف رأس خراعيبه ، وجاء به إلى أرض كنعان ، وجعله في مدينة التجار . وأخذ من زرع الأرض وألقاه في حقل الزرع . وجعله على مياه كثيرة . أقامه كالصفصاف . فنبت وصار كرمة منتشرة قصيرة الساق . انعطفت عليه زراجينها ، وكانت أصولها تحته ، فصارت كرمة ، وأنبتت فروعًا ، وأفرخت أغصانًا . وكان نسر آخر عظيم الجناحين ، واسع المنكب ، فإذا بهذه الكرمة عطفت عليه أصولها ، وأنبتت نحوه زراجينها ليسقيها في خمائل غرسها . في حقل جيد ، على مياه كثيرة هي مغروسة لتنبت أغصانًا . وتحمل ثمرًا ، فتكون كرمة واسعة ... هكذا قال السيّد الربّ : وآخذ أنا من فرع الأرز العالي ، وأغرسه ، واقطف من رأس خراعيبه غصنًا وأغرسه على جبل عال شامخ . في جبل إسرائيل العالي أغرسه فينبت أغصانًا ويحمل ثمرًا ويكون أرزًا واسعًا فيسكن تحته كلّ طائر ذي جناح يسكن في ظلّ اغصانه . فتعلم جميع أشجار الحقل أنّي أنا الربّ وضعت الشجرة الرفيعة ورفعت الشجرة الوضيعة وييست الشجرة الخضراء وأفرخت الشجرة اليابسة . أنا الربّ تكلّمت وفعلت » (١٧:١-٨؛ ٢٢-٢٤) .

يلقي مثل حزقيال أيضًا أضواء على فقرة صعبة يشرح فيها أنّ الهدف من التكلّم بأمثال إنّما هو كشف سرّ ملكوت الله ، ولكن أيضًا ، في الوقت عينه ، أغلاق الباب أمام التوبة والغفران (٤:١٠-١٢) . بما أنّ « المثل » يقدّم صورة يفترض أن تكون مفهومة لأيّ كان - وهو يوضع أحيانًا في قالب قصصيّ يسهل فهمه - فالقصد منه أن يوصل التعليم على قدر من الوضوح[١]. وإذا لم يفهم أحدهم رسالة المثل ولم يطعها فهو يقوم بعمل مقصود ، صادر عن إرادة حرّة . أمّا التلاميذ فقد أعطاهم يسوع شرحًا للمثل (الآيات ١٤-٢٠) وذلك ليجعلهم تحت طائلة الدينونة أكثر من غيرهم ، إذا ما لم يحترموا تعليمه (الآية ١٣) . فهم يمثّلون إسرائيل الكتابيّ[٢]. وفي بدء كتاب حزقيال نقع على الفكرة عينها موجّهة أيضًا إلى إسرائيل :

« وقال لي : يا ابن آدم ، أنا مرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمّة متمرّدة قد تمرّدت عليّ . هم وآباؤهم عصوا عليّ إلى ذات هذا اليوم . والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم . فتقول لهم هكذا قال السيّد الربّ . وهم إن سمعوا وإن امتنعوا ، فلأنّهم بيت

(١) إلى جانب حزقيال ثمّة أيضًا مثلان آخران : « فمي يتكلّم بالحكمة ، وقلبي يلهج بالفهم ، أميل أذني إلى مثل وأوضح بعود لغزي » (مزمور ٤٨:٣-٤) ، و« أصغ يا شعبي إلى شريعتي ، أميلوا آذانكم إلى كلام فمي . أفتح بمثل فمي ، أذيع ألغازًا منذ القدم . التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا » (مزمور ٧٨:٢-٣) .

(٢) أنظر رومية ٢:١-٣:٢٠؛ ٩:١٩-٢٨؛ ١٠:١٤-٢١، حيث يظهر إسرائيل الكتابيّ أكثر عرضة للدينونة من غيره .

متمرّد . فإنّهم يعلمون أنّ نبيًّا كان بينهم . أما أنت يا ابن آدم ، فلا تخف منهم ومن كلامهم لا تخف ، لأنّهم قريس وسلاء لديك وأنت ساكن بين العقارب . من كلامهم لا تخف ومن وجوههم لا ترتعب ، لأنّهم بيت متمرّد . وتتكلّم معهم بكلامي إن سمعوا وإن امتنعوا لأنّهم متمرّدون » (٢:٣-٧) .

« فقال لي : يا ابن آدم ، اذهب ، امض إلى بيت إسرائيل ، وكلّمهم بكلامي . لأنّك غير مرسل إلى شعب غامض اللغة وثقيل اللسان بل إلى بيت إسرائيل . لا إلى شعوب كثيرة غامضة اللغة وثقيلة اللسان لست تفهم كلامهم ، فلو أرسلتك إلى هؤلاء لسمعوا لك . لكن بيت إسرائيل لا يشاء أن يسمع لك . لأنّهم لا يشاؤون أن يسمعوا لي . لأنّ كلّ بيت إسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب . هاأنذا قد جعلت وجهك صلبًا مثل وجوههم وجبهتك مثل جباههم . فقد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصوان فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم لأنّهم بيت متمرّد . وقال لي : يا ابن آدم ، كلّ الكلام الذي أكلّمك به أوعه في قلبك واسمعه بأذنيك . وامض واذهب إلى المسبيّين ، إلى بيت شعبك وكلّمهم وقل لهم هكذا قال السيّد الربّ ، إن سمعوا وإن لم يسمعوا » (٣:٤-١١).

نجد الفكرة ذاتها في شكل موجز ومكثّف في كتاب إشعياء ، حيث يرسل النبيّ ليبلغ رسالة الله إلى أناس متمرّدين لن يقبلوها :

« فقال : اذهب وقل لهذا الشعب ، اسمعوا سمعًا ولا تفهموا ، وأبصروا أبصارًا ولا تعرفوا . غلّظ قلب هذا الشعب وثقّل أذنيه واطمس

عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى » (٦:٩-١٠)[١].

اعتمد مرقص على هذا النصّ من إشعياء، كما على الرسالة إلى أهل كولوسي، وذلك ظاهر في استعمال عبارة « سرّ » (mysterion)، التي ترد فقط هنا في مرقس. « سرّ ملكوت الله » تشبه في مرقس « هذا السرّ الذي هو المسيح فيكم » في كولوسي (١:٢٦). أمّا سياق الآية الأخيرة فهو مناقشة الإنجيل الذي أعلنه بولس بين الأمم، حيث تتكرّر عبارة « سرّ » (١:٢٦-٢:٢؛٤:٣-٤:٢).

الأمم إذًا هم الذين « حوله » (peri auton) وهم أيضًا يشكّلون جماعة واحدة مع الاثني عشر »، الذين يمثّلون إسرائيل الله (٤:١٠). هؤلاء هم تلاميذ يسوع الحقيقيّون (الآية ٣٤)، بخلاف الذين « في الخارج (exo) » (الآية ١١)، « أمّه وإخوته » الذين يبدون فقط أنّهم قريبون منه.

تؤكّد الملاحظات الأخيرة في هذا المقطع (٤:٣٣-٣٤) قراءتي الفقرة كاملة كعرض رسميّ لإنجيل بولس. كان يسوع « يتحدّث بالكلمة » (elalei ton logon) و« كان على انفراد يفسّر كلّ شيء » (Kat'idian epelyen panta). في جملة « يتحدّث بالكلمة » إشارة إلى الكرازة بالإنجيل،[٢] والملاحظة التالية تقدّم حلًّا

---

(١) تستعمل الرسالة النبويّة، بشكل عامّ، لغة تصويريّة، كلغة الأمثال. لاحظ كيف يصوّر الله كحجر صدمة، وصخرة عثرة، وفخ وشرك في إشعياء ٨:١٤، وهو جزء من رسالة الإصحاحات ٧-١٢ يقدّم لها الإصحاح ٦ (أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، صفحة ١١٧-١٢٩).

(٢) أنظر سابقًا تعليقي على ٢:٢.

(وهذا معنى الفعل اليونانيّ epilyo) لكلّ صعوبة يستتبعها هذا الإنجيل . يرد فعل « تكلّم » (الآيتان ٣٣و٤٣) وفعل « فسّر / حلّ » (الآية ٣٤) في صيغة الماضي غير التامّ ، الأمر الذي يجعلنا نفترض أنّ ذلك لم يكن حدَثًا تمّ مرّة واحدة بل هو مستمرّ على فترة من الزمن . أودّ أخيرًا أن أشير إلى أهمّيّة عبارة « على انفراد » (Kat'indian) . فهي ترد مرّة واحدة في الأدب البولسيّ ، وذلك في غلاطية ٢:٢: « وإنّما صعدت [إلى أورشليم] بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم - ولكن **على انفراد** (Kat'idian) على المعتبرين . . .» . وتتكرّر هذه العبارة عينها في مرقس في غالبيّة المقاطع التي تتحدّث عن يسوع عارضًا إنجيله (٤:٣٤؛ ٦:٣٠-٣١؛ ٩:٢؛ ١٣:٣) ، وخصوصًا حيث يصحّح لبطرس ويعقوب ويوحنّا (٩:٢) ، أو لبطرس ويعقوب ويوحنّا وأندراوس (١٣:٣) ما قد أساؤوا فهمه . هذه المقاطع ، كما سأظهر لاحقًا ، لا تفهم إلّا على خلفيّة غلاطية ٢:١-١٤. ترد عبارة Kat'idian مرّةً أيضًا في مرقس ٧:٣٣ بارتباط مع شفاء الرجل الأصمّ والأخرس الذي يصوّر ، كما سأبيّن لاحقًا، على صورة تيطس - الأمميّ الذي اصطحبه بولس إلى اجتماع أورشليم كحالة اختبار (غلاطية ٢:١) ! بناء عليه يمكن النظر إلى المواضع التي ترد فيها عبارة « على انفراد » على أساس استعمالها في غلاطية ٢:٢.

العبور

بعد أن علّم يسوع من السفينة قرّر في ٤:٣٥ أن « يجتاز إلى

العبر ». في موضع لاحق يتحدّث يسوع إلى تلاميذه « وكان ليل » (opsias genomenes). تذكّر هذه العبارة بجملة « ولما صار المساء » في ١:٣٢، التي تسبق جملة « وفي الصبح باكرًا » (١:٣٥)، حين أعلن الإنجيل خارج اليهوديّة. يدعو التلاميذ ليأخذوه إلى « العبر »، وقد أطاعوه وأخذوه « كما كان ». ما الذي دعا مرقس إلى إضافة ملاحظة كهذه؟ لا يمكن تفسير هذه الجملة إلَّا كتأكيد على أنّ كرازة بولس وأتباعه بالإنجيل للأمم (على الجانب الآخر [من البحر][1]) لم تغيّر شيئًا في حقيقة يسوع. بكلام آخر: لم يشوّه إنجيل بولس مسيّا إسرائيل الحقيقيّ، كما اتهمه يعقوب وجماعة أورشليم. تعكس قصّة تهدئة العاصفة (٤:٣٥-٤١) دعوة بولس للقيادة الأورشليميّة إلى أن تعبر « البحر » الرومانيّ رغم الأخطار المحدقة بمسعى كهذا. يسوع النائم (وكأنّه ميت) يقوم (كما من بين الأموات) ويظهر نفسه ربًّا يهدّئ المياه العاتية[2]، التي تمثّل هنا الأمبراطوريّة الرومانيّة الأمميّة، ويحملها على طاعته.

ينتمي فعل « أطاع » إلى القاموس البولسيّ[3]. كان بولس ينظر إلى

---

(١) أنظر ٥:١.

(٢) لاحظ ذكر الأمواج وقارنه مع مزمور ٩٣، حيث الربّ « أقوى من الأمواج والبحر » (أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثالث، ص ٢٤، ٢٨).

(٣) نجدها في مرقس هنا (٤:٤١) وفي ١:٢٧ فقط، حيث « الأرواح النجسة » – إشارة إلى الأمم كخارجيّين – تطيعه. أنظر لاحقًا التعليق على المقطع التالي، ٥:١-٢٠. نجد استعمال بولس لفعل « أطاع » وعبارة « الطاعة » للكلام على قبول الإنجيل في رومية ١:٥؛ ٦:١٦-١٧؛ ١٠:١٦؛ ١٥:١٨؛ ١٦:١٩، ٢٦؛ ٢ كورنثوس ٧:١٥؛ ١٠:٥-٦؛ ٢ تسالونيكي ١:٨.

رسوليّته كخدمة للمسيح[١]، وعليه فقد كان يعتبر أنّ الهدف من الإنجيل الرسوليّ «طاعة» الأمم للمسيح القائم كربّ لهم.

تعكس مقدّمة الرسالة إلى أهل رومية هذه النظرة: «[الإنجيل الذي] عن ابنه، الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعيّن ابن الله بقوّة من جهة روح القداسة، **بالقيامة من الأموات**، يسوع المسيح ربّنا، الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان **في جميع الأمم . . .**» (رومية ١:٤–٥)[٢].

الإنجيل فعّال في أرض الأمم

يأخذنا المقطع التالي (٥:١–٢٠) إلى الجانب الآخر من «البحر» الذي فتحه يسوع وروّضه، وهذا رمز للمنطقة التي عمل فيها بولس كرسول حاملًا الأمم على طاعة المسيح. إنّ التعابير التي تشير إلى أشياء يعتبرها اليهود نجسة أو غريبة تعكس كوننا في أرض أمميّة: القبور، الأرواح النجسة، الإنسان المسكون من الشيطان، الخنازير، لجيون[٣]. وكما روّض يسوع البحر الهائج برسالته، نراه هنا أيضًا يتغلّب على العالم الأمميّ الذي كان يعقوب وجماعته يخافون أن يبتلعهم. تدلّ اللغة المستعملة هنا على أنّ مرقس كان يريد دعوة سامعيه ألّا يخافوا من أن يكون السماح لمهتدين من الأمم بتجاهل التوراة إغراقًا لليهوديّة[٤].

(١) رومية ١:١؛ ١ كورنثوس ٩:١٩؛ غلاطية ١:١٠؛ فيليبّي ١:١.

(٢) أنظر أيضًا رومية ١٦:٦–٢٢؛ ١ كورنثوس ٧:٢١–٢٣.

(٣) ترمز القبور إلى انعدام الحياة الحقيقيّة التي لا يمنحها إلّا الإله الحيّ في شريعته. «لجيون» إشارة إلى الجيوش الرومانية.

(٤) أنظر التعليق على ١:٢٤.

وفي الوقت ذاته كان يحذّر من الخوف من الجيوش الرومانيّة التي كانت تهدّد أورشليم إبّان الحرب اليهوديّة ؛ كان باستطاعة الغيورين أن يستغلّوا هذا الخوف لإقناع الناس بالانضمام إلى ثورتهم المناهضة للرومان .

رسالة مرقس واضحة : لا يهدّد إنجيل بولس اليهوديّة . « يمضي » الأمميّ « النجس » و« يبتدئ ينادي » (erxato keryssein) في المدن العشر ، أي في الأمبراطوريّة الرومانيّة الأمميّة [١]، بأنّ الله قد منحه رحمته [٢]. في الواقع ، أمره يسوع بأن يفعل هذا وألّا ينضمّ إليه في نطاق اليهوديّة (الآيات ٢١ وما يليها) . بكلام آخر : لا يشكّل إنجيل بولس خطرًا على اليهوديّة لأنّه ، حين يحمل الأخبار السارّة إلى الأمم ، يطلب منهم أن ينشروه في ما بينهم وألّا يحاولوا إقناع اليهود بأنّ الشريعة قد ولّى عهدها [٣].

الإنجيل ذاته يتحدّى اليهود

بعد أن نجح يسوع في حمل الأمم على إطاعة إنجيل الله ، يعود ليتحدّى اليهوديّة في جوهرها ، ممثّلة بالمرأة العجوز ، وأتباع يعقوب ، ممثّلين بالفتاة (٥:٢١-٤٣) . اللغة المستعملة هنا أيضًا معبّرة . وهي تشير هذه المرّة باتجاه اليهوديّة : رئيس المجمع ، اسم يئيروس [٤]، العدد

(١) « المدن العشر » هي المنطقة الواقعة شرق نهر الأردن حيث كان للرومانيّين خطّ دفاع يتألّف من عشر مدن محصّنة .

(٢) إشارة واضحة إلى تعليم بولس حول رحمة الله في الرسالة إلى أهل رومية (٩:٢٣-٢٤؛ ١١:٣١؛ ١٥:٩) ؛ أنظر أيضًا غلاطية ٦:١٦.

(٣) رومية ١:١-٥.

(٤) iairos في اليونانيّة هو يئير في العبريّة ومعناه « ينير » ، وهو إشارة إلى رسالة

١٢، صحبة بطرس ويعقوب ويوحنّا . كانت الفتاة، مثل الكنيسة اليهوديّة التي يقودها يعقوب، على حافة الموت، وكانت بحاجة إلى « الخلاص » على « يد » يسوع، الذي سبق أن أعطى رحمة الله للأمم، أو بقوته[١]. أمّا المرأة العجوز فهي، كاليهوديّة، بحاجة إلى « الإيمان » (بإنجيل بولس)[٢] لكي « تخلص » وتنعم « بسلام » الله الأخرويّ[٣]. وأمّا أتباع بطرس، ويعقوب، ويوحنّا، فيشبهون الفتاة لكونهم يحتاجون إلى من يفتح أعينهم إلى الدعوة (البولسيّة) : « آمن **فقط** ». بالإيمان (بإنجيل بولس) **وحده** يستطيعون أن يذعنوا لأمر يسوع لهم أن يقوموا ويتبعوه، هو الربّ القائم[٤]، إلى الجليل (جليل الأمم) حيث « سيعطيهم ليأكلوا » (على مائدته المسيانيّة) . وبما أنّ إنجيل قيامة يسوع هذا في علاقة وثيقة مع آلامه وموته ولن يكشف إلّا في ٨:٣١-٩:١، « أوصاهم كثيرًا ألّا يعلم أحد بذلك » .

اليهود نحو الأمم الساكنين، على حدّ اعتبار اليهود، في الظلمة (رومية ٢:١٩) .

(١) الآيتان ٢٣، ٣٠؛ وأيضًا الآية ٤١ حيث « يمسك » يسوع بيد الصبيّة .

(٢) أنظر رومية ١:١٦-١٧؛ ٣:٢٢، ٣٠؛ ٤:١١، ١٤-١٦، ٢٤؛ ٩:٣٠-٣٣؛ ١٠:٤، ٦، ١٤-٢١؛ ١١:٢٠؛ ١٣:١١. أنظر أيضًا غلاطية ٢:١٥-١٦؛ ٣:٢، ع، ١٢، ٢٢، ٢٣-٢٥.

(٣) أنظر رومية ٣:١٧؛ ٥:١؛ ٨:٣-٦؛ ١٤:١٨-١٩؛ ١٥:١٣. أنظر أيضًا غلاطية ٦:١٦.

(٤) لاحظ التطابق في التعابير بين « قامت الصبيّة (aneste) » في الآية ٤٢، و« قام . . . (anastas) » في ١:٣٥ (أنظر التعليق سابقًا) .

أورشليم رفض الإنجيل

نعلم من المقطع التالي (٦:١-٦) أنّ محاولات بولس بإقناع أورشليم بالاعتراف بثمار مسعاه الرسوليّ بين الأمم، بقبولهم التقدمات الماليّة التي أتى بها، باءَت بالفشل[١]. يصف المقطع المأزق الذي وقع فيه بولس من جهة «أقربائه» اليهود، الذين يرثيهم مرارًا في رسائله: اليهود - «موطنه» (patris)؛ «وأقرباؤه»[٢] «وبيته» (oikia)[٣] - رفضوه و«عثروا به»[٤]، ووقفوا منه موقفًا «غير مؤمن» (apistia)[٥]. لو بقي الوضع على حاله بعد موت بولس، حين كتب إنجيل مرقس، لكانت جهود بولس الشخصيّة للتغلّب على كنيسة أورشليم قد ذهبت سدى.

قلنا إنّ قصد المقطع الإلماح إلى وضع بولس. تدلّ على هذا عبارة tekton التي تعني «بنّاء»، ولكنّها تترجم عادة إلى «نجّار». لا ترد في العهد الجديد إلّا في النصّ الموازي في متّى ١٣: ٥٥- ولكنّها تشبه

---

(١) أنظر المقدّمة.

(٢) الآية ٤. ترد العبارة اليونانيّة syngeneus فقط هنا في مرقس وهي قريبة من عبارة syngenes التي نجدها فقط في رومية (٩:٣؛ وأيضًا ١٦:٧، ١١، ٢١).

(٣) العبارة ذاتها التي في ١:٢٨ و٣:٢٥-٢٧.

(٤) الآية ٣. لاحظ الفعل عينه scandalizomai الذي يرد في ٤:١٧ للكلام على موقف بطرس هناك؛ أنظر سابقًا التعليق.

(٥) ترد هذه الكلمة فقط في الرسالة إلى أهل رومية، وذلك أربع مرّات في إشارة إلى رفض اليهود للإنجيل (٣:٣؛ ٤:٢٠؛ ١١:٢٠، ٢٣). كما نجدها في متّى في نصّ يوازي مرقس (متّى ١٣:٥٨) وفي ١ تيموثاوس ١:١٣؛ عبرانيين ٣: ١٢، ١٩.

إلى حدّ بعيد عبارة architekton (مهندس / معلّم في البناء) في ١ كورنثوس ٣:١٠، وهو نصّ كان مرقس يعرفه بالتأكيد . يستعمل بولس هذه العبارة في ١ كورنثوس ليشير إلى دوره كرسول .

إذا قصد مرقس في هذا المقطع أن ينقل رسالة حول طبيعة بولس وعمله ، فمن البديهيّ أن يكون اختيار أسماء « إخوة » يسوع قد تمّ بتأنّ لخدمة الهدف عينه . سبق لنا أن ناقشنا معنى أسماء يعقوب ، ويهوذا ، وسمعان . يبقى اسم يوسي (Ioses) الذي يذكر ثلاث مرّات فقط في العهد الجديد ، كلّها في مرقس [١]. فما معناه ؟ ليست محاولة اكتشاف الرمزيّة وراء هذا الاسم بالأمر السهل ، ولكن يمكننا أن نصوغ فرضيّة مقبولة هنا وفي المواضع الأخرى التي يرد فيها هذا الاسم . لئن كان الاسم يغيب حتّى في السبعينيّة ، إلّا أنّه يكتب بطريقة تذكّر بالاسم اليونانيّ ios الذي يعني « السمّ » [٢]. ربما كان قصد مرقس الإلماح إلى شخص اسمه يوسف يريد أن يصفه بالسامّ . أمّا تحويل متّى لهذا الاسم إلى « يوسف » فيولي هذا الطرح مصداقيّة [٣]. ضدّ من إذًا يوجّه مرقس تحذيره ؟

---

(١) هنا وفي ١٥:٤٠ و٤٧.

(٢) Ioseph اسم معروف جيّدًا ؛ ولكنّ السامع سيفكّر في يوسف من دون أن يربطه بأيّ شيء آخر . ولكن حين يسمع اسمًا غريبًا (والحقيقة أنّ هذا الاسم غير موجود كاسم) سيلفت انتباهه إلى شيء آخر . ioseph اسم لا يصرف ، أمّا ioses فيصرف ليصير iosetos، الأمر الذي يحوّل الانتباه إلى الكلمة اليونانيّة .

(٣) يفعل هذا في متّى ١٣:٥٥، التي توازي مرقس ٦:٣، وفي ٢٧:٥٦ التي توازي مرقس ١٥:٤٠. في لوقا ٤:٢٢ ويوحنّا ٦:٤٢ الموازيتين لمرقس ٦:٣، تقرأ « ابن يوسف » .

إذا أخذنا في الاعتبار أنّ اسم يهوذا يشير إلى سبط يهوذا، وتاليًا إلى منطقة اليهوديّة واليهوديّة الفلسطينيّة[١]، فاسم يوسف « السامّ » يمكن أن يكون وصفًا لسبط يوسف، الممثّل الأساس لمملكة الشمال التي تشتّتت من غير أن يذكر شيئًا عن عودتها. ومن الممكن أن يكون هذا السبط ممثّلًا ليهوديّة الشتات، أو الأسباط الأحد عشر المشتّتة. لكنّ هذا لا يفسّر موقف مرقس السلبيّ من « يوسف » إلّا إذا ذهبنا في هذه الفرضيّة خطوة إلى الأمام وركّزنا على عنصر التفرقة، تفرقة « الإخوة » الذين أهملوا الجماعة الحقيقيّة الواحدة. كانت مسؤوليّة تبشير الأمم تقع على عاتق بولس وبرنابا (غلاطية ٢:٩)، لكنّهما اختلفا في وجهات النظر عندما انضمّ برنابا إلى فريق المتهوّدين. في نظر بولس، صار برنابا، في تلك اللحظة « سامًّا » (غلاطية ٢:١١-١٤).

أسماء إخوة يسوع إذًا هي أسماء قادة اليهوديّة المسيحيّة (يعقوب وبطرس) أو ممثّلي اليهوديّة ككلّ (اليهوديّة الفلسطينيّة ويهوديّة الشتات). وربّما كان أحدها أيضًا يشير إلى واحد من قادة اليهود كان مشاركًا في وقت من الأوقات في تبشير الأمم. هذا يقودنا إلى الاستنتاج أنّ مريم، أمّهم جميعًا، لا تمثّل كلّ أتباع المسيح بل الذين آمنوا من اليهود بيسوع على أنّه المسيّا[٢]. هنا في مرقس يوبّخ الفريق التالي على عدم إيمانه (بإنجيل بولس؛ ٤:٣٥-٤١)، ثم يطلب إليه أنّ

---

(١) أنظر التعليق على لائحة الاثني عشر في ٣:١٣-١٩.

(٢) اسم الجدّ في التقاليد القبليّة هو ذاته اسم كلّ سلالته. لهذا أصبح اسم أمّ يسوع، رمزًا استعمله مرقس للحديث عن اليهوديّة المسيحيّة. أمّا اختيار مريم بدلًا من زوجها يوسف فجذوره في تقليد العهد القديم حيث الكلام على

« يؤمن » (٥:٣٦) كما فعل الأمم (٥:١–٢٠) . لكنّهم ، في الواقع ، لبثوا في عدم إيمانهم . هذه السلسلة من الروايات تدور إذًا حول قبول الأمم بالإنجيل ورفض اليهود له ، وبهذا تقدّم ، بشكل روائيّ ، موضوع رسالة بولس إلى أهل رومية .

إسرائيل ، جماعة الله ، كزوجة (هوشع ١–٣) أو امرأة (حزقيال ١٦ و٢٣) . في هوشع إسرائيل هو الزوجة والأولاد ، وهذا يتطابق إلى حدّ بعيد مع ما نجده في مرقس هنا وفي ١٣:٣–٣٥. نجد مثلًا آخر في ساره ، زوجة إبراهيم . يشير إشعياء الثاني إليها كرمز لأورشليم الجديدة وسكانها ، الذين يعتبرهم سبطًا ، ونسلًا لساره (أنظر إشعياء ٥١:١–٣ و٥٤:١–٣، وتعليقي عليها في تفسير غلاطية ، صفحة ٢٤٤–٢٤٦ و٢٤٩) .

١٤

دورة الدعوة الثالثة

دعوة أخرى إلى الرسل

تتمحور هذه الدورة (٦:٦ب-٨:٢١) حول « قساوة قلب » أورشليم إزاء إنجيل بولس. تبدأ بدعوة يسوع للرسل إلى أن يكرزوا الإنجيل بحريّة (٦:٦ب-١٣). ينبغي لهم ألَّا يهتمُّوا للطعام أو المال، حتّى ولو كانوا سيدعون إلى « إطعام » الجموع (٦:٣٠-٤٤؛ ٨:١-١٠). مصدر « سلطانهم » الوحيد والكافي أن يكونوا عصا (rhabdos) للأبوّة الحقيقيّة[١]. أمّا شهادتهم، في كلّ مكان يحملون الإنجيل إليه، فهي أن يصيروا « شهادة ضدّ » (eis martyrion autois) الذين يرفضونهم. تشبه هذه التعليمات تلك التي أعطاها يسوع للأبرص الذي يرمز إلى بولس في ١:٤٠-٤٥، الأمر الذي يعني أنّه يدعو الرسل إلى أن يتشبّهوا ببولس باتخاذهم موقفًا في شأن الإنجيل الحقيقيّ في وجه أيّة معارضة، حتّى ولو أتت من كهنوت أورشليم أو قيادتها.

موت يوحنّا المعمدان

عند هذه المرحلة تأتي فقرة تتحدّث عن موت يوحنّا المعمدان

(١) ١ كورنثوس ٤:٢١، في فقرة تتحدّث عن الأبوّة.

عند هذه المرحلة تأتي فقرة تتحدّث عن موت يوحنّا المعمدان (٦:١٤-٢٩) لتقطع على نحو مفاجئ الفقرة التي تتحدّث عن إرسال يسوع للتلاميذ. أمّا طابع هذه الفقرة كقصّة تامّة مقحمة في وسط قصّة أخرى من دون محاولة للجمع بينهما، فنتبيّنه في ترابط النصّ بين الآيتين ١٣ و٣٠، فإذا نزعنا الآيات ١٤-٢٩ من موضعها لا يشعر القارئ بأيّ نقص في النصّ. لماذا أقحمت هذه القصّة هنا، خصوصًا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ سجن يوحنّا قد سبق ذكره في ١:١٤؟

نجد موضوع هذه القصّة أو غايتها في التصريح بأنّ البعض كانوا يظنّون أن يسوع هو يوحنّا «وقد قام من بين الأموات» (الآيتان ١٤، ١٦). يظهر هذا العلاقة الحميمة بين الرسول والذي أرسله؛ شهد يوحنّا بأمانة وصدق للرسالة التي أعلنها يسوع نفسه، فصار بهذا صورة ليسوع، أو في نظر البعض، صار يسوع صورة له. أمّا أمانة يوحنّا لهذه الرسالة فهي التي أدّت إلى موته، تمامًا كما سيحصل مع يسوع. لكنّ الشبه ينتهي عند هذا الحدّ، ذلك أنّ «كرازة» يسوع لم تنته بموته، بل، في الواقع، بدأت بعد موته وقيامته، حين نشر بولس - والآن مرقس - في العالم المعروف كلّه إنجيل يسوع القائم والربّ الآتي[1]. يسبق موت يوحنّا هنا إذًا فيصوّر موت يسوع بطريقة تركّز الاهتمام على يسوع أكثر من يوحنّا. فالفرق بينهما هو أنّ موت يوحنّا كان نهاية، أمّا موت يسوع فأزهر بداءة جديدة مجيدة. بهذا المعنى يعلن يوحنّا صورة يسوع في موته كما في حياته؛ بكلام آخر: يوحنّا

(١) أنظر التعليق ١:٢-١٥، وخصوصًا الآيتين ١٤-١٥.

الشهيد هو الوجه المنظور ليسوع القائم غير المنظور. هذه الفكرة – أي ضعف رسول المسيح أو موته صورة أمينة ليسوع نفسه – هي ما علّمه بولس في رسائله:

« ... ولكنّكم تعلمون أنّي بضعف الجسد بشّرتكم في الأوّل، وتجربتي التي في جسدي لم تزدروا بها ولا كرهتموها، بل كملاك من الله قبلتموني كالمسيح يسوع ... يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضًا إلى أن يتصوّر المسيح فيكم! » (غلاطية ٤:١٣-١٤، ١٩).

« ولكن لنا هذا الكنز في أوان خزفية ليكون فضل القوّة لله لا منّا. مكتئبين في كلّ شيء لكن غير متضايقين. متحيّرين لكن غير يائسين. مضطهدين لكن غير متروكين. مطروحين لكن غير هالكين. حاملين في الجسد كلّ حين إماتة الربّ يسوع لكي تظهر (phanerothe) حياة يسوع أيضًا في جسدنا. لأنّنا نحن الأحياء نسلّم دائمًا للموت من أجل يسوع لكي تظهر (phanerothe) حياة يسوع أيضًا في جسدنا المائت. إذًا الموت يعمل فينا ولكن الحياة فيكم. فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلّمت. نحن أيضًا نؤمن ولذلك نتكلّم أيضًا. عالمين أنّ الذي أقام الربّ يسوع سيقيمنا نحن أيضًا بيسوع ويحضرنا معكم » (٢ كورنثوس ٤:٧-١٤)[١].

في تعليقي على ١:٢-١١ أشرت إلى أنّ يوحنّا المعمدان، في مرقس، رمز لبولس، وأنّ وصف حياته يشبه وصف حياة بولس.

---

(١) لاحظ قرب هذا النصّ من ١٤:٦ التي تنتهي بـ: « لذلك تعمل (energouin) به هذه القوّات (dynameis) ».

أضف إلى هذا أنّ هذا المقطع يتضمّن لغة ومواضيع بولسيّة. نجد اثنين منها في الجملة الأولى، «لأنّ اسم يسوع صار مشهورًا (phaneron)». «اسم» الربّ مرتبط بكرازة الإنجيل في رسائل بولس[١]، وعبارة phaneron في مرقس تشير إلى مجيء الربّ، الذي يأخذ حيّزا أساسيًّا في إنجيل بولس[٢]. يفسّر هذا كلّه لماذا أقحم مرقس قصّة قطع رأس يوحنّا في وسط قصّة دعوة الرسول ورحلاته: أراد أن يشدّد على أنّ الأوّل يلي مباشرة الدعوة الرسوليّة الأخيرة وذلك ليبيّن للقارئ أنّ يوحنّا - ومن خلال بولس - يمثّل نموذج الرسول الحقيقيّ الذي يبذل نفسه عن الإنجيل.

وفي الموت كما في الحياة نجد موازاة بين يوحنّا وبولس. تبنّى بولس «الإيمان الذي كان قبلًا يتلفه» (غلاطية ١:٢٣) وهكذا وضع نفسه خارج إطار اليهوديّة المعاصرة له التي كانت ديانة شرعيّة في الأمبراطوريّة الرومانيّة. بهذا جعل نفسه تحت طائلة اتهام الهيئات الرسميّة الرومانيّة له بنشر ديانة «جديدة» غير شرعيّة، الأمر الذي يعاقب عليه بالموت. وهكذا أيضًا، عندما وقف يوحنّا المعمدان في وجه هيرودس، الملك اليهوديّ، وتاليًا ممثّل اليهود، وضع نفسه في خطر، وقد صار في النهاية ضحيّة هيرودس. ولكن في مرقس لا يقع اللوم في موت يوحنّا على هيرودس نفسه بل على «عظمائه وقواد الألوف ووجوه الجليل» (٦:٢١). ذكر الجليل في هذا السياق، إذا

---

(١) أنظر رومية ١٠:١٣-١٧؛ ١٥:٢٠؛ ١ كورنثوس ١:٢، ١٣-١٧؛ ٦: ١١.

(٢) أنظر التعليق على ١:١-١٥؛ ٣:١٢؛ ٤:٢٢.

نظرنا إليه مع الموازاة التي بين بولس ويوحنّا ، دليل آخر على أنّ الجليل ، في مرقس، رمز لروما .

تنعكس « العلاقة بروما » في هذه الفقرة في طريقة الإعدام وفي عبارة spekoulator التي تطلق على « الجندي الحارس » الذي نفّذه . الإعدام كان بقطع الرأس مخصّصًا للمواطنين الرومانيّين (كان بولس مواطنًا رومانيًا ، أمّا يوحنّا فلا) ، أمّا spekoulator فهي الصيغة اليونانيّة للعبارة اللاتينيّة speculator، وهي لقب رومانيّ [1] .

ثمة دليل آخر على أنّ يوحنّا ، في رواية موته هذه ، يظهر على شبه بولس . لاحظ أوجه الشبه بين « الصبيّة » (Korasion؛ الآيتان ٢٢،٢٨) هنا وتلك التي في ٥:٤١-٤٢، والتي ترمز إلى أتباع يعقوب :

١) لا ترد هذه العبارة إلّا في هذين الموضعين في مرقس .

٢) في الموضعين تسمّى الفتاة أوّلًا « ابنة » (thygatrion/ thygater؛ ٥:٢٣، ٢٤، ٣٥؛ ٦:٢٢) . ثمّ « صبيّة » (korasion؛ ٥:٤١، ٤٢؛ ٦:٢٢، ٢٨) .

٣) في كلا النصّين تركيز على عبارة « صبيّة » وذلك لأنّهما يستعملانها بعد عبارة « ابنة » . في النصّ الأوّل تأتي جملة « الذي تفسيره » المعقدة (ho estin methermeneuomenon؛ الآية

---

(١) speculator هو الحارس أو الجاسوس، والعبارة مشتقّة من specula (التلّ المرقب) .

٤١) بدلًا من « ما يعني » البسيطة (hi estin) لتظهر الترجمة من الآراميّة إلى اليونانيّة. أمّا في النصّ الثاني فيتمّ الانتقال من thygatrion إلى korasion بسرعة في الآية ذاتها (الآية ٢٢).

إذا كانت هذه هي « الصبيّة »، فرسالة مرقس واضحة: تورّطها في موت يوحنّا يشبه تورّط يعقوب وأتباعه مع خصوم بولس المتهوّدين، الأمر الذي ساعد على اقتياد بولس إلى موته.

شركة المائدة

يعود ما تبقّى من قصّة إرسال الرسل (٦:٣٠-٤٤) إلى موضوع شركة المائدة المألوف. ما يريد مرقس أن يقوله من خلال لغة هذه القصّة الرمزيّة ومن خلال طريقة إقحامه قصّة موت يوحنّا قبلها هو الآتي: لئن كان بولس ذهب، إلّا أنّ يسوع الآن - القائم والربّ الآتي - هو الذي يدعو الرسل إلى اتّباع « الطريق » البولسيّ وقبول شركة المائدة التامّة بين اليهود والأمم. في هذه الآيات يعلّم يسوع رسله، الذين قالوا إنّهم كانوا يعلّمون بطريقة صحيحة (الآية ٣٠)، أن يكفّوا عن التعليم لفترة، حتّى يحاول إعادة توجيه فكرهم بواسطة معجزة الخبز والسمك. عليهم أن يذهبوا إلى مكان « منفردين » (kat'idian)[١]، وما هذا المكان إلّا « موضع الخلاء » المذكور في ١:٣٥، أي أرض الأمم[٢]. لا يمكنهم الذهاب إلى هناك إلّا « ماضين »

(١) جملة kat'idian مأخوذة من غلاطية ٢:١١-١٤؛ أنظر سابقًا التعليق على ٤:٣٤.

(٢) تظهر الأهمّيّة المعطاة لهذا الشأن في تكرار عبارتي kat'idian وeremon topon (الآيتان ٣١، ٣٢).

(apelthon) « في السفينة » ؛ المعنى المتضمّن في هذا هو انتقالهم مرّة أخرى إلى الجانب الآخر من « بحر الجليل »[١] . وقد رأينا سابقًا في ٤ : ١ أنّ تعليم يسوع الحقيقيّ « يبدأ » هناك .

عندما سأل التلاميذ يسوع أن يصرف « الجموع » وألّا يأكل معهم طلب إليهم يسوع أن يشاركوهم في طعامهم[٢] . هذا الطعام الذي ينبغي لهم أن يشتركوا فيه مع « الخارجيّين » هو التوراة؛ الأرغفة « الخمسة » ترمز إلى الكتب الخمسة . غير أنّ التلاميذ حاولوا مرّة أخرى التفريق بينهم وبين جموع الخارجيّين ، وذلك بذكرهم السمكتين ، أي الجماعتين المنفصلتين ، جماعة اليهود وجماعة الأمم ، كعنصرين منفصلين للجماعة المسيانيّة نفسها – الأمر الذي لم يكفّ بولس عن محاربته[٣] . يظهر « تقسيم يسوع السمكتين للجميع » أنّ مرقس أدخل فكرة الجماعتين ليرفضها مشدّدًا على وحدة الجماعة الجديدة . التشديد ذاته واضح أيضًا في عدد السلال الاثنتي عشرة ، وذلك لأنّ هذا العدد يمثّل ملء إسرائيل . وفي عدد الخمسة آلاف يعود العدد « خمسة » ليشير مرّة أخرى إلى التوراة ، التي يشترك الجميع فيها . أمّا الألف فتشدّد على أنّ « الكلّ » معنيّون بهذا . يؤكّد هذا مبدأ يكرره بولس باستمرار : « لأنّه لا فرق بين اليهوديّ واليونانيّ ، **لأنّ ربًّا واحدًا للجميع غنيًّا لجميع** الذين يدعون به »[٤] .

---

(١) أنظر ٤ :٣٦ و٥ :١.

(٢) لاحظ سؤال يسوع : « كم رغيفًا عندكم؟ » (الآية ٣٨) .

(٣) أنظر التعليق على ١ :١٦–١٧ وتفسير غلاطية ، صفحة ٣٨–٣٩.

(٤) رومية ١٠ :١٢؛ أنظر أيضًا غلاطية ٣ :٢٨؛ ١ كورنثوس ١٢ :١٣؛ كولوسي ٣ :١١.

العبور إلى أرض الأمم

تستمرّ القصّة في ٦:٤٥ و« يلزم » (enankasen) يسوع تلاميذه المتردّدين أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى « الجانب الآخر »، الذي يسمّى هنا بيت صيدا. تعني عبارة بيت صيدا الآراميّة « بيت الصيد » أو « بيت المؤن الناتجة من الصيد »، الأمر الذي يدلّ على أنّ يسوع كان يحثّ تلاميذه على الذهاب إلى « جليل الأمم » قبله، وذلك حتّى يكونوا هناك عندما يأتي هو، في وقت لاحق، بمجد من « الجبل، بيت الصلاة »، أي الهيكل الإلهيّ (الآية ٤٦). هنا أيضًا يصير العبور « عند المساء » (opsias genomens)، وهي جملة يستعملها مرقس ليمّهد لنصوص تتحدّث عن ظهور يسوع في « الجليل »[1]. رحل التلاميذ ولكنّهم « كانوا معذّبين في الجذف » – كانوا متردّدين في مغادرة أورشليم إلى الجليل. أمّا يسوع فجعل نفسه مثالًا لهم لدرجة أنّه « أراد أن يتجاوزهم » (الآية ٤٨) ويقودهم نحو « الجانب الآخر »؛ ولمّا لم ينجح الأمر حاول تعزيز المثل بالتحدّث[2] إليهم. ومع هذا لم « يفهموا »[3] أمثولة « الأرغفة » لأنّ « قلوبهم كانت غليظة »[4]. لكنّ

---

(١) أنظر التعليق على ١:٣٢ و٤:٣٥.

(٢) يشير فعل lalo في مرقس إلى الكلام أو الكرازة بالإنجيل؛ أنظر التعليق على ١:٣٤؛ ٢:٢، ٧؛ ٤:٣٣. المعنى المتضمّن هو أنّ تلاميذ يسوع، الذين يفترض فيهم أن يكرزوا بالإنجيل، بحاجة إلى من يبشّرهم. وهذا بالضبط ما يفعله بولس مع بطرس في غلاطية ٢:١١-١٤.

(٣) أنظر التعليق على ٤:١٢. فهناك الخارجيّون هم الذين لا يفهمون؛ وهكذا عندما لا يفهم التلاميذ رسالة يسوع يجعلون أنفسهم خارجيّين؛ أنظر أيضًا الحاشية الآتية.

رسالة الإنجيل نقلت رغم ذلك إلى الأمم (الآيات ٥٣-٥٦) الذين «خلصوا» (esozonto) بلمسهم ثوب يسوع، تمامًا كما فعلت المرأة النازفة الدم التي ترمز إلى اليهوديّة (٥:٢٧-٢٨).

جدل مع القادة

مباشرة بعد هذا يحاول الكتبة والفرّيسيّون أن يعيقوا خلاص الأمم (٧:١-٢٢)، تمامًا كما حاول قادة المسيحيّين في أورشليم أن يعيقوا خلاص الذين اهتدوا من الأمم على يد بولس في أنطاكية (غلاطية ٢:١١-١٤). الشبه بين الوضعين لافت:

١) في مرقس يأتي «فرّيسيّون وكتبة من أورشليم»؛ في غلاطية يأتي «رجال من عند يعقوب» (الذي مركزه في أورشليم).

٢) في مرقس يسأل هؤلاء الرجال الذين من أورشليم عن صحّة شركة المائدة مع تلاميذ «غير طاهرين»[١]؛ في غلاطية يقنعون كلّ اليهود بالتوقّف عن شركة المائدة مع الأمم، والأمم عند اليهود غير طاهرين بطبيعتهم.

---

(٤) أنظر التعليق على ٣:٥. شرحت هناك عبارة porosis على خلفيّة استعمالها في الرسالة إلى أهل رومية حيث ينتقد بولس يعقوب على عدم قبوله الأمم؛ أمّا هنا فتكمن الـporosis في تمنّع التلاميذ عن فهم ضرورة شركة المائدة مع الأمم.

(١) استعمال عبارة «أكل الأرغفة» في الآيتين ٢ و٥ يربط هذا المقطع بالمقطع الذي يتحدّث عن إشباع الخمسة آلاف في ٦:٣٠-٤٤. أما «الإشباع» الثاني فيعطي المعنى الأخير لشركة المائدة حيث الجميع أعضاء في الجماعة نفسها.

٣) يدعو يسوع هؤلاء الرجال « مرائين » (hypokritai) – وهي المرّة الوحيدة التي ترد فيها هذه العبارة في مرقس. أمّا بولس فيأسف لأنّ الجميع «تبعوا [بطرس] في ريائه» (synypokrinomai)، ولأنّ برنابا أيضًا انقاد إلى « ريائهم » (hypocrisis) – وهي الكلمات الوحيدة المشتقّة من هذا الجذر في بولس.

٤) يذكر وصف تقاليد اليهود المختصّة بالطعام بـ « تقاليد الشيوخ »، و« تقاليد الناس » و«تقليداتكم » بما يقوله بولس عن « تقاليد آبائي » في غلاطية ١:١٤. مع العلم أنّ هذه الجمل لا ترد إلّا في المواضع المذكورة في مرقس وبولس.

٥) تعكس إحدى هذه الجمل في مرقس « تقاليد الناس »، ارتباطًا بالرسالة إلى أهل كولوسي[1]، وذلك لأنّنا لا نجدها إلّا هنا في مرقس وفي كولوسي ٢:٨. لكنّ ورودها في كولوسي فيه إشارة إلى غلاطية، إذ نقرأ « ... حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم (ta stoikheia tou kosmou) ...» – وهذه العبارة الأخيرة خاصّة بغلاطية (٤:٣،٩) وكولوسي (٢:٨،٢٠).

٦) ابتداءً من ٧:٨ يستعمل مرقس عبارة « ناس » بدلًا من « شيوخ » ليتحدّث عن التقليد اليهوديّ، وذلك ليظهر التضارب بين تقاليد الناس و« وصايا الله » أو « كلمة الله ». يذكّر هذا بالتعارض الذي تظهره الرسالة إلى أهل غلاطية بين الناس والله في ١:١ و١:١١-١٢).

(١) أنظر صفحة ٢٢٣.

٧) يعزّز ارتباط هذا المقطع بالرسالة إلى أهل غلاطية استعمال فعلَي «رفض» (atheto؛ الآية ٩) و«أبطل» (akyro؛ الآية ١٣)، والفعلان يستعين بهما بولس في حجّته التي تتعلّق بثبات وعد الله لإبراهيم (غلاطية ٣:١٥،١٧)[١].

٨) بالنسبة إلى يسوع المهمّ هو التصرّف بمقتضى مشيئة الله (الآيات ١٠-١٢، ٢٠-٢٣)، وهذا بالضبط موضوع غلاطية ٥:١٣-٢٦[٢].

كرازة الإنجيل للأمم وقبولهم إيّاه

بعد أن أعلن «أن ليس من طعام نجس» واضعًا اليهود والأمم على مستوى واحد، «قام» (anastas) يسوع «ومضى» (apelthen)[٣] إلى منطقة صور (٢٤:٧)[٤]. كانت صور حليفة لأورشليم، ولكنّها تركتها عندما وقعت أورشليم في أيدي البابليّين السنة ٥٨٧ قبل الميلاد، الأمر الذي دعا حزقيال إلى التنبّؤ ضدّها في الإصحاحين ٢٦-٢٧[٥]. في صور يلتقي يسوع امرأة كانت

(١) في بولس يرد فعل atheto مرّة أخرى في غلاطية ٢١:٢ بعلاقة مع نعمة الله، وفي ١ تسالونيكي ٨:٤ بعلاقة مع إعطاء الله للروح القدس. أمّا فعل akyro فلا نجده إلّا في غلاطية ومرقس (وفي الموازاة عند متّى ٦:١٥).

(٢) أنظر أيضًا رومية ١٧:٢-٢٩.

(٣) أنظر حول هذين الفعلين تعليقي على ٣٥:١؛ في معظم المواضع التي يردان فيها يشيران إلى حركة الخروج إلى أرض الأمم.

(٤) «... وصيدا» إضافة في بعض المخطوطات، القصد منها التطابق بين مرقس ومتّى (٢١:١٥).

(٥) أنظر أيضًا إشعياء ٢٣.

« سمعت عنه » (إلماح إلى الكرازة الرسوليّة) . يقول النصّ عن المرأة إنّها كانت « يونانيّة ، وفي (to genei) جنسها فينيقيّة سوريّة » ، أي أمميّة بكلّ ما للكلمة من معنى (الآية ٢٦)[١] . تطلب إليه أن يطعمها من مائدة « الأبناء (أبناء إسرائيل) » ، ويستجيب هو لطلبها بسبب « إيمانها » ؛ في الواقع إنّها أوّل شخص في مرقس يعترف بيسوع « ربًّا » (الآية ٢٨) . خلافًا لابنة يائيروس اليهوديّة التي شفاها يسوع ثم أصبحت « الصبيّة » التي أسلمت سابق يسوع للموت ، شفيت ابنة هذه المرأة الأمميّة من « نجاستها » (الآية ٢٥-٣٠)[٢] .

الآية التالية (٧:٣١) في غاية الأهمّيّة لكونها تؤكّد أنّ « بحر الجليل » في إنجيل مرقس يرمز إلى البحر المتوسّط والأمبراطوريّة الرومانيّة بعامة . نقرأ في هذه الآية : « ثم خرج أيضًا من تخوم صور وعبر في (dia) صيدا إلى بحر الجليل عبر (أو وسط؛ ana meson) حدود المدن العشر » . من المعروف أنّ صيدا تقع شمال صور ، أمّا بحر الجليل والمدن العشر فجنوبها - فكيف يمكن عبور منطقة باتجاه الشمال للوصول إلى منطقة في الجنوب ؟ والمدن العشر أبعد عن صور من بحر الجليل ، فكيف نعبر منطقة بعيدة للوصول إلى منطقة أقرب ؟ أمّا إذا أخذنا ana meson بمعنى « في وسط » ، جاعلين نهاية الجملة مجرّد

---

(١) الربط بين اليونانيّين والفينيقيّين والسوريّين ، أي الكنعانيّين ، لافت فهو يجمع بين العبارتين الكتابيّتين التقليديّتين اللتين تشيران إلى « الأمم » .

(٢) الموازاة المقصودة بين القصّتين (بغية إظهار التضاد) لا لبس حولها : في كلا الحالتين يشار إلى الابنة أوّلًا بـ thygatrion (٥:٢٣؛ ٧:٢٥) ، ثم بـ thygater (٥:٣٤، ٣٥؛ ٧:٢٦، ٢٩) .

ملاحظة حول موقع بحر الجليل في المدن العشر، يبقى السؤال مطروحًا لماذا لا يذكر مرقس بحر الجليل في المدن العشر إلّا في هذا الموضع بعد هذا العدد من الإشارات إليه في مواضع سابقة؟ أفضل طريقة لتفسير هذا التصريح الصعب هو الاستنتاج أنّ مرقس استعمل «المدن العشر» كرمز إلى الأمبراطوريّة الرومانيّة[١]، وبحر الجليل كرمز للبحر المتوسّط الذي يقع «وسط» الأمبراطوريّة الرومانيّة. يعني هذا أنّ يسوع كان يحمل الإنجيل بعيدًا من أورشليم باتجاه الشمال (عبر صور ثم صيدا) نحو مركز الأمبراطوريّة الرومانيّة.

في منطقة المدن العشر يلتقي يسوع أصمّ فيشفيه (٧:٣٧). قبل ذلك قال للذين حوله «افهموا (حرفيًّا: أنظروا) ما تسمعون». (blepete ti akouete؛ ٤:٢٤). بكلام آخر: اليهوديّ الذي **يسمع** الكلمة الإلهيّة (التي تقرأ في خدمة المجمع) ينبغي له أن «يرى» معناها ليفهمها[٢]. وبالمقارنة الأمميّ الذي يجوز له أن يسمع الكتابات «أصمّ» وتاليًا «أخرس» بمعنى أنّه لا يستطيع أن «يتكلّم» على الإله الكتابيّ. وهكذا تعكس الفقرة ٧:٣١-٣٧ صراع بولس لكي يجعل للأمميّين «الصمّ والبكم» صوتًا في الكنيسة تمامًا كاليهود، وذلك لكي يستطيعوا أن «يقولوا» الرسالة الإنجيليّة[٣].

ولئن كان الأصمّ الأبكم يمثّل الأمميّين كطبقة إلّا أنّ تفاصيل الرواية

---

(١) هكذا تستعمل أيضًا في ٥:٢٠، الموضع الآخر الوحيد الذي ترد فيه عبارة Decapolis في مرقس.

(٢) ثمّة أيضًا في العربيّة قرابة في المعنى بين أن تبصر وأن تفهم.

(٣) فعل lalo (الآيتان ٣٥، ٣٧) عبارة تقنيّة في مرقس، تستعمل للكرازة بالإنجيل؛ أنظر التعليق على ١:٣٤؛ ٢:٢، ٧؛ ٤:٣٣؛ ٦:٥٠.

تدلّ على أنّ مرقس بناها وفقًا لشخص عرفه أو عرف عنه . لم يكن أيّ أصمّ أبكم ، بل واحدًا استدعاه يسوع « من الجمع » (apo tou okhlou) وأخذه على انفراد (kat'idian)، وشفاه بأفعال قام بها . من يمكن أن يكون هذا ؟ التعابير المستعملة في الآية التي تخبر بشفائه تلقي الأضواء على ما نودّ معرفته : « وللوقت انفتحت أذناه (akoai) ، وانحلّ رباط (desmos) لسانه وتكلّم (elalei) مستقيمًا (orthos) » . تشير هذه التعابير مرّة أخرى باتجاه رسالة غلاطية :

١) فيما لا ترد عبارة akoai إلّا في مرقس بمعنى الأذن أو السماع ، تظهر العبارة ذاتها في غلاطية ٢:٣ و ٥ (akoe مفرد akoai) بمعنى « السماع » و« الإعلان »[1] .

٢) يرد الحال orthos (مستقيم) فقط هنا في مرقس ، وهو أيضًا يشبه عبارة مستعملة في غلاطية : فعل orthopodo (أسير مستقيمًا) في غلاطية ١٤:٢ المشتقّ من الجذر عينه والذي يعني « أمشي بحسب الإنجيل » في سياقه الغلاطيّ ، ولا نجده في أيّ موضع آخر في العهد الجديد . واللافت في الشبه بين مرقس وبولس أنّ الحال هنا يرافق فعل lalo، الذي يحمل مدلول « الكلام » بالإنجيل ، كما سبق وأشرت[2] .

٣) تذكّر عبارة « رباط » (desmos) ، الفريدة في مرقس ،

(١) أنظر تفسير غلاطية ، صفحة ٩٩-١٠٠.

(٢) هذا يفسّر لماذا يستعمل فعل elalei (تكلّم) بصيغة الماضي غير التامّ ، خلافًا لفعلَي enoigesan (انفتحت) وelythe (انحلّ) المستعملين بصيغة الماضي التامّ ، وذلك للدلالة على استمراريّة الفعل .

بنضال بولس من أجل حريّة الأمم، وهذا موضوع رسالة غلاطية [١].

٤) أخيرًا، كما بيّنت آنفًا في تفسيري ٤:٣٤، جملة kat'idian في مرقس شبيهة بما عندنا في غلاطية ٢:٢ وهي ترد في مرقس في سياق مشابه.

إذا كانت رسالة غلاطية أثّرت في كتابة مقطع الأصمّ الأبكم فلا بدّ من أن يكون نموذج الأصمّ الأبكم هناك أيضًا. ثمّة شخص مذكور في رسالة غلاطية ينطبق عليه هذا الوصف، ألا وهو تيطس. قلت آنفًا إنّ الأصمّ الأبكم أمميّ، وتيطس كذلك. وقد صار مساعد بولس في نشر الإنجيل وقد اصطحبه بولس عن قصد إلى مجمع أورشليم للاختبار والتأكّد أنّه لن يجبر على الاختتان [٢]. لأنّ هذا المجمع انتهى باتفاق يستثني الأمميّين من التقيّد بالناموس اليهوديّ، أدّى تيطس دورًا مهمًا ولو سلبيًّا، في مساعدة الأمم على أن ينالوا «صوتًا» في الكنيسة.

مساواة تامّة على مائدة الربّ

لما راح كثيرون من الأمم يعلنون الإنجيل كالرسل أنفسهم ولم يكتفوا

---

(١) غلاطية ٣:٢٣؛ ٢٤، ٢٨؛ ٤:٣، ٨، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٠، ٣١؛ ٥:١، ١٨.

(٢) ٢ كورنثوس ٧:٦-١٤؛ ٨:٦-٢٣؛ غلاطية ٢:١-٥؛ أنظر تفسير غلاطية، صفحة ٦٢-٦٣. إن موضوع فتح فم إنسان ليتكلّم بالإنجيل يشبه أيضًا قصّة بولس، إلّا أنّ القصد من رواية الأصمّ الأبكم الحديث عن الأمميّ الذي يتبع يسوع. أضف إلى هذا أنّ يسوع في إنجيل مرقس يمثّل بولس، في حين أنّ يوحنّا المعمدان يمثّل بولس في جانبه اليهوديّ، كممثّل للعهد القديم؛ الاستثناء الوحيد هو الأبرص في بدء الإنجيل.

بمجرّد قبوله ، اتّضح أكثر فأكثر أنّه لا يمكن إقصاؤهم عن المساواة التامّة في شركة المائدة . على اليهود أن يقبلوهم كإخوة مساوين لهم تمام المساواة حتّى تستعلن الوحدة التامّة في جماعة المسيح بين اليهود والأمم . ولا يمكن أن تكون ثمّة في العالم كلّه إلّا جماعة واحدة متّحدة ، إذ هذه هي مشيئة الله الواحد الأحد نفسه . هذا هو موضوع معجزة الأرغفة التالية (٨:١-١٠) ، التي تصف بشكل رمزيّ الأمم المجتمعين حول المسيح القائم على مائدته المسيانيّة الإلهيّة . هنا أيضًا ليس للجمع « ما يأكلون » . كانوا قد « مكثوا » مع يسوع « ثلاثة أيام » ، و« قوم منهم جاؤوا من بعيد » . عدد الأرغفة الآن سبعة ، وهو عدد إلهيّ . ولأنّ الإله **الواحد** ليس له إلّا جماعة **واحدة**[١] ، لا ذكر هذه المرّة للسمكتين اللتين تمثّلان محاولة التلاميذ الفصل بين جماعتين ، بل « قليل من صغار السمك » (ikhtydia) تمثّل الأفراد المتشابهين ، ذلك أنّ لا فرق بعد بين يهوديّ وأمميّ . في الحقيقة أنّ « لا يهوديّ ولا يونانيّ » في جماعة الربّ القائم المسيانيّة ، لأنّ الكلّ « نسل إبراهيم »[٢] . ملأت الفضلات سبع سلال . العدد الإلهيّ مرّة أخرى . يمثّل العدد أربعة آلاف كلّيّة الشعب في جهات العالم الأربع (ألف لكلّ جهة) ، الأمر الذي يعني أنّ الجماعة الجديدة تشمل العالم كلّه .

على أساس هذا التفسير يمكننا أن نفهم التصريح الذي يرد في نهاية القصّة : « وللوقت دخل السفينة مع تلاميذه وجاء إلى نواحي

---

(١) أنظر تفسير غلاطية ، صفحة ١٣٨-١٤٣.

(٢) غلاطية ٣:٢٦-٢٩؛ أنظر تفسير غلاطية ١٨٥-١٨٨.

دلمانوثة » . « السفينة » الممتلئة « بتلاميذ يسوع » تتّجه إلى مكان ليس باستطاعتنا تحديده بتأكيد . اسم دلمانوثة الذي لا يرد إلّا هنا في العهد الجديد على الأرجح إشارة إلى دلماتيا (المنطقة الساحليّة ليوغسلافيا الحاليّة) . إذا صحّ هذا يكون ثمّة ربط في إنجيل مرقس بين رحلات يسوع ورحلات بولس كما تخبر بها رسالة رومية :

« لأنّي لا أجسر أن أتكلّم عن شيء ممّا لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل ، بقوّة آيات وعجائب ، بقوّة روح الله . حتّى إنّي **من أورشليم وما حولها إلى الليريكون** ، قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح . ولكن كنت محترصًا أن أبشّر هكذا . ليس حيث سمّي المسيح لئلا أبني على أساس لآخر . . .» (١٥:١٨–٢٠) .

القطيعة النهائيّة

عند هذه المرحلة تكون رسالة الإنجيل قد عبرت كلّيًّا إلى قلب العالم الأمميّ ، وهذا يعني قطيعة نهائيّة مع أورشليم يعقوب . وهذا تؤكّده رواية الفرّيسيّين الذين يرغبون في أن يروا « آية من السماء » ، تصديقًا إلهيًّا على يسوع (٨:١١–١٣) . ينهي يسوع النقاش مباشرة قائلًا لهم إنّهم لن يعطوا آية إلّا آية « النهاية » الواحدة[١] . وهذه « النهاية » لم تأت بعد لأنّه ، كما سبق وفسّر لهم ، « ينبغي أن يكرز أوّلًا بالإنجيل في جميع الأمم » (١٣:١٠) ، لكنّ الوقت ضيّق . لهذا عليه أن يتابع رحلته : « ثم تركهم ودخل أيضًا السفينة ومضى إلى

(١) أنظر ١٣:٤. نجد عبارة semion (آية ، في المفرد) فقط في هذه الفقرة (ثلاث مرّات) وفي ١٣:٤.

العبر ». وهذا بالضبط ما فعله بولس: تابع رحلته، باذلًا جهدًا خاصًّا للكرازة في مناطق مجهولة كرسول حقيقيّ. أمّا « الرسل » الآخرون – المكتفون بالمكوث في أورشليم – فمدعوون إلى أن يصنعوا الأمر عينه. فمناسبة الكلام في هذا الشأن ستنتهي قريبًا، والربّ نفسه الذي دعا كلًّا منهم سيأتي ويصدر حكمه.

يختتم المقطع التالي (٨:١٤-٢١) القسم الأوّل من الإنجيل. ما تبقّى من إنجيل مرقس سوف يتحدّث عن رحلة يسوع إلى موته، وخلالها سيشرح يسوع علنًا « إنجيل الصليب ». إعدادًا لذلك يحثّ يسوع تلاميذه هنا على أنّ « ينظروا ويحترزوا » (horate, blepete؛ الآية ١٥)، و« يشعروا ويفهموا » (noeite,syneite؛ الآية ١٧)، وأن تكون لهم آذان للسمع وأعين للبصر (الآية ١٨)، وأن يفهموا (الآية ٢١)[١]. قيامهم بهذا يعني ابتعادهم عن تأثير الفرّيسيّين (جماعة يعقوب)[٢] وهيرودس (اليهود)[٣]، الذي يحاولون أن يخلقوا اضطرابًا عند أتباع بولس داعين إيّاهم إلى رفض تعليمه[٤]. أمّا تلاميذ بولس والمسيح فلا يمكنهم

---

(١) قارن مع ١٢:٤ حيث يقال عن « الخارجيّين » إنّهم يرون ولا يبصرون، ويسمعون ولا يفهمون.

(٢) أنظر التعليق على ١١:٨.

(٣) أنظر التعليق على ١٤:٦-٢٩.

(٤) أنظر تعليقي في تفسير غلاطية، صفحة ٢٨٠، على غلاطية ٨:٥، مصدر صورة الخمير في مرقس ١٥:٨ (وهو الموضع الوحيد في هذا الإنجيل الذي ترد فيه هذه العبارة). في النصوص المكتوبة قبل مرقس ترد عبارة « خمير » فقط في غلاطية ٨:٥ و١ وكورنثوس ٦:٥-٨.

أن يقفوا إلى جانب أورشليم ضدّ الرومانيّين[١] . بل عليهم أن يخرجوا من أورشليم ليحملوا إلى أولئك الرومانيّين رسالة إنجيل السلام ، الرسالة التي تتحدّث عن الذي تغلّب وهو الآن جالس عن يمين الله . وإذا ما تلكؤوا يكون السبب « غلاظة قلوبهم » ، وعليهم أن يتجاوزوا حتّى يستطيعوا متابعة الرحلة باتجاه بيت صيدا ، « بيت الصيد » كما كان يسوع « يلزمهم » طيلة الوقت (٦:٤٥) .

(١) أنظر المقدّمة .



١٥

دورة تعليم الإنجيل الأولى

تيموثاوس، المثال الذي على الأعمدة اتّباعه

في بيت صيدا يؤتى بإنسان أعمى إلى يسوع، فيفتح عينيه بطريقة مماثلة لما فعل مع الأصمّ الأبكم في موضع سابق. وإذا كان الأصمّ الأبكم يمثّل تيطس الأمميّ[١]، فالأعمى يمثّل تيموثاوس، تلميذ بولس اليهوديّ. إذا أنعمنا النظر في العبارات المستعملة يتبيّن لنا أنّ الأعمى مثل تيموثاوس يهوديّ يحمل الإنجيل إلى الأمم:

١) في تعليقي على ٧: ٣١-٣٧ أشرت إلى أنّ في مرقس تضادًا بين حاجة اليهوديّ إلى «رؤية» الكتاب بمعنى فهمه، فيما الأمميّ الذي لم يتسنّ له حتّى سماع الكتاب «أصمّ»، وتاليًا «أعمى» بمعنى أنّه لا يستطيع أن «يتكلّم» على الإله الكتابيّ. وهكذا يكون الأعمى رمزًا لليهوديّ الذي لم يفهم الكتاب (بعد).

٢) تظهر خلفيّة الأعمى اليهوديّة في استعمال الحال «جليًا» (telaugos). لئن كانت هذه الكلمة فريدة في العهد الجديد، إلّا أنّ الفعل المشتقّ من الجذر عينه، «يرى جليًا» (augazo)، يرد في

---

(١) أنظر سابقًا التعليق.

موضع آخر، في ٢ كورنثوس ٤:٣-٤: «ولكن، إن كان إنجيلنا مكتومًا فإنّما هو مكتوم في الهالكين الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا يروا جليًّا (augasai) نور إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله».

مضمون هذه الفقرة (٢ كورنثوس ٣) نقاش حول عدم قدرة اليهود على الرؤية بسبب الحجاب الذي يغطّي قلوبهم و«قساوة» أفكارهم[١].

٣) يأخذ يسوع الأعمى إلى خارج «القرية» (he kome) ولا يسمح له بالعودة إليها. إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ he kome لا ترد في المفرد إلّا في ٢:١١ حيث تعني إمّا أورشليم أو قرية قريبة جدًّا منها، يصبح المعنى أنّه على هذا الإنسان ألّا «يدخل أورشليم» بمعنى ألّا ينضم إلى الجماعة اليهوديّة المسيحيّة الأورشليميّة[٢]. عوضًا عن ذلك «أرسله (apesteilen) يسوع إلى بيته»، أي إلى خارج «القرية». فعل apostello (أرسل) إشارة إلى الرسالة التي كان على الأعمى أن يحملها إلى بيته، خارج اليهوديّة[٣]. بحسب أعمال ١:١٦-٢ كان بيت تيموثاوس في ليسترا، في آسيا الصغرى (أي

(١) في وقت لاحق يعود بولس مرّة أخرى إلى موضوع «قساوة» القلب والفكر في رسالة رومية في إشارة إلى اليهود الذين يرفضون الإنجيل. أنظر التعليق على رسالة رومية في الجزء الأوّل.

(٢) أنظر لاحقًا التعليق على ١:١١ حيث أبيّن أنّ تيموثاوس «أرسل» – من اليونانيّة apostello- إلى أورشليم ليسلّم الإنجيل البولسيّ لجماعة يعقوب.

(٣) قارن مع أعمال ١:١٦-٥.

خارج اليهوديّة)؛ ولم تكن رسالته إلى اليهوديّة بل إلى الشتات اليهوديّ في الأمبراطوريّة الرومانيّة.

٤) لماذا ثمّة مرحلة شفاء وسيطة يتحدّث فيها الأعمى عن « البشر » ؟ لا شكّ في أنّ عبارة « بشر » بعامة تعني كلّ الناس، أي الأمم واليهود معًا. و« الأشجار » قد تمثّل رمزيًّا اعتقاد اليهود بأنّ الأمميّين سيقطعون ويرمون في نار غضب الله الرؤيويّة[١]. رفض هذا الاعتقاد يعني قبول ما يقوله بولس عن أنّ الجميع – أممًا ويهودًا – ينالون رحمة الله ونعمته.

لا شكّ في أنّ أشخاصًا آخرين قد ينطبق النموذج الذي أقترح أنّه ينطبق على تيموثاوس. غير أنّ جزءًا أساسيًّا من هذا الطرح هو أنّ مرقس، بغضّ النظر عن الهويّة الحقيقيّة للشخص الذي يمثّله الأعمى، يقدّمه هنا كمثال ينبغي اتّباعه. وإذا فهمه القارئ على هذا النحو سوف يفهم أيضًا الرسالة التي قصد مرقس إبلاغها، سواء أقرّ أم لم يقرّ بأنّ الأعمى يمثّل شخصًا معيّنًا. لكنّ هدفي هو الفهم الكامل للفكر الذي وراء خلق هذا العمل الأدبيّ المعقّد، ولذا أردت أن أقدّم طرحًا مبنيًّا على أمر معروف وهو أنّ أتباع بولس كانت قلّة قليلة في نهاية حياته[٢]. لهذا وإذا أخذنا بعين الاعتبار أتباع بولس الذين نعرفهم، مَن

(١) أنظر متّى ٣:١٠//لوقا ٣:٩؛ متى ٧:١٩؛ ١٣:٣٣-٣٧.

(٢) بكلام آخر: ما أفعله هنا هو ما فعله علماء آخرون في مسألة الأب زوسيما في رواية « الإخوة كرامازوف » لدوستويفسكي: فقد حاولوا أن يكتشفوا هويّة ذاك الذي يمثّله هذا الوجه الأدبيّ. قد يفيد هذا، إلّا أنّه ليس ضروريًّا، وهذا لأنّ وظيفة الوجه الأدبيّ في النصّ هي الأهمّ. سواء أكان الأعمى يمثّل تيموثاوس أو لا فهو قدوة على القارئ أن يتبعها.

يكون المثال الطبيعيّ للتلميذ الصالح عند الكاتب؟ تيموثاوس هو الأنسب كحلّ. خلاصة القول إنّ وظيفة الأعمى في النصّ تقديم مثال لليهوديّ الذي يتبع يسوع (ونموذجه الأوّل على الأرجح تيموثاوس) مقارنة مع الأصمّ الأبكم، الذي هو الأمميّ (ونموذجه الأوّل على الأرجح تيطس).

اعتراف الإيمان في قيصريّة فيليبّي

كما عبر بولس وتيموثاوس إلى فيليبّي في مقدونية حيث «بدأ» الإنجيل[١]، يخرج (exelthen) يسوع هنا أيضًا «مع تلاميذه إلى قرى (komais) قيصريّة فيليبّي» (٨:٢٧). لاحظ أنّ يسوع لا يذهب إلى قيصريّة فيليبّي بل إلى قراها؛ يخرج من «قرية» أورشليم إلى «قرى» مدينة يذكر اسمها بفيليبّي المدينة الرومانيّة[٢]. بكلام آخر: بعد أن حاول تعليم تلاميذه ضرورة «الخروج» (من أورشليم واليهوديّة) إلى أمم الأمبراطوريّة الرومانيّة، يقوم يسوع بالخطوة الأخيرة وعلى الطريق (en te hodo)[٣] يشرح لهم ولسامعي كتاب مرقس إنجيل الآلام والعار. وما هذا الإنجيل إلّا «إنجيل الصليب» (١ كورنثوس ١:١٨) وآلام المسيح الذي نادى به بولس.

ولمناسبة اعتراف بطرس بمسيانيّة يسوع (٨:٢٩) «أمر» يسوع تلاميذه ألّا يقولوا لأحد شيئًا «عنه» حتى يعطيهم التعليم الصحيح.

---

(١) أنظر التعليق على ١:١، وكذلك المقدّمة.
(٢) أنظر المقدّمة.
(٣) «الطريق» هو «طريق الإنجيل»؛ أنظر التعليق على ٢:٢٣-٢٨.

وهنا « يبدأ يعلّم »[١] تلاميذه ما يختصّ بالمسيّا (٨:٣١-٩:١) ، قائلًا عن نفسه إنّه « ابن الله » ، صاحب السلطان والربّ والذي سيجلس على كرسي السلطة الإلهيّة والربوبيّة بآلامه ورفضه ، وموته على يد أقاربه[٢] . هذا جوهر الإنجيل الحقيقيّ ، كما هو واضح في الآية ٨:٣٢أ : معنى kai parrhesia ton logon elalei هو « وقال[٣] الكلمة بجرأة » . إلى جانب جملة « قال الكلمة »[٤] لعبارة parrhesia (جرأة) ، الفريدة في مرقس ،[٥] أهمّيّة خاصّة . ترد عند بولس أربع مرّات فقط ، وذلك بارتباط ليس بالإنجيل ، بل بما يتكبّد من آلام في سبيله[٦] . يعيد « الجدل » الذي يدور بين يسوع وبطرس حول هذا « الإنجيل » إلى الأذهان الجدل الذي دار بين بولس وبطرس في أنطاكية :

١) تنعكس حدّة الخلاف بين يسوع وبطرس في الفعل القويّ عينه

---

(١) أنظر التعليق على ٤:١، حيث ابتدأ يعلّم بأمثال . أمّا هنا فيفسّر المعنى الحقيقيّ ويصحّح كلّ سوء الفهم .
(٢) ٢:٧، ١٠، ٢٨؛ ٨:٣١؛ أنظر التعليق على ١:٣٧؛ ٣:٦، ٣٢؛ ٦:١٤-٢٨.
(٣) لاحظ استعمال الماضي غير التامّ للدلالة على أنّ يسوع أمضى بعض الوقت في الكلام على ما ورد في الآية ٣١، بدلًا من الماضي التامّ يفيد حصول أمر ما في نقطة معيّنة من الماضي .
(٤) أنظر التعليق على ١:٣٤؛ ٢:٢، ٧؛ ٤:٣٣، ٣٤؛ ٦:٥٠؛ ٧:٣٥، ٣٧.
(٥) لا ترد إلّا هنا في كلّ التقليد الإزائيّ .
(٦) ٢ كورنثوس ٣:١٢ في سياق ٣:١-٤:١٢؛ ٢ كورنثوس ٧:٤ في سياق ٧:٢-٧؛ فيليبّي ١:٢٠ في سياق ١:٣-٢٦؛ فيليمون ٨ في سياق الآيات ٨-١٣.

epitimo (أوبّخ، أعنّف، آمر بقسوة) المستعمل لوصف الطريقة التي يوبّخ بها أحدهما الآخر. هكذا أيضًا يوبّخ بولس بطرس في أنطاكية، داعيًا إيّاه «ملومًا» (٢:١١). لاحظ أيضًا أنّ في أنطاكية يوبّخ بطرس «أمام الجميع، وكذلك يوبّخ يسوع بطرس أمام التلاميذ كلّهم - وهذا خلافًا للمواضع الأخرى حيث يتحدّث يسوع إلى تلاميذه «على انفراد» (kat'idian؛ ٢:١٤). ومع أنّنا لا نقرأ شيئًا عن توبيخ بطرس لبولس في غلاطية إلّا أنَّ حدّة تهجّم الخصوم دليل على هذا في الرسالة كلّها.

٢) دعوة يسوع لبطرس «شيطانًا» تشبه إطلاق بولس عبارة «ملعون» (anathema) على كلّ من يبشّر بإنجيل يختلف عن إنجيله[1]. أضف إلى هذا أنّ «شيطانيّة» بطرس مرتبطة بتفكيره (phrono) بما «للناس» لا بما «لله». يرد هذا التضاد كثيرًا في رسالة غلاطية في السياق ذاته الذي يستعمل فيه بولس كلمة anathema[2].

٣) توازي مركزيّة رسالة الإنجيل في الفقرة المأخوذة من إنجيل مرقس الموضوع ذاته في رسالة غلاطية. ينعكس هذا في إنجيل مرقس في عبارتين لا نجدهما إلّا في هذا الإنجيل. «لأجلي ولأجل الإنجيل» و«بي وبكلماتي»[3]. تتميّز رسالة غلاطية بأنّها تقدّم يسوع المسيح

---

(١) غلاطية ١:٨-٩.

(٢) غلاطية ١:١، ١٠، ١١-١٢.

(٣) أنظر أيضًا ١٠:٢٩.

(المصلوب) والإنجيل كوجهين لعملة واحدة[١].

٤) بعد الجدل مع بطرس «دعا يسوع الجمع مع تلاميذه» ليعلّمهم. يشبه هذا ما فعله بولس بعد حادثة أنطاكية: مضى مع تلاميذه ليبشّر الأمم بالإنجيل. ولم يستطع بطرس بقلّة إيمانه والعوائق التي أراد وضعها أن يثني يسوع أو بولس عن عملهما.

٥) يعلّم يسوع أن التلمذة الحقّ تتمحور حول الصليب. هذا التعليم مركزيّ في إنجيل بولس وفي رسائله كافّة، وخصوصًا في رسالة غلاطية[٢].

٦) يعيد مفهوم «العار» المرتبط بالصليب إلى الأذهان رفض بولس أن «يفتخر» بشيء «إلّا بصليب ربّنا يسوع المسيح» (غلاطية ٦:١٤). في غلاطية، كلّ من لا يقبل «حكم» المسيح (٦:١٦) هو الذي يستحقّ أن يدعى «ملعونًا» (anathema)؛ وفي مرقس، كلّ من ينتمي إلى «الجيل الفاسق الخاطئ»[٣] والذي لا يقبل «صليب» المسيح خجلًا «ملعون»[٤] هو لأنّ المسيح سيخجل به (ويرفضه).

يمكننا أن نضيف إلى هذا أمرين آخرين عند بولس يتّصل هذا النصّ بهما. أوّلهما الربط الوثيق عند بولس بين الافتخار / المجد ويوم الدينونة

(١) ١:٦، ١١-١٢، ١٦؛ ٣:١؛ ٤:١٣-١٤، ١٨؛ ٥:٤.

(٢) ٢:٢٠؛ ٣:١، ١٣؛ ٦:١٤. حول الآلام أنظر أيضًا ٣:٤؛ ٤:٢٩؛ تفسير غلاطية ١٠٣-١٠٥؛ ٢٥١-٢٥٣.

(٣) تطبيق عبارة hamartolos (خاطئ) تقنيًّا على الأمم، في حين أنّ الزنى هو العبارة الكتابيّة للخطيئة بامتياز (أنظر مثلًا هوشع ٢).

(٤) متضمّنة في عبارتي «الفاسق» و«الخاطئ».

(كما في الآية ٣٨)[١] . وثانيهما فعلا « ربح » (kerdo) و« خسر » (zemio) في الآية ٣٦، اللذان لا يردان إلّا في هذا الموضع من إنجيل مرقس . ثمّة استعمال آخر مواز لهذين الفعلين في رسالة فيليبّي : « لكن ما كان لي ربحًا (kerde) فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة (zemian) ، بل إنّي أحسب كلّ شيء أيضًا خسارة (zemian) من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربّي الذي من أجله خسرت (zemio) كلّ الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح (kerdo) المسيح » (٣:٧-٨)[٢].

التجلّي

فقط بعد أن تمّ تعليم إنجيل الصليب يتحدّث يسوع عن ملكوت الله « الآتي بقوّة » (٩:١) . ظهور الله الأخير كملك وحاكم على الكلّ مرتبط في العهد القديم بعيد المظال . هذه هي خلفيّة فقرة التجلّي (٩:٢-١٣)[٣] . « بعد ستة أيّام » ، أي في اليوم السابع من العيد ، الذي هو اليوم الأخير قبل مهابة اليوم الثامن والأخير ، « أخذ يسوع

(١) رومية ٢:٥-١٠؛ ٥:١-١١؛ ١١:١٣-١٥؛ ١ كورنثوس ٩:١٥-٢٧؛ ١٥:٢٩-٣٤؛ ٢كورنثوس ١:١٢-١٤؛ ٥:١١-١٥؛ غلاطية ٦:٤-٥؛ فيليبّي ٢:١٦؛ ١ تسالونيكي ٢:١٩-٢٠.

(٢) اسما kerde (ربح) وzemian (خسارة) مشتقّان من جذر kedro وzemio. لاحظ في الجزء ذاته من رسالة فيليبّي الإشارة إلى الفخر / المجد (الآية ٣) والاشتراك في آلام المسيح وموته (الآية ١٠) . يظهر اسم kerdos أيضًا وحده في فيليبّي ١:٢١ مرتبطًا بالموت من أجل المسيح (ومن أجل الإنجيل ، إذا أخذنا بعين الاعتبار السياق الكامل لفيليبّي ١:٣-٢٦) .

(٣) لاحظ الإشارة إلى المظال في الآية ٥.

بطرس ويعقوب ويوحنّا وصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين وحدهم (kat'idian monous) » . تذكّر هذه الجملة الأخيرة بـ kata monas (وحده) وkat'idian (على انفراد) في ٤ : ١٠ و٣٤، عندما كان يسوع يشرح « أمثال ملكوت الله »[١] . هنا أيضًا يسوع هو « المعلّم » (rabbi) ، حتّى في حضور إيليا وموسى ممثّلي الأنبياء والشريعة ، وتاليًا كتابات العهد القديم كلّها[٢] ، من هنا الأمر الإلهيّ بأن « اسمعوا له » ، إشارة إلى التعليم الذي سيعطيه في الآيات ٩ :١٣. وكما وقف « وحده » عندما كان « يلزم » تلاميذه بتعليمه (٦ :٤٥، ٤٧) ، نجده هنا أيضًا « وحده » ينقل إلى « أعمدة » أورشليم « معنى » القيامة ، التي في قلب رسالة الإنجيل[٣] . هذا بالضبط ما حاول بولس أن يفعله في اجتماع أورشليم . وهنا أيضًا ، كما علّم بولس باستمرار وتشديد ، حصلت « آلام » ابن الإنسان « كما هو مكتوب » (٩ :١٢) ، أي وفق مشيئة الله . الآلام ذاتها إذًا هي المفتاح لفهم القيامة والتمجيد .

عند هذه النقطة المهمّة يُدخل شخص بولس من خلال إيليا السابق[٤] . وكما بينت آنفًا يقدّم مرقس بولس بشخص يوحنّا المعمدان كسابق « ليسوع الآتي إلى الجليل ليبشّر بإنجيل الله »[٥] . يعزّز قراءتي أنّ إيليا قال عنه إنّه « تكبّد الكثير » ، كما « هو مكتوب » ، تمامًا كيوحنا

(١) أنظر سابقًا تعليقي على kat'idian في ٤ :٣٤.
(٢) أنظر المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٠٤.
(٣) ١ كورنثوس ١٥ :١-١١.
(٤) الآية ١١. أنظر ملاخي ٤ :٥-٦.
(٥) ١ :١٤. أنظر التعليق على ١ :١-١٥.

المعمدان – وهو أيضًا صورة لبولس[١] . يقدّم إذًا مرقس بولس من خلال ذكر إنجيل آلام المسيح ، كرسول نهاية الأزمنة . وتعكس هذه الصورة بدقّة الطريقة التي كان بولس ينظر بها إلى دوره[٢] . تصرّف بولس كسابق عندما أتى وتحدّى « أعمدة » أورشليم بالإنجيل الذي رفضوه ؛ والآن يأتي الربّ القائم ليعطيهم فرصة أخيرة . فإذا رفضوه يكونون قد رفضوا تدخّل الله نفسه « بقوّة » (الآية ١) ، مقترفين بذلك خطيئة « التجديف على الروح القدس »[٣] .

يسوع والروح النجس

في جملة « التجديف على الروح القدس » إلماح إلى ما حدث في أنطاكية (غلاطية ٢:١١–١٤) . مرّة أخرى نجد هذه الحادثة ، التي تتكرّر في إنجيل مرقس ، في الفقرة التالية (٩:١٤–٢٩) . في حضور « جمع كثير » يحصل نقاش بين التلاميذ و« الكتبة » . والكتبة الذين « نزلوا من أورشليم » في هذا النصّ ، كما بينت سابقًا في تفسيري لـ ٣:٢٠–٣٠، يمثّلون « رجال يعقوب » في حادثة أنطاكية . هنا أيضًا يظهر يسوع لتلاميذه « العديمي الإيمان » أنّ أميًّا أصمّ أبكم يستطيع أن يتكلّم ، وهذا ممكن بالإيمان[٤] . فالإيمان هو الذي يسمح لأمم بأن

---

(١) ٦:١٤–٢٩.

(٢) رومية ١:١–٥؛ ١١:١–١٠؛ ١٥:١٥–٢١؛ ٢ كورنثوس ٣:١–٤:١٥؛ غلاطية ١:١٥–١٦؛ فيلبّي ٢:١٦–١٧.

(٣) ٣:٢٩. حول الربط بين « القدرة (الإلهيّة) » و« الروح القدس » أنظر تفسير الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي ، صفحة ٤٨–٥٠.

(٤) الآية ٢٣.

يحصدوا فوائد القيامة الموعود بها لشعب الله . أمَّا التلاميذ فعليهم أن يفهموا أنّهم لا يستطيعون أن يقوموا بما قام به يسوع إلَّا (ei me) « بالصلاة »[(١)] على الأمم الصمّ والبكم ، أي إلَّا إذا نقلوا (موضع) الصلاة إلى حيث الأمم ، كما فعل بولس[(٢)] .

(١) تضيف بعض المخطوطات هنا « والصوم » بعد « الصلاة » كما في ١ كورنثوس ٧:٥. ينبغي اعتبار القراءة الأقصر أصليّة لأنّها القراءة الأصعب . إضافة « والصوم » اللاحقة تعود إلى تطوّر التقليد (المشترك مع أديان أخرى) الذي يرى ممارسة الصلاة مرتبطة بالصوم عادة .

(٢) أنظر التعليق على مرقس ١:٣٥.



١٦

دورة التعليم الثانية

تبدأ دورة التعليم الثانية (٩:٣٠-١٠:٣١) بإعلان ثانٍ عن الآلام. وكما عوّدنا مرقس يذهب يسوع إلى أورشليم عبر الجليل[١]. ويبقى حضوره في الجليل سرًّا عندما يفسّر لتلاميذه أنّ قيامته لا تحدث إلّا بعد تسليمه للموت لا على يد أقربائه فحسب (٨:٣١) بل على يد «الناس»، أي الأمم، أيضًا[٢].

لماذا هذه السرّيّة؟ المسألة الأساسيّة التي يعالجها الجزء الأوّل من إنجيل مرقس هي أنّ النبوءات لا تتمّ إلّا إذا كرز بالإنجيل عند «كلّ الأمم» وقبلوه؟ يمكننا أن نعتبر هذا جانبًا أساسيًّا من الإنجيل، لكنّ الجانب الآخر المهمّ أيضًا هو رواية موت يسوع. هذا الجزء - الذي يتحدّث عن قوّة الله المكشوفة في الضعف، ضعف الصليب، أو إذا شئنا التعميم أكثر، عن الغلبة التي تحصل في الهزيمة - عثرة حتّى للأمم (أنظر ١ كورنثوس ١:٢٣-٢٤). لهذا السبب كلّ إشارة إلى قوّة يسوع لا تفهم إلّا بموته على الصليب لكي يعرف الإنجيل الحقيقيّ وحده، إنجيل الصليب الذي يعلن أنّ القوّة الحقيقيّة لا تأتي إلّا بالضعف.

---

(١) المكان الذي يقصده مذكور في ١٠:٣٢.

(٢) أنظر التعليق على ٦:١٤-٢٨.

تعليمات للأعمدة

يذهب يسوع إلى كفرناحوم (٩:٣٣-٣٧)، منطقة اليهود[١]، حاملًا هذه الرسالة. وفي كفرناحوم يحاول أن يدفع اليهود إلى قبول الإنجيل. يعلّم الاثني عشر الذين كانوا يتجادلون «على الطريق» حول من هو «الأعظم» أنّ من أراد أن يكون أوّلًا عليه أن يكون «آخر الكلّ» و«خادمًا للكلّ». هاتان العبارتان يستعملهما بولس ليصف دوره كرسول: ترد العبارة الأولى في ١ كورنثوس ١٥:٨، أمّا عبارة «خادم» (diakonos) فتظهر مرارًا (١ كورنثوس ٣:٥؛ ٢ كورنثوس ٣:٦؛ ٦:٤؛ ١١:٢٣). أمّا في ما يختص بالتأكيد على أنّ الخادم الحقيقيّ يقبل بطوع إرادته «واحدًا من الأولاد» واليهوديّ ينظر إلى الأمميّ كـ«ولد» - أي كمن لا حقّ له ولا قوّة - فهو حثّ آخر لمؤمنين من اليهود من جماعة يعقوب على قبول الأمم باسم يسوع المسيح، إذ هذه هي مشيئة الله.

يدعو المقطع التالي (٩:٣٨-٤١) «أعمدة» أورشليم إلى الاعتراف بأنّهم ليسوا أسياد كلّ أتباع يسوع من الأمم. ينتهي هذا المقطع بحضّ هؤلاء القادة على قبول الأمم الذين قبلوا إنجيل بولس حتّى يحصلوا هم أيضًا على «الأجر»[٢] الذي سيمنحه الله لمسيحه، وهذا هو طرح رسالة رومية في الإصحاحات ٩-١١.

تفصّل الفقرة التالية نتائج تمنّع «الأعمدة» عن قبول فهم بولس

(١) أنظر ١:٢١-٢٨ حول معنى اسم «كفرناحوم» كرمز لليهوديّة عند مرقس.
(٢) مأخوذة من ١ كورنثوس ٣:١٤؛ أنظر أيضًا ٩:١٧-١٨.

للإنجيل (٩:٤٢–٥٠) . إذا أعثروا المؤمنين « الصغار » (أي الأمم) بعدم قبولهم ، يعرّضون أنفسهم لأن « يطرحوا في جهنّم » . فالأفضل التخلّص ممّن يقترف فعلاً كهذا ، وهذا بالضبط ما صنعه بولس بعد الجدل في أنطاكية : فصل نفسه عن أقرب شريك له ، برنابا . تذكّر الإشارات إلى النار ، خصوصًا في الآية ٤٩، بتعليم بولس أنّ « عمل كلّ واحد » سيمتحن بالنار (١ كورنثوس ٣:١٣) . ولأنّ بولس يتحدّث عن النشاط الرسوليّ كوظيفة كهنوتيّة[1] ، فهو يشبّه هذا « العمل » بتقدمة عباديّة . الربط بين الملح والنار مأخوذ من لاويين ٢:١–١٣ .

« وإذا قرّب أحد قربان تقدمة للربّ يكون قربانه من دقيق . ويسكب عليها زيتًا ويجعل عليها لبانًا . ويأتي بها إلى بني هارون الكهنة ، ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كلّ لبانها ويوقد الكاهن تذكارها على المذبح وقود رائحة سرور للربّ . . . فتأتي بالتقدمة التي تصطنع من هذه إلى الربّ وتقدّمها إلى الكاهن فيدنو بها إلى المذبح ، ويأخذ الكاهن من التقدمة تذكارها ويوقد على المذبح وقود رائحة سرور للربّ . . . وكلّ قربان من تقادمك بالملح تملّحه ولا تخلِ تقدمتك من ملح عهد إلهك . على جميع قرابينك تقرّب ملحًا » (الآيات ١–٢، ٨–٩، ١٣) .

على الذين يعتبرون أنفسهم رسلًا أن يعتبروا أنفسهم « ملحًا »

(١) رومية ١٥:١٦؛ فيليبّي ٢:١٦–١٧؛ ١ تسالونيكي ٢:١٠؛ أنظر تفسير الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي ، صفحة ٩٥–٩٦.

ضروريًّا لقبول تقدمة الأمم. لكنّ هذه المسؤوليّة تعني أنّهم يصيرون عرضة لدينونة قاسية إذا ما فشلوا - دمار كامل دونما أمل بالخلاص[١]. فماذا ينفع الملح الذي يفقد «ملوحته»، أي ما نفع الرسول الذي يدمّر هيكل الله بدل بنائه؟ وأخيرًا يأتي حضّ آخر لليهود والأمم على الاشتراك في المائدة: «ليكن لكم في أنفسكم ملح وسالموا بعضكم بعضًا». يعادل الاشتراك بالملح والخبز الاشتراك بالمائدة ذاتها، والمائدة صورة للسلام الأخرويّ على مائدة الملكوت.

قضيّة الطلاق

بعد دعوته إلى قبول الأمم من دون تحفّظ «يقوم» (anastas) يسوع[٢] ويذهب إلى اليهوديّة حيث «كان يعلّم كعادته» (١٠:١). لاحظ هنا أيضًا طبيعة إنجيل مرقس الدوريّة: يعيد يسوع تعليمه لكي يجعله ينفذ إلى قلب سامعيه.

يبدأ تعليمه هذه المرّة بفقرة حول الطلاق (١٠:٢-١٢) تعكس الطريقة الأخرى التي بها حرّر تعليم بولس الأمم من متطلّبات اليهوديّة أو تعاليمها. يصوّر كتاب عزرا كيف أنّ المقاربة الصارمة لليهوديّة تفرض على اليهوديّ أن يطلّق زوجته الأمميّة:

«فلمّا صلّى عزرا واعترف وهو باكٍ وساقط أمام بيت الله، اجتمع إليه

(١) قابل الآية ١٥ مع ١ كورنثوس ٣:١٦-١٧.

(٢) أنظر التعليق على ١:٣٥ و٧:٢٤. في كلا الحالتين يخرج يسوع إلى الأمم بعد أن «يقوم» (anastas). هكذا تحصل القيامة (anastasis) في النهاية في أرض الأمم ومن هناك تأتي كإنجيل إلى أورشليم.

من إسرائيل جماعة كثيرة جدًّا من الرجال والنساء والأولاد لأنّ الشعب بكى بكاءً عظيمًا . وأجاب شكنيا بن يحيئيل من بني عيلام ، وقال لعزرا إنّنا قد خنّا إلهنا واتّخذنا نساءً غريبة من شعوب الأرض . ولكن الآن يوجد رجاء لإسرائيل في هذا . فلنقطع الآن عهدًا مع إلهنا أن نخرج كلّ النساء والذين ولدوا منهنّ حسب مشورة سيّدي والذين يخشون وصيّة إلهنا وليعمل حسب الشريعة . قم ، فإنّ عليك الأمر ونحن معك . تشجّع وافعل . فقام عزرا واستحلف رؤساء الكهنة واللاويين وكلّ إسرائيل أن يعملوا حسب هذا الأمر فحلفوا . . . كلّ هؤلاء اتّخذوا نساء غريبة ومنهنّ نساء قد وضعن بنين » (١٠:١–٥، ٤٤) .

أدرك بولس أنّ هذا الموقف قد يدفع بعض الأمم غير الراضين على زوجاتهم إلى أن يقبلوا الإنجيل بقصد التخلّص منهنّ « شرعيًّا » بعد اهتدائهم ، ذلك أنّ مثال عزرا يقضي بأن يطلّق المؤمن زوجته غير المؤمنة . وليحبط تصرّفًا كهذا أصدر الوصايا الآتية للذين اهتدوا على يده :

« وأمّا المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الربّ أن لا تفارق المرأة رجلها . لأنّ التزوّج أصلح من التحرّق . وإن فارقته فلتلبث غير متزوّجة ، أو لتصالح رجلها ، ولا يترك الرجل امرأته . وأمّا الباقون فأقول لهم لا أنا بل الربّ إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها . والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يسكن معها فلا تتركه . لأنّ الرجل غير المؤمن مقدّس في المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدّسة في الرجل . وإلّا فأولادكم نجسون ، وأمّا الآن فهم مقدّسون . ولكن إن فارق غير المؤمن فليفارق . ليس الأخ أو الأخت

مستعبدًا في مثل هذه الأحوال . ولكنّ الله قد دعانا في السلام . لأنّه كيف تعلمين أيّتها المرأة هل تخلّصين الرجل ؟ أو كيف تعلم أيّها الرجل هل تخلّص المرأة ؟ » (١ كورنثوس ٧:١٠-١٦) .

حديث يسوع حول هذا الموضوع في مرقس مبنيّ بوضوح على قانون بولس . يقول يسوع مجيبًا على سؤال تلاميذه : « مَن طلّق امرأته وتزوّج بأخرى يزني عليها . وإن طلّقت امرأة زوجها وتزوّجت بآخر تزني » . إنّ قانون تثنية الاشتراع الذي تستشهد به الآية ٤ (تثنية الاشتراع ٢٤:١-٣) والفقرة المأخوذة من عزرا يتحدّثان فقط عن رجل يطلّق امرأته ، لكنّ ردّ يسوع يتعلّق بالمرأة والرجل كليهما . هذه المقاربة المزدوجة - التي تتوجّه إلى الرجل والمرأة بانفصال وتساوٍ - لا تجدها في العهد القديم أو العهد الجديد إلّا في ١ كورنثوس ٧.

الأولاد الصغار

فيما يقترب المسيح القائم من أورشليم (١٠-٣٢) وينقضي الوقت ، « يغتاظ » (١٠:١٤) على قادتها لمنعهم الأمم من المشاركة الفعليّة في ملكوت الله الذي يعلنه الإنجيل (١٠:١٣-١٦) . كان التقليد اليهوديّ يسمح للرجال البالغين فقط - الذين لا يقلّ سنّهم عن الثلاثين - بالتحدّث علنًا والتعليم ؛ فالأولاد في هذه الرواية رمز للأمم الذين منعتهم السلطات اليهوديّة المسيحيّة في أورشليم من أن يكون لهم صوت مساوٍ . تذكّر التعابير التي يستعملها مرقس برسالة تسالونيكي الأولى ٢:١٠-١٢، ١٤-١٦:

« أنتم شهود والله كيف بطهارة وببرّ وبلا لوم كنّا بينكم أنتم المؤمنين. كما تعلمون كيف كنّا نعظ كلّ واحد منكم كالأب لأولاده، ونشجّعكم ونشهدكم لكي تسلكوا كما يحقّ لله **الذي دعاكم إلى ملكوته** ومجده ... فإنّكم أيّها الإخوة صرتم متمثّلين بكنائس الله التي في اليهوديّة في المسيح يسوع لأنّكم تألّمتم أيضًا من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضًا من اليهود، الذين قتلوا الربّ يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن. وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس، **يمنعوننا عن أن نكلّم الأمم لكي يخلصوا** حتّى يتمّموا خطاياهم كلّ حين. ولكن **قد أدركهم الغضب** إلى النهاية! ».

الغنيّ

بالفقرة التالية (١٠:١٧-٣١) تنتهي الدورة التي تتضمّن الإعلان الثاني عن آلام يسوع وموته وقيامته. وفيها يتكرّر موضوع غلاطية ٢:١٥-٣:٢٩ ولغتها وذلك بدعوتها اليهود، « الأغنياء » بالناموس بالمقارنة مع الأمم، إلى المصادقة على الإنجيل (البولسيّ)[١]. يتحدّث كلا النصّين عن الميراث[٢]، والحياة (الأبديّة)[٣]، وعدم كفاية الشريعة لدخول ملكوت الله[٤]، والتطابق الفعليّ بين شخص يسوع

(١) ترتبط الفقرة السابقة بهذه الفقرة بإدخال مفهوم البركة (بركة الأولاد/الأمم) في نهاية الفقرة السابقة (الآية ١٦). ومفهوم البركة أساس في حجّة بولس في المقطع الغلاطيّ (٣:٨-٩، ١٤).

(٢) ١٠:١٧ وغلاطية ٣:١٨،٢٩.

(٣) ١٠:١٧،٣٠ وغلاطية ٢:١؛٣:١١.

(٤) ١٠:٢١ وغلاطية ٢:١٦.

والإنجيل[١] ، والآلام والاضطهاد[٢] . وفي النصّين يتوجّه الحديث إلى بطرس بشكل خاصّ[٣] . تنهي هذه الفقرة دورة واحدة وتمهّد للدورة التالية وذلك بقولها : « ولكنّ كثيرون أولون يكونون آخرين والآخرون أوّلين » . يتكرّر هذا الموضوع في القصّة الأولى في الدورة الثانية (١٠:٣٥-٤٥) التي تتحدّث عن يعقوب ويوحنّا الأوّلين بمعنى أنّهما رأسا الكنيسة الأورشليميّة .

(١) ١٠:٢٩ وغلاطية ٣:١، ١٣-١٤،١٩،٢٤. أنظر أيضًا غلاطية ١:٦-١٦ والتعليق على مرقس ٨:٣٥.

(٢) ١٠:٣٠ وغلاطية ٣:٤ (أنظر تعليقي في تفسير غلاطية ، صفحة ١٠٤،٢٥١-٢٥٣.

(٣) ١٠:٢٨-٣١ وغلاطية ٢:١٤. لاحظ كيف يقول بطرس ليسوع عندما طلب من الغني أن « يتبعه » (١٠:٢١) : « أنظر ، لقد تركنا كلّ شيء وتبعناك » (الآية ٢٨) .

١٧
دورة التعليم الثالثة

الإعلان الثالث عن موت يسوع

يفتتح الإعلان الثالث عن موت يسوع وقيامته (١٠:٣٢-٣٤)، الجزء الأخير من مرقس، الذي يتحدّث عن مجيء المسيح القائم إلى مدينة الله، أورشليم. تدعو رسالة الإنجيل التي يعلنها، سكانَ المدينة إلى الانتقال إلى «جليل الأمم» حيث بدأ الإنجيل وحيث تحفظه الجماعة البولسيّة بقيادة تيموثاوس وتعلنه[١].

تقديم الإنجيل إلى الأعمدة

كان أتباع يسوع «في الطريق» (en te hodo) خائفين بسبب ذكر الاضطهاد في الآية ٣٠. غير أنّ يسوع «يبتدئ» يعلّم «الاثني عشر» أنّ الاضطهاد – الذي تمارسه السلطات الأمميّة واليهود الأورشليميّون واليهود المسيحيّون[٢] – هو قدر يسوع وتلاميذه[٣].

---

(١) أنظر المقدّمة.

(٢) أنظر المقدمة والتعليق على ٦:٢١.

(٣) لقد تطرّقت إلى حتميّة الاضطهاد في تعليقي على ٦:١٤-٢٩. تذكّر أيضًا مثل الزارع، فإلى كونه يذكر أيضًا الاضطهاد كقدر اتباع يسوع يستعمل التعابير ذاتها: «يبتدئ» يسوع يعلّم (٤:١). وهو يفسّر المثل «للاثني عشر».

تبدأ المسيرة نحو أورشليم بتوبيخ سلطاتها اليهوديّة المسيحيّة في شخصي يعقوب ويوحنّا، ابني زبدى[١]، وفي الوقت عينه، بالمصادقة على إنجيل بولس وخدمة التضحية التي يدعو إليها (١٠:٣٥-٤٥). لقد أراد هذان القائدان اليهوديّان - المسيحيّان أن يقبلا الإنجيل رافضين طابعه الأساس كإنجيل «الصليب». وأرادا أن تكون لهما حصّة في السّلطة على الأمم، وما الحقّ في هذا إلّا لله وحده؛ حتّى يسوع **في مجده** «خاضع» للآب كما يعلّم بولس (١ كورنثوس ١٥:٢٠-٢٨).

لاحظ هنا أيضًا الربط الواضح برسالة غلاطية: في العهد الجديد لا نجد عبارة hoi dokountes (الذين يحسبون أنفسهم / يظنّون) إلّا في مرقس ١٠:٤٢ وغلاطية ٢:٢،٦، وفي الموضعين تعني «الذين يحسبون أنفسهم شيئًا». ونقرأ أنّهما أرادا «التسلّط على الأمم» وأن يجعلا نفسيهما «أربابًا عليهم»؛ الأمر الذي حاربه بولس بشدّة في اجتماع أورشليم.

يقول يسوع ليعقوب ويوحنّا إنّهما كمؤمنين في يسوع المسيح سيكونان جزءًا من الجماعة المسيّانيّة، «أمّا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلّا للذين أعدّ لهم»[٢]. يجيب يسوع أنّه ليس له أن يعطي. يمكنه فقط أن يقدّم لهم الطريق نحو هذه الغاية، وهو الطريق عينه الذي يسير هو عليه: طريق «المعموديّة»، التي تعني

---

(١) لاسم زبدى مدلول سلبيّ؛ أنظر التعليق على ١:١٩-٢٠.

(٢) يعيد ذكر «اليمين» في هذا السياق إلى الذهن «يمين الشركة» التي تبادلها هؤلاء الرسل مع بولس في غلاطية ٢:٩.

في هذه الحالة بذل القائد نفسه من أجل جماعته[١] . بذل الذات هذا هو طريق الخدمة الخاصّة ببولس والتي نقرأ عنها في الآيتين ٤٣-٤٤. تتكرّر في هاتين الآيتين لغة ٩:٣٥ مع إضافة عبارة يطبّقها بولس غالبًا على نفسه : doulos (عبد / خادم) . هذا بالإضافة إلى أنّ جانب التضحية في القيادة الحقيقيّة لكنيسة المسيح مبني على خلفيّة « عبد الربّ » في إشعياء (إشعياء ٥٣:١٢) . في هذا أيضًا اعتماد على فكر بولس كما تشهد الإشارات العديدة إلى « عبد » إشعياء في رسائله[٢] .

(١) لاحظ كيف يرتبط ذكر المعموديّة بذكر الكأس (الآية ٣٨) إشارة إلى موت يسوع (أنظر ١٤:٢٣-٢٤).

(٢) قابل (مستعينًا بالعهد الجديد في أصله اليونانيّ وبالعهد القديم في الترجمة السبعينيّة) غلاطية ١:١٥ مع إشعياء ٤٩:١؛ فيليبّي ٢:١٦ مع إشعياء ٤٩:٤؛ ٢ كورنثوس ٦:٢ مع إشعياء ٤٩:٨؛ رومية ٨:٣٣ مع إشعياء ٥٠:٨؛ رومية ١٠:١٦ مع إشعياء ٥٣:١؛ رومية ٤:٢٥ مع إشعياء ٥٣:٤-٥؛ ١ كورنثوس ٥:٧ مع إشعياء ٥٣:٧؛ رومية ٥:١٩ مع إشعياء ٥٣:١١.



١٨

تيموثاوس يقدّم إلى أورشليم رسالة بولس الأخيرة

تيموثاوس هو خليفة بولس

يتوجّه نحو أورشليم عبر أريحا (١٠:٤٦-٥٢) وفي ذهنه مفهوم الذبيحة التي تفتدي آخرين. وكما قاد سميّه يشوع من قبله شعب الله يقود هو «تلاميذه وجمعًا كبيرًا» من الجليل (جليل الأمم)، حيث بدأ إنجيله، تمامًا كما صنعت توراة الله في بريّة سيناء وكلمته التي حملها حزقيال من «بريّة الأمم»[١]. غير أنّ يسوع، بخلاف سلفه، لا يحتاج إلى أن يتريّث خارج أريحا («وجاؤوا إلى أريحا؛ وفيما هو خارج من أريحا ...») لأنّ مجيئه ليس للمطالبة «بالأرض»، بل هو المخلّص الذي سبق إشعياء الثاني فأعلنه (إشعياء ٤٠-٥٥) آتيًا إلى مدينته أورشليم ليقيم عدله المعلن في الإنجيل وليجلب إليه كلّ الأمم من أقصى الأرض[٢]. وهنا يكمن السؤال الأساس الموجّه إلى اليهود: هل «يسوع الناصريّ» حقًّا «ابن داود»، المسيّا، «قدّوس الله» الآتي ليخلّص اليهود، أو هو أتى «ليدمّرهم» (١:٢٤)؟

في مواجهته الكثيرين الذين لم يريدوا أن يعترفوا بيسوع «ابنًا لداود» أكّد الأعمى، برتيماوس، اعترافه هذا. من يمكن أن يكون هذا

---

(١) أنظر المقدّمة. «الجمع» رمز للأمم في مرقس.

(٢) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، صفحة ١٦٦-١٨٤.

الأعمى الذي كان جالسًا « على الطريق » (para ten hodon) ثمّ « خلص » « بإيمانه » ، « بعد أن انفتحت عيناه » ، و« تبع » يسوع ، كتلميذ ، « في الطريق » (en te hodo) ؟ بناء على بعض الدلائل المحدودة اقترحت أنّ أعمى ٨:٢٢-٢٦ يمثّل تيموثاوس ، والدليل يقود أيضًا إلى الاستنتاج عينه في ما يختصّ بأعمى ١٠:٤٦-٥٢.

يكرّس مرقس أهمّيّة ملحوظة لاسم هذا الأعمى : « برتيماوس ، الأعمى ، ابن تيماوس ، كان جالسًا . . .». واللافت أنّ ترجمة الاسم الآرامي « برتيماوس » تسبق الاسم ولا تليه . كلّ هذه الالتفافات تعكس على الأرجح محاولة ضمنيّة للإشارة إلى تيموثاوس ، « ابن » بولس بامتياز[1] ، الذي ، ولئن لم يكن رسولًا ، إلّا أنّ اسمه كان يرد إلى جانب اسم بولس في رسائله[2] . هذا بالإضافة إلى كون الاسم قريبًا في معناه من صفة timios التي تعني « مشرفًا ، مكرّمًا » ، وهكذا كان بولس عند تلاميذه . من هنا ، تيموثاوس كان « ابن تيماوس ، أي ابن « الشريف أو المكرّم » . في ٨:٢٢-٢٦ يقود بولس إلى الفهم الحقيقيّ لمسيّانيّة يسوع وقد انضمّ إليه عند « بدء الإنجيل » في فيليبّي (٨:٢٧-٣٨) ؛ ولأنّ بولس مات الآن ، فهو مدعو إلى أن يحمل يسوع القائم إلى أورشليم (يعقوب واليهود) .

الدخول إلى أورشليم

يبدأ مقطع الدخول إلى أورشليم (١١:١-١١) بجملة مربكة في

---

(١) رومية ١٦:٢١؛ كورنثوس ٤:١٤-١٧؛ فيليبّي ٢:١٩-٢٠؛ تسالونيكي ٣:٢.
(٢) ٢ كورنثوس ١:١، فيليبّي ١:١؛ ١ تسالونيكي ١:١؛ فيليمون ١.

تركيبها : « ولمّا قربوا من أورشليم ، إلى بيت فاجي وبيت عنيا ، عند جبل الزيتون . . .» . الأرجح أنّ المقصود بهذه المجموعة من الأسماء هو أنّ الطريق إلى جبل الزيتون ، حيث سيحصل الظهور الأخير للربّ (في عيد المظال)[١] ، يمرّ عبر بيت فاجي وبيت عنيا . يعني الاسم الأوّل « بيت التين الفِجّ (غير الناضج) أو « بيت الطعام »[٢] ، والثاني « بيت الفقير ، المبتلي ، الوضيع » . قد يكون الأوّل طريق اليهود الذين قرّروا أن يحملوا السلاح ضدّ الجيوش الرومانيّة ويلجأوا إلى بساتين شجر التين ليختبئوا وراء أوراقها ويأكلوا من ثمار التين ؛ أمّا الثاني فيمكن أن يكون الطريق التي يوصي تيموثاوس بها ، أي طريق « الفقراء » المنتظرين ربّهم المصلوب . أمّا الجحش فيمثّل الجماعة اليهوديّة المسيحيّة الفتيّة في أورشليم : فهو « مربوط » بمعنى أنّه لم يتحرّر بعد باتّباعه إنجيل بولس ، و« لم يجلس عليه أحد من الناس » لأنّه لم يتمّم بعد واجبه ومصيره (وواجب الجحش ومصيره أن يستعمل كحيوان لنقل الأشياء الثقيلة) . ويمكنه الآن إمّا أن يقبل عرض الحريّة (« الحلّ ») الذي « يرسله »[٣] له يسوع بواسطة اثنين من تلاميذه يعلنان إنجيل بولس لهم[٤] أو أن ينضمّ إلى الثورة اليهوديّة ضدّ الرومان . والدليل أنّه على الجحش أن يختار ما

---

(١) أنظر زكريّا ١٤:٥،١٦.

(٢) اذا اعتبرنا أنّ الجزء الثاني من الاسم « فاجي » مشتقّ من الفعل اليونانيّ الذي يعني « أكل » .

(٣) يشتقّ الفعل اليونانيّ apostello في الآية ١ واسم apostolos (رسول) من الجذر ذاته.

(٤) هذه ، على الأرجح ، إشارة إلى تيموثاوس ومرقس .

بين طريقين مختلفين هو أنّ التلميذين وجداه «عند الباب خارجًا على الطريق» (epi tou amphodou). لن تنحلّ جماعة يعقوب، أي لن تتحرّر من عبوديّتها، إلّا إذا تركت نفسها تنقاد بيسوع الذي يكرز به بولس، وتنضمّ إلى الرسل في اعترافهم به مسيحًا أوحد.

يدخل يسوع هذا إلى أورشليم والهيكل «المصنوع بأيدٍ (بشريّة)» (١٥:٥٨) فقط ليزوره، لا ليمكث فيه. وعند المساء يخرج مع «الاثني عشر» (أي مع كلّ تلاميذه) إلى بيت عنيا، «بيت الفقير». وفي الصباح التالي (١١:١٢) يعود من هناك ليدخل أورشليم لكي يؤسّس «أورشليم السماويّة»، التي أعلنها بولس (غلاطية ٤:٢٥-٢٧)، حول هيكل مختلف «غير مصنوع بأيدٍ (بشريّة)».

وعند خروجه من بيت عنيا (١١:١٢-١٤) يرى يسوع أنّ أوراق أشجار التين في بيت فاجي تضلّل من ينظر إليها فيظنّ أنّ في الأشجار ثمرًا؛ كانت أثمار التين غير ناضجة لأنّه لم يحن وقت نضوجها بعد. تمثّل هذه الرواية القصيرة محاولة أخرى لإقناع التلاميذ بعدم اتّباع طريق الثورة اليهوديّة المسلّحة، التي يعتبرها ملعونة لأنّها تخالف إنجيل بولس ودعوته إلى قبول طريق الصليب[1].

سلطان يسوع

بعد ذلك يطهّر يسوع الهيكل (١١:١٥-١٩) ليوقف احتكار

---

(١) غلاطية ١:٨-٩؛ ٦:١١-١٦.

القيادة اليهوديّة الأورشليميّة له وليجعله « بيت صلاة لكلّ الأمم » . في المقطع الآتي من إشعياء تأكيد على ضمّ الأمم :

« هكذا قال الربّ : احفظوا الحق وأجروا العدل ، لأنّه قريب مجيء خلاصي واستعلان برّي . طوبى للإنسان الذي يعمل هذا ولابن الإنسان الذي يتمسّك به ، الحافظ السبت لئلّا ينجّسه والحافظ يده من كلّ عمل شرّ . فلا يتكلّم ابن الغريب الذي اقترن بالربّ قائلًا إفرازًا أفرزني الربّ من شعبه . ولا يقل الخصيّ ها أنا شجرة يابسة . لأنّه هكذا قال الربّ للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرّني ويتمسّكون بعهدي ، إني أعطيهم في بيتي وفي أسواري نصبًا واسمًا أفضل من البنين والبنات . أعطيهم اسمًا أبديًّا لا ينقطع . وأبناء الغريب الذين يقترنون بالربّ ليخدموه وليحبّوا اسم الربّ ليكونوا له عبيدًا كلّ الذين يحفظون السبت لئلّا ينجّسوه ويتمسّكون بعهدي . آتي بهم إلى جبل قدسي وأفرّحهم في بيت صلاتي وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولةً على مذبحي لأنّ بيتي بيت الصلاة يدعى لكلّ الشعوب . يقول السيّد الربّ جامع منفيّي إسرائيل أجمع بعد إليه إلى مجموعيه » (إشعياء ٥٦ : ١-٨) .

واضح إذًا أن الأمميّين لن يبقوا خارج « أورشليم السماويّة » ، مدينة الله . كان ردّ فعل القيادة اليهوديّة على كلمات يسوع أن طلبوا إهلاكه[١] ، بينما « بهت الجمع كلّه (الأمم) من تعليمه » . وأيضًا ، عند المساء ، خرج يسوع من المدينة ليستعدّ « للصباح الباكر »[٢] .

(١) أنظر التعليق على ١:٣٧؛ ٣:٦،٣٢؛ ٨:١١-١٢.

(٢) ١١:٢٠؛ انظر التعليق على ١:٣٥ و١٦:٢.

تبدأ الفقرة التالية (١١:٢٠-٢٧) « بالصباح » التالي حين كانت شجرة التين « الملعونة » في بيت فاجي (التي تمثّل الثورة اليهوديّة المسلّحة) قد « **يبست من الأصول** » ، كما سبق لإرميا أن أعلن في ما يختصّ بهيكل أورشليم[١] . ردًّا على تعجّب بطرس يقول للتلاميذ : « ليكن لكم إيمان بالله ، لأنّي الحقّ أقول لكم إنّ مَن قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشكّ في قلبه بل يؤمن أنّ ما يقوله يكون فمهما قال يكون له » . ما هذا « الجبل » إلّا هيكل جبل الربّ ، عرش الله ، الذي ينبغي أن يطرح في النهاية « في البحر » (بحر الأمم) بحسب نبوءات إشعياء وإرميا . ويتمّ هذا بالإيمان بالله المكروز به في إنجيل بولس . والواقع أنّ إنجيله يعلّم أنّ الكلّ ، يهودًا وأممًا ، خطأة[٢] ؛ ويعلّم أيضًا أنّ الله « أب كلّ الذين أخطؤوا » ، أممًا ويهودًا[٣] .

الجدل حول سلطان يسوع في أورشليم في الفقرة التالية (١١:٢٧-٣٣) إشارة أخرى إلى اجتماع أورشليم ، كما تصفه غلاطية ٢:١-١٠[٤] . ويدور هذا الجدل مع « رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ »

(١) ٧:١-١٥. تمّ التمهيد لهذا بإشارة في الفقرة السابقة إلى اتهام إرميا بأنّ القيادة الأورشليميّة جعلت الهيكل « مغارة لصوص » .

(٢) غلاطية ٢:١٥، ١٧. ينمّ ذكر بطرس في ١١:٢١ عن ربط بين هذا المقطع وغلاطية ٢:١١-١٧.

(٣) ١١:٢٥؛ قابل مع غلاطية ٣:٢١-٤:٧.

(٤) تأتي هذه الإشارة إلى اجتماع أورشليم مباشرة بعد ذكر غفران الخطايا ، تمامًا كما يمثّل النقاش حول سلطان يسوع على غفران الخطايا في ٢:١-١٢ اجتماع أورشليم ذاته .

الذين يمثّلون « أعمدة » كنيسة أورشليم . والربط بين يسوع ويوحنّا المعمدان لافت عند هذه النقطة . بيّنت في ما سبق أنّ يوحنّا المعمدان يمثّل بولس في إنجيل مرقس ، وعليه فإنّ مرقس يقول هنا إنّ يسوع القائم يربط بوضوح سلطانه بسلطان بولس(١) . ويترك لمسيحيّي أورشليم اليهود أمر اتّخاذ القرار في شأن قبولهم القيادة « من الله » أم « من الناس »(٢) ؛ لا أحد يستطيع اتخاذ القرار عنهم .

كلمات تعليم أخيرة قبل إعلان الاختبار الأخير

ليوضح أنّ قرارهم يخصّ في المطاف الأخير المسيّا القائم ، ابن الله ، يقدّم مرقس المقطع التالي (١٢:١-١٢) . هذه هي المرّة الأخيرة التي يقدّم فيها الإنجيل(٣) إلى « مزارعي » (georgoi) كرم الله ، أي إلى المسؤولين عن كنيسة أورشليم(٤) ، بأمثال . يستعمل إشعياء المثل ذاته ليتوجّه إلى قادة أورشليمه (إشعياء ٥:١-٢) . أمّا « الابن الحبيب » فهو الذي بسببه ستحاكم القيادة اليهوديّة المسيحيّة في أورشليم . نتيجةً

(١) قابل مع غلاطية ١:١١-١٢، ١٥-١٦.
(٢) قابل مع غلاطية ١:١٠،١-١٢.
(٣) لاحظ فعل « ابتدأ ». أنظر تعليقي على ١:١،٤٥؛ ٥:٢٠،٢٦. لاحظ خصوصًا أنّ يسوع في ٤:١ و٢ (بدء الآيتين) يعلّم بأمثال كما يفعل هنا . لاحظ أيضًا هنا في ١٢:١ فعل « تكلّم » (lalo) الذي ، كما بيّنت آنفًا في تعليقي على ٢:٢؛ ٥:٣٦؛ ٨:٣٢؛ و٤:٣٣-٣٤، يلمح إلى الكلام بإنجيل (لاحظ خصوصًا أنّ ٤:٣٣-٣٤ يرد في سياق واحد مع مثل الزارع) .
(٤) يرد استعمال عبارة « كرم » (georgion) كرمز للكنيسة في ١ كورنثوس ٣:٩ .

لرفضهم إياه كممثّل لله الذي زرع الكرم ووريث وحيد، سيعطي الله الكرم «لآخرين» ليهتمّوا به. بكلام أوضح: تلاميذ بولس هم الذين سيحصلون الآن على «الميراث»، «كوارثين مع المسيح» (رومية ٨:١٧). أمّا الاختبار الضروريّ للمحافظة على لقب القيادة الكنسيّة فمرتبط بالاعتراف بمسيّانيّة يسوع رغم إقصائه الظاهر على الصليب. يتأكّد هذا بإشارة إلى مزمور ١١٨:٢٢-٢٣ في الآيتين ١٠-١١، ذلك أنّ هذا المزمور يصوّر ملك الله كمختاره رغم رفضه من الذين حوله[١].

تشدّد المقاطع الأربعة التالية على النقطة عينها. وقد أدخلت لتعطي جماعة يعقوب فرصة أخيرة لكي يقبلوا يسوع المصلوب مسيحًا ومحرّرًا حقيقيًّا لأورشليم من عبوديّتها[٢]. ومن أهداف هذه المقاطع أيضًا أن تقنعهم بألّا يقعوا في فخ الانضمام إلى اليهود الآخرين في ثورتهم ضدّ الرومانيّين، كما لو أنّ مسيّا آخر سيأتي. وهي تعدّهم أيضًا ليتّخذوا الموقف الصحيح وقت الاختبار الأخير (الإصحاح ١٣). وعليه تمهّد هذه المقاطع للإصحاح ١٣.

يعلّم أوّل هذه المقاطع الأربعة (١٢:١٣-١٧) الفرّيسيّين (الذين يمثّلون المسيحيّين اليهود) والهيروديّين (اليهود) أنّ سقوط أورشليم

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثالث، حول طبيعة هذا المزمور الملكيّة. أمّا في ما يختص بإلماحه إلى رفض الملك فلاحظ بشكل خاص الآيتين ١٧-١٨: «لا أموت، بل أحيا وأحدّث بأعمال الربّ، تأديبًا أدّبني الربّ وإلى الموت لم يسلمني».

(٢) أنظر التعليق على ١١:١-١١.

الوشيك على يد قيصر لا يعني هزيمة الله وخسارة قضيّته، كما علّم إرميا منذ زمن بعيد في الظروف ذاتها.

تتكرّر الرسالة ذاتها في الفقرة التالية (١٢:١٨-٢٧)[١]، وذلك على مثال رومية ٤:١٣-٢٤، حيث يكتب بولس أنّ الله منح إبراهيم «نسلًا» (sperma)[٢] مع أنّ جسده كان قد «أسلم إلى الموت» (ede nenekromenon) وعلى الرغم من «مواتية» (nekrosis) بطن ساره[٣]، وذلك على أساس إيمان إبراهيم بالله «الذي يعطي الحياة للموتى»[٤]. وظيفة هذا النصّ أن يذكّر بأنّ الله لا يهزم إذا هزمت روما اليهود وأورشليم، لأنّ الموت بحدّ ذاته ليس نهاية، ولذا لا يمكن اعتباره هزيمة.

يتبع في ١٢:٢٨-٣٤ تعليم بأنّ «محبّة القريب كالنفس أفضل من جميع المحرقات والذبائح»، الأمر الذي يذكّر برومية ١٣:٨-١٠ و١٢:١-٢١، حيث نقرأ عن «الذبيحة الحيّة، والمقدّسة، والمقبولة لدى

---

(١) يرتبط هذا المقطع مع مرقس ١٣ بواسطة استعمال فعل plano planomai الذي يرد فقط في ١٢:٢٤،٢٧ و١٣:٥،٦.

(٢) هذا هو موضوع القصّة التي يقدّمها الصدّوقيّون. والحقيقة أنّ هذه القصّة لا تتطرّق فقط إلى شريعة موسى في تثنية الاشتراع ٢٥:٥ في ما يختصّ بإقامة نسل (sperma) لمن مات من دون نسل (مرقس ١٢:١٩). تتكرّر عبارة sperma ذاتها في الآيتين ٢٠ و٢١.

(٣) الآية ١٩.

(٤) الآية ١٧. والجملة اليونانيّة zoopoiountos tous nekrous (الذي يعطي الحياة للموتى) وراء ملاحظة مرقس الختاميّة ouk estin theos nekron alla zonton (ليس هو إله أموات بل إله أحياء؛ ١٢:٢٧).

الله » والتي نبلغها « بتجديد أذهانكم »[١] . أمّا الربط بين رومية ١٢ و١٣:٨-١٠ فهو في أنّ الأوّل منسوج حول مفهوم المحبّة الأخويّة فيما يركّز الثاني عليه مباشرة[٢] .

وأخيرًا يذكّر مرقس في ١٢:٣٥-٣٧ الذين ينتظرون المسيّا كملك منتصر[٣] ، « ابنا لداود » يقود ثورتهم ضدّ العدوّ الرومانيّ ، بواسطة كلمات داود ذاتها ، بأنّ المسيّا الحقيقيّ ربّ (kyrios) وما يسوع المصلوب إلّا كذلك[٤] .

وتظهر الصلة برسالة رومية في اتباع المقاطع الأوّل ، والثالث والرابع تسلسل رومية ١٣، الذي يتألّف من الأقسام الآتية : الطاعة للحكّام (الآيات ١-٧)[٥] ، المحبّة الأخويّة (الآيات ٨-١٠)[٦] ، ومجيء المسيح كربّ (الآيات ١١-١٤)[٧] . وتظهر هذه الصّلة أيضًا في المقطعين الأخيرين من مرقس ١٢-الآيات ٣٨-٤٠ والآيات ٤١-٤٤. في المقطع الأوّل إدانة للكتبة لرفضهم شركة المائدة ولكونهم جماعة

---

(١) الآيتان ١-٢. لاحظ كيف يقول يسوع للكاتب في مرقس ١٢:٣٤ إنّه أجاب nounekhos (بعقل، بحكمة). يشتقّ هذا الحال من اسم « عقل » المستعمل في رومية (nous)، وهو فريد في العهد الجديد.

(٢) أنظر خصوصًا الإشارة إلى المحبة في ١٢:٩.

(٣) أنظر المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الثالث ، صفحة ١٧-٣٢ و٦٢-٦٣.

(٤) قابل مع رومية ١:٣-٤.

(٥) قابل مع مرقس ١٢:١٣-١٧.

(٦) قابل مع مرقس ١٢:٢٨-٣٤.

(٧) قابل مع مرقس ١٢:٣٥-٣٧. لاحظ جواب يسوع للكاتب : « لست بعيدًا عن ملكوت الله » (الآية ٣٤) ، والذي يذكّر بقول بولس في رومية ١٣:١١: « فإنّ خلاصنا الآن أقرب ممّا كان حين آمنّا أوّلًا» .

واحدة مع الأمم[١]، الأمر الذي يذكّر بروميه ١٤:١-١٢[٢]. تمهّد الإشارة إلى «الأرامل» في مرقس ٣٩:١٢ للفقرة التالية التي تتحدّث عن تقدمة الأرملة الفقيرة إلى الهيكل. هنا أيضًا تتطابق الرسالة مع هدف رسالة بولس إلى الرومانيّين، ألا وهي دعوة جماعة يعقوب إلى قبول تقدمات الأمم المؤمنين[٣]. بهذه التقدمات يضع هؤلاء «كامل حياتهم / كامل معيشتهم» (holon ton bion) في خطر؛ والحقيقة أنّهم - وهم في غالبيّتهم من العبيد - قد جحدوا الديانة الرسميّة الرومانيّة، الأمر الذي يعرّضهم لخطر الموت في أيّ وقت. لذا على أتباع يعقوب ألّا يخافوا من أن يخسروا حياتهم من أجل المسيح إذا ما تركوا إخوتهم اليهود الأورشليميّين المسلّحين وقرّروا، عوضًا عن ذلك، أن يقبلوا الشركة مع مسيحيّي بولس الأمميّن.

(١) يقال عن الكتبة إنّهم «يسلكون» (أي بحسب الشريعة) طريقًا تعطيهم «المجالس الأولى والمتكآت الاولى (protokathedria, protoklisia) في المجامع وعلى الموائد فيما هم «يأكلون» بيوت (بيوت الصلاة) الأرامل (أي الأمم) ويخلقون «علّة/عذراء» ليصلّوا بعيدين (makra) عنهن.

(٢) لاحظ أنّ الكتبة في مرقس ٤٠:١٢ «سيأخذون دينونة أعظم» (lempsontai perissoteron krima)، وهذه إشارة واضحة إلى قول بولس في رومية ٢:١٣: «سيأخذون لأنفسهم دينونة» (Krima lempsontai) القصد من «أعظم» (perissoteron) في مرقس القول إنّهم سوف يضطرّون إلى أن يجيبوا «الربّ» الحقيقيّ (kyrios) الذي دينونته أقسى من دينونة الأمبراطور الرومانيّ.

(٣) أنظر الصفحة ٩-١٠. تذكر تعابير مرقس ٤٤:١٢، «وفرة» (perisseuon) و «إعواز» (hysteresis) بالتعابير التي ترد في ٢ كورنثوس ١٤:١٨، «وفرة» (perisseumai) «وحاجة» (hysterema). أمّا ٢ كورنثوس ٨-٩ فتدور حول دعوة بولس المسيحيّين من الأمم إلى جمع تبرّعات لكنيسة أورشليم.

١٩

الدعوة الأخيرة قبل مجيء الربّ

ابتداء من التساؤل حول سلطان يسوع (١١:٢٧-٣٣) وحتّى مقطع تقدمة الأرملة الفقيرة (١٢:٤١-٤٤)، نرى يسوع في الهيكل يعطي السلطات، هناك، فرصة أخيرة ليفهموا أنّه المسيّا الآتي إلى أورشليم ليتمّ خلاص الله في وسطهم. أمّا هم فيرفضون هذه الفرصة. ويترك يسوع الهيكل للمرّة الأخيرة ليلاقي مصيره الخاصّ، معلّمًا تلاميذه أنّه من صنع الناس (١٤:٥٨) وأنّه معرّض للدمار كما حصل للهيكل السابق أيّام إرميا وحزقيال (١٣:١-٢).

بعد هذا نرى يسوع على جبل الزيتون من حيث سيأتي الربّ ليجعل أورشليم مدينة برّه وخلاصه لليهود والأمم[١]. هناك يسأله أربعة من تلاميذه – بطرس، ويعقوب، ويوحنّا، وأندراوس – متّى سيدمّر الهيكل وما هي «العلامة» التي كان يرفض أن يعطيها (٨:١١-١٢). أشرت سابقًا[٢] إلى أنّ هؤلاء الأربعة معًا يمثّلون الهيكل الجديد للمسيحيّة اليهوديّة. وبسبب اهتمامهم بدمار الهيكل القديم نفهم لماذا يطرحون هم هذا السؤال («على انفراد» kat' idian)[٣] ويلقون الجواب (١٣:٣-٣٦).

---

(١) أنظر زكريّا ١٤.

(٢) أنظر التعليق على ٢:١-١٢.

(٣) حول أهميّة هذه العبارة ومعناها أنظر تعليقي على ٤:٣٤.

وهنا « يبدأ » يسوع للمرة الأخيرة يعلن رسالة الإنجيل[١]. وفي هذه المرّة يقدّم يسوع الإنجيل مع تحذير صارم: «أنظروا ألّا يضلّكم أحدٌ. فإنّ كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو. ويضلّون كثيرين». على تلاميذه أن ينتظروا حتّى يأتي بمجد، كما كان المسيّا متوقّعًا بحسب التقليد. وفي غضون ذلك عليهم أن يتذكّروا أنّه لا يزال يسوع المصلوب الذي « أسلم » إلى أيدي اليهود والأمم، وأنّه عليهم أن يشاركوه المصير عينه شهادةً على إيمانهم به، كما فعل بولس[٢]. « لأنّهم سيسلمونكم إلى مجالس، وتجلدون في مجامع، وتوقفون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم (eis autios martyrion)[٣].

مباشرة قبل هذه الكلمات يتكرّر التحذير « انظروا (ألّا تضلوا) ». الموضوع هنا هو أن البداءة الجيدة لا تستتبع بالضرورة نهاية جيّدة، لأنّ « الذي يصبر إلى المنتهى، هذا يخلص ». و« النهاية » وقت ما بعد كرازة **الإنجيل**، إلى « كلّ الأمم » (eis panta ethene)[٤]. بكلام

---

(١) أنظر التعليق على عبارتي « بدء» و« ابتدأ ».

(٢) أنظر التعليق على إعلانات الآلام والموت والقيامة الثلاثة (٨:٣١؛ ٩:٣١؛ ١٠:٣٣).

(٣) لاحظ جملتي « من أجلي » و« شهادة لهم ». يظهر تعليقي على ١:٤٤؛ ٦:١١؛ ٨:٣٥؛ ١٠:٢٩ أنّ هذه المواضع مرتبطة بالشهادة للإنجيل في مرقس. والإنجيل هو الموضوع الأساس في كامل الإصحاح ١٣ من مرقس، وليس فقط في الآية ١٠، التي يعتبرها كثيرون مركز التركيب الخياستيّ.

(٤) لاحظ استعمال عبارة « الإنجيل » بالمعنى المطلق من دون وصف، وما هذه إلا إشارة إلى عمل مرقس.

آخر : مجيء الله الأخير لا تعلنه ظهورات المسحاء الكذبة أو الحروب أو أخبار الحروب (الآيتان ٦-٧) ، بل قبول الأمم بإنجيل بولس واعتراف قادة الكنيسة الأورشليميّين بحقيقة هذا القبول (بأخذ تقدمات الأمم) . عندئذ سيكون الروح القدس قد تكلّم (الآية ١١) !

في الفقرة التالية (الآيات ١٤-٢٢) تأتي جملة « رجسة الخراب » من كتاب دانيال ، حيث تشير إلى تدنيس أنطوخيوس أبيفانس للهيكل السنة ١٦٧ قبل الميلاد بوضعه تمثالًا لزفس على المذبح وإلغائه ذبائح اليهود[١]. هنا في مرقس تنطبق هذه العبارة على ما قد يفعله أيّ قائد رومانيّ عند الاستيلاء على أورشليم. سيكون هذا الحدث فرصة « للمسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة» (الذين يمثّلون اليهود المتمرّدين على روما) ليضغطوا « على المختارين » (المسيحيّين اليهود)، ليبعدوهم عن الإنجيل . لكنّ التلاميذ الأربعة ، ومن خلالهم كلّ التلاميذ ، سيكونون مستعدّين ، لأنّه سبق ليسوع أن حذّرهم : « فانتظروا أنتم . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم كلّ شيء » . وأخيرًا سيظهر المسيّا الحقيقيّ ، « ابن الإنسان » المتألّم ، في مجد وسيجمع « مختاريه » الذين اشتركوا في الآلام المفيدة عينها ، تلك التي تكبّدوها من أجل يسوع المصلوب وإنجيله (الآيات ٢٤-٢٧)[٢]. المهمّ عندما تأتي هذه النهاية « كلمات » يسوع هي التي « لن تزول » ولو زال كلّ شيء (الآيات ٢٨-٣١) . وكلماته هي :

(١) دانيال ٩:٢٧؛ ١١:٣١؛ ١٢:١١. أنظر أيضًا ١ مكابيّين ١:٥٤.
(٢) أنظر دانيال ٧.

« وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن إلّا الآب . **أنظروا** ، **اسهروا وصلّوا لأنّكم لا تعلمون متى يكون الوقت** . كأنّما إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده السلطان ولكلّ واحد عمله وأوصى البوّاب أن يسهر . إسهروا إذًا . لأنّكم لا تعلمون متى يأتي ربّ البيت ، أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحًا . **لئلا يأتي بغتة فيجدكم نيامًا** . وما أقوله لكم أقوله للجميع ، اسهروا » (الآيات ٣٢-٣٧) .

واضح أنّ القصد من هذه الكلمات إعداد السامع للاختبار الحقيقيّ الوشيك : «أن يخسر نفسه من أجل الإنجيل» (٨:٣٥) بكلام آخر : قصدها إعداد السامع للموت من أجل الإله الحقيقيّ الذي يعلن نفسه بإنجيل يسوع المسيح المصلوب . وعلى كلّ واحد أن يدرك أنّ هذا الأمر صعب ، وذلك لأنّ الرسل أنفسهم ، بطرس ، ويعقوب ، ويوحنّا ، ناموا في وقت الاختبار ، رغم تحذير يسوع (١٤:٣٢-٢) .

٢٠

رفض أورشليم الأوّل للإنجيل

في مستهلّ الإصحاح ١٤ «يطلب» الكهنة والكتبة أن يوقفوا يسوع و«يقتلوه» «بمكر» (en doloi ، الآيتان ١-٢) . لا نجد هذه التعابير في جملة واحدة في العهد الجديد إلّا في ١ تسالونيكي ٢: ٣. هنا أيضًا يبدو أنّ وصف مرقس ليسوع مبنيّ على حياة بولس ، وكذلك على تعليم بولس : لئن كان أعداء يسوع يتحاشون قتله خلال عيد الفصح ، إلّا أنّه سيموت في هذا الوقت ليصير الحمل الفصحيّ كما علّم بولس (١ كورنثوس ٥:٧-٨)[1].

المسح بالطيب في بيت عنيا

في بيت عنيا ، «قرية الفقراء»[2] ، يواجه يسوع سامعيه : فإمّا أن

---

(١) لاحظ الشبه في التعابير بين مرقس ١٤:٢: («وكان الفصح (pascha) وأيّام الفطير (azyma) بعد يومين. كان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه. ولكنّهم قالوا ليس في العيد (heorte) لئلا يكون شغب في الشعب») وبين ١ كورنثوس ٥:٧-٨: («إذا نقّوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجينًا جديدًا كما أنتم فطير (azymoi).لأنّ فصحنا (to pascha hemon) أيضًا المسيح قد ذبح لأجلنا. إذًا لنعيّد (heottazomen) ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشرّ والخبث بل بفطير الخلاص والحقّ»).

(٢) أنظر التعليق على ١١:١.

يقفوا إلى جانب مسيح الإنجيل البولسيّ أو إلى جانب الثوّار اليهود (١٤:٣-١١) . يدعى بطرس « سمعان الأبرص » ، فيصير بذلك مساويًا لبولس عندما كان لا يزال يضطهد كنيسة المسيح (كما في مرقس ١ : ٤٠-٤٥). وثمّة أيضًا مقطع يذكّر بحادثة أنطاكية (غلاطية ٢ : ١١-١٤) . في « بيت » سمعان ، أي على « مائدته » ، ينتقد اعتراف المرأة (التي تمثّل الأمم)[١] بمسيّانيّة / ملكيّة يسوع ، الذي عبّرت عنه بسكب الطيب (myron) على رأسه . وأجاز سمعان لصحبه أن يدلوا بتفسيرهم الخاصّ لدور المسيّا ، وهو أنّه سيقود « الفقراء »[٢] اليهوديّين إلى النصر في معركة مسلّحة ضدّ أعدائهم . غير أنّ يسوع يعلّم أنّ المهمّ ليس « الفقراء » ومصيرهم ، بل الاعتراف بالمسيّا الحقيقيّ - والذي يعني حرفيًا الممسوح - « ملكًا » من أجل « دفنه » . هذا التعليم جزء لا يتجزّأ من الإنجيل الذي سوف « يكرز به للعالم أجمع »: يسوع المهزوم في الظاهر هو المسيّا الحقيقيّ الوحيد حتّى بالنسبة إلى الأورشليميّين المحاصرين . ولكنّ مسيحيّي أورشليم ويهودها غير المسيحيّين ، بقيادة يعقوب ، لا يريدون أن يقبلوا هذه النظرة إلى المسيّا ، وما رفضهم هذا إلّا خيانة للمسيح[٣]. هذه الخيانة تمثّلها خيانة يهوذا الذي يرمز اسمه ، كما أشرت سابقًا ، إلى اليهود في أيّام مرقس .

---

(١) تمثّل المرأة على الأرجح الجماعة البولسيّة ؛ أنظر لاحقًا تعليقي على مريم المجدليّة في ١٥ : ٤٠ .

(٢) أنظر ٢ كورنثوس ٦ : ١٠ وغلاطية ٢ : ١٠ حول استعمال عبارة « فقراء » في إشارة إلى المسيحيّين الأورشليميّين واليهوديّين .

(٣) أنظر التعليق على ٣ : ١٩ .

الفصح

في ١٤:١٢-٢١ يرسل يسوع اثنين من تلاميذه[١] ليعدّوا الفصح ليسوع والاثني عشر. يشير استعمال «المعلم» (ho diaskalos) كلقب ليسوع إلى أنّ مرقس يريد هنا أن يقدّم للقارئ تعليمًا جديدًا في ما يختصّ بالمعنى الحقيقيّ لهذا العيد. والتشديد هنا أيضًا على مفهوم خيانة هذا التعليم الجديد من أحد الاثني عشر، وهو أقربهم إليه[٢]. والتأكيد على أنّ واحدًا ممن شاركوا في عشاء الربّ الفصحيّ لا يزال تحت الدينونة - أي أنّ مجرّد الاشتراك به لا يعطي امتيازًا لأحد - هو تعليم بولس كما نعرفه في ١ كورنثوس ١١:٢٧-٣٤.

وفي رواية مرقس عن العشاء الأخير أيضًا مواضيع من ١ كورنثوس. يقدّم يسوع الطعام كمضيف؛ فتكون بذلك المائدة الإفخارستيّة **مائدته**، كما في ١ كورنثوس ١١:٢٠ حيث العشاء الذي يشترك فيه المؤمنون هو عشاء الربّ. ومع هذا فهو أيضًا الطعام المقدّم على هذا المائدة، وذلك وفقًا **للكلمات** التي يتلفّظ بها وهو يوزّع هذا الطعام، هنا كما في ١ كورنثوس ١١:٢٤-٢٥[٣]. صار طعامًا عندما بذل نفسه **ذبيحة** بما أنّه المسيّا. وهذا واضح في التفسير الذي يعطيه

(١) على الأرجح تيموثاوس ومرقس، كما في مرقس ١:١١ حيث نقع على الجملة ذاتها apostellei dyo ton matheton autou (أرسل اثنين من تلاميذه).

(٢) قابل ١٤:١٨ مع ١ كورنثوس ١١:٢٣ و(١٠:١٤-٢٣).

(٣) لاحظ أيضًا أنّ بولس قبل «من الربّ [نفسه]» (الآية ٢٣) - أي «بكلمة الربّ» (١ تسالونيكي ٤:٥) - التعليم المتعلّق بمعنى العشاء الإفخارستيّ.

عندما يقدّم الكأس - وتؤكّد جملة « وشربوا كلّهم منه » إلزاميّة هذا التعليم بالنسبة إلى تلاميذه كلّهم. وأخيرًا يشير هذا كلّه إلى ملكوت الله الآتي الذي سيؤسّس عند مجيء الربّ، كما هو متضمّن في هذا النصّ وواضح في ١ كورنثوس ١١:٢٦. ونجد دليلًا على أنّ هذا الموضوع كان في ذهن مرقس في الآية ٢٦: « ثمّ سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون ». جبل الزيتون هو مكان ظهور الله الأخير بحسب زكريّا (١٤:١٦-١٧). ويصير الآن كرسي الربّ الآتي المجتمعة حوله الجماعة المسيّانيّة. وكلّما اجتمع التلاميذ للعشاء الإفخارستي يستعدّون للانضمام إلى مسبحيّ الآتي، لا على جبل صهيون، بل على جبل الزيتون. جبل الزيتون هو مكان الله الأخرويّ حيث « الناجون » من الأمم واليهود « سيعبدون الملك، ربّ الجنود »[١]. ذكر ذبيحة المسيح على الصليب، مباشرة قبل انتظار مجيئه بمجد ميزة من ميزات إنجيل مرقس[٢]. وينتج من هذا الأسلوب غياب التشديد على القيامة ذاتها، الأمر الذي يفسّر لماذا لا نجد في مرقس مقاطع تتحدّث عن ظهورات يسوع القائم.

وبما أنّ المسيّا الحقيقيّ الوحيد هو المكروز به في الإنجيل (البولسيّ)[٣]، فلا نجده في أورشليم، بل في الجليل (جليل الأمم) حيث بشّر بولس. مرّة أخرى يدعو مرقس أتباع بطرس، رسول

---

(١) زكريّا ١٤:١٦١-٧. أنظر أيضًا التعليق على ١١:١و٢٣.

(٢) أنظر أيضًا تعليقي على الإصحاح ١٣.

(٣) أنظر تعليقي على ١٣:٣-١٣ و٢١-٢٣.

الختان[1]، إلى أن يضعوا الجليل نصب أعينهم وينضمّوا إلى أتباع بولس معلنين الإنجيل الواحد في كلّ العالم الرومانيّ (الآيات ٢٧-٣١). وسيكون الإعلان بأنّ المسيّا هو يسوع **المصلوب** عثرة (skandalon) سيواجهها ليس بطرس فقط بل كلّ التلاميذ[2].

اختبار الجسمانيّة

مباشرة بعد أن أقسم التلاميذ بولائهم، فشل «الأعمدة» بينهم في الاختبار الأساس لتلمذتهم (الآيات ٣٢-٤٢)[3]. هذه الفقرة صيغة أخرى لمثل الكرم والكرّامين (١٢:١-١٢). اسم الجسمانيّة في العبريّة مركّب من **غات** (معصرة العنب) **وشامن** (سمين، مليء، خصب). تستعمل الصيغة الأصليّة لهذا المثل في إشعياء ٥ عبارة **شامن** لتصف الكرمة، وذلك في جملة «على أكمة خصبة» (**بقيرين بن شامن**). من جهة أخرى، يرد اسم **غات** في الأعمال النبويّة فقط في إشعياء ٦٣:٢ ويوئيل ٣: ١٣، وفي الحالتين إشارة إلى دينونة الله للخطأة قبل تأسيس مملكته الأخيرة. في إشعياء ترد هذه العبارة في نصّ

(١) غلاطية ٢: ٨. لكونه رسول الختان هو مسؤول عن اليهود في الأمبراطوريّة الرومانيّة، وليس مرتبطًا بأورشليم فقط.

(٢) الأصل اليونانيّ لجملة «كلّكم تشكّون» (الآية ٢٧) هو pantes skandalisthesesthe والأصل اليونانيّ لجملة «إن شكّ الجميع» هو Pantes skandalisthesontai. الاستشهاد الكتابيّ في الآية ٢٧ مأخوذ من زكريّا ١٣:٧، الإصحاح الذي يتحدّث عن دينونة الله والذي يسبق الإصحاح ١٤ حيث نقرأ عن ظهور الله الأخرويّ على جبل الزيتون.

(٣) لا ترد عبارة peirasmos (اختبار، تجربة) في مرقس إلّا في الآية ٣٨.

طويل (١:٦٣-١٧:٦٦) يلي فقرة تتحدّث عن أورشليم الأخرويّة (الإصحاح ٦٢) ويسبق فقرة أخرى حول ملكوت الله الأخير (١٨:٦٦-٢٤). المقطع الأوسط الذي يتضمّن اسم **غات** شبيه بمرقس ٣٢:١٤-٤٢ في ناحيتين: يخبر المتحدّث فيهما بإهمال أصدقائه له، كما الصلاة فيهما تتوجّه إلى الله «كأب»:

«مَن ذا الآتي من أدوم بثياب حمر، من بصرة، هذا البهيّ بملابسه، المتعظّم بكثرة قوّته؟ أنا المتكلّم بالبرّ العظيم للخلاص. ما بال باسك محمرّ وثيابك كدائس المعصرة (**غات**)؟ قد دست المعصرة (**براه**) **وحدي**، ومن الشعوب **لم يكن أحد معي**. فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي، فرُشَّ عصيرهم على ثيابي فلطّخت كلّ ملابسي. لأنّ يوم النقمة في قلبي وسنة مفديّي قد أتت. فنظرت **ولم يكن معين**، وتحيّرت إذ **لم يكن عاضد** فخلصت لي ذراعي وغيظي عضدني ...» إحسانات الربّ، حسب كلّ ما كافأنا به الربّ، والخير العظيم لبيت إسرائيل الذي كافأهم به حسب مراحمه وحسب كثرة إحساناته. وقد قال حقًّا إنّهم شعبي، بنون لا يخونون. فصار لهم مخلّصًا ... ولكنّهم تمرّدوا وأحزنوا روح قدسه فتحوّل لهم عدوًّا وهو حاربهم ... تطلّع من السماوات وانظر من مسكن قدسك ومجدك. أين غيرتك وجبروتك؟ زفير أحشائك ومراحمك نحوي امتنعت. فإنّك أنت **أبونا** وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يا ربّ أبونا وليّنا منذ الأبد اسمك ... والآن يا ربّ أنت **أبونا**. نحن الطين وأنت جابلنا وكلّنا عمل يديك» (١:٦٣-٨:٦٤).

لم يستطع « الأعمدة » أن يصلّوا صلاة إشعياء لأنّهم رفضوا أن يعترفوا بالله أبًا **لجميع** التائبين[١]. يرفض « الأعمدة » مشيئة الله أن يصير بذبيحة المسيّا أبًا لكلّ الذين يقبلون خلاصه (إشعياء ٦٣:١)، أمّا يسوع فيقبل ذلك ويبقى أمينًا له. هذا بالضبط ما نجده في غلاطية ٢:١-١٤. وفي الموضعين يعزل بطرس عن سائر التلاميذ، إذ كان ينتظر منه الكثير إلّا أنّه يتردّد في النهاية (الآيات ٢٩-٣١ في المقطع السابق، والآية ٣٧ في هذا المقطع).

في نهاية هذا المقطع (الآيتان ٤١-٤٢) ترد قصّة خيانة يسوع. كما سنرى، لهذه الرسالة علاقة بإنجيل بولس: فهي تمثّل رفض يهود أورشليم الفرصة الأخيرة المعطاة لهم ليغيّروا رأيهم. هذه الفرصة هي التي أعطاهم إيّاها بولس في رسالته إلى أهل رومية.

خيانة يسوع

تمثّل خيانة يهوذا في قصّة الخيانة يهود أورشليم (الآيات ٤٣-

(١) عبارة أبا، ho pater (مرقس ٣٦:١٤) مبنيّة على أساس ما نجده في غلاطية ٦:٤ ورومية ١٥:٨، حيث تشدّد على أنّ الله أب كلّ المؤمنين من اليهود والأمم على السواء (لتفاصيل أكثر انظر تفسير غلاطية، صفحة ٢٠١-٢١٧). الفقرة التي في نصّ إشعياء الذي أوردناه في المتن تشدّد أيضًا على شموليّة خلاص الله: « وأنا أجازي أعمالهم وأفكارهم. حدث لجمع كلّ الأمم والألسنة فيأتون ويرون مجدي. وأجعل فيهم آية وأرسل منهم ناجين إلى الأمم إلى ترشيش، وفول ولود النازعين القوس إلى توبال وياوان، إلى الجزائر البعيدة التي لم تسمع خبري ولا رأت مجدي فيخبرون بمجدي بين الأمم » (٦٦:١٧-١٨).

٥١) . وهذا واضح في صحبة يهوذا : « وللوقت ، فيما يتكلّم أقبل يهوذا واحد من الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصيّ من عند **رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ** » . كلّ هؤلاء الناس رفضوا إنجيل إشعياء الذي كرز به بولس، والذي يقول إنّ خلاص الله أعطي بالتساوي لكلّ الذين يطلبونه بالتوبة ، اليهود والأمم على حدّ سواء .

أمّا الذين يحملون السيف ليدافعوا عن مسيحهم ، فهم في ضلال . فإن كان الإنجيل هو بشرى سلام الله ، فلا يدافع عنه بالسلاح . لكنّ هذا ما قرّر يهود أورشليم أن يفعلوه ، بضغوط من الغيورين . بأيّ معنى يكون فعلهم « قبلة خيانة » ليسوع الذي عرفه بولس وبشّر به ؟ بسبب الثورة اليهوديّة كان الرومان ينظرون إلى كلّ يهود الأمبراطوريّة نظرة ريب وشكّ ؛ ولمّا كان تيموثاوس ومرقس وكثيرون من التلاميذ يهودًا ، فالثورة اليهوديّة قد تهدّد قدرتهم على الكرازة بالإنجيل بحريّة .

في نهاية هذا المقطع ذكر قد يبدو سطحيًا لشاب كان مع يسوع ، ثم هرب[١]. هذا « الشاب » هو مرقس ، وهو هنا في هذا النصّ يجعل نفسه مثلًا لبطرس وأتباعه ، الذين يدعوهم إنجيل مرقس إلى العودة إلى المسيّا الحقيقيّ بعد أن ابتعدوا عنه . وكما تصوّر أعمال الرسل مرقسَ شخصًا لم يستطع أن يسير في خطى بولس (١٥:٣٧-٣٨)، هكذا مرقس يهرب من يسوع - ولكن بشكل مؤقّت . سيعود « الشاب »

(١) جملة synekolouthei تعني « كان يتبعه مع آخرين » أو « كان يتبعه لفترة » ، أيّا يكن الأمر فالفعل في صيغة الماضي غير التامّ ، الأمر الذي يفيد استمراريّة في الماضي .

ليبشّر بالربّ القائم في ١٦:٥[١]، ويكون مثلًا لبطرس الذي سيعود أيضًا إلى الحظيرة ليبشّر بالربّ المصلوب والقائم بعد أن ابتعد عنه بشكل مؤقّت أيضًا.

يسوع وبطرس في المحاكمة

ربّما يمثّل المقطع الذي يتحدّث عن محاكمة يسوع (الآيات ٥٣-٦٥) آخر لقاء في أورشليم بين يعقوب الممثّل في رئيس الكهنة[٢]، وبولس الذي يحمل إليه ما جمع من تبرّعات الأمم. تدور المناقشة كلّها حول الهيكل، كرسي إله أورشليم، وهدفها أن تظهر أنّ الهيكل **ليس** كرسي إله المسيّا. ونجد هذه الحجّة في أيّام العهد القديم. فقد بشّر الأنبياء، وخصوصًا إرميا وحزقيال، بأنّ الله لم يعد في **توراه** (تعليم) الكهنوت الأورشليميّ، بل في **دبار** (الكلمة) الأنبياء[٣]. يعني هذا في أيّام مرقس أنّ الله لم يعد يبلغه تعليم يعقوب «العمود»، بل كلمة إنجيل بولس. والحقيقة أنّه في أيّ مكان يبشّر بيسوع المصلوب مسيحًا، هناك تكون جماعة الله (قهال، ecclesia)، جسد المسيح، وهيكل الله «غير المصنوع بأيدٍ (بشرية)»[٤]. ليست أورشليم الأرضيّة مركز

(١) لا ترد عبارة neaniskos إلّا في هذين الموضعين في مرقس.

(٢) أنظر التعليق على ١:٤٤.

(٣) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثالث، صفحة ١٧٥-١٧٧. لاحظ عبارة «تنبّأ» في الآية ٦٥.

(٤) أنظر تفسير الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي، صفحة ٢٢-٢٦؛ رومية ٧:٤؛ ٤:١٢-٥؛ ١ كورنثوس ٦:١٢-٢٠؛ ١٢:١٢-٢٧؛ ١ كورنثوس ٣:٩-١٧؛ ٦:١٩؛ ٢ كورنثوس ٦: ١٦؛ وأيضًا أفسس ٢:٢١ (لاحظ استعمال العبارة ذاتها naos أبناء الهيكل، أي القدس وقدس الأقداس، في هذه الفقرات وفي

قيادة للمسيّا ، فهو سيعلن عندما يعود كابن الإنسان ، من كتاب دانيال ، الذي جلوسه على عرش الله السماويّ والذي « أعطي سلطانًا ومجدًا وملكًا ، لكي تتعبّد له **جميع الشعوب والأمم والألسنة** ...»[(١)]. وثمّة أيضًا تشابه بين ابن الإنسان في مرقس وابن الإنسان في دانيال ، وذلك من ناحية احتمال الاضطهاد .[(٢)]

يمهّد ذكر بطرس الذي ينتظر نتيجة محاكمة يسوع لمقطع مستقلّ هدفه أن يظهر رسوبه في امتحان آخر للتلمذة الحقيقيّة (الآيات ٦٦-٧٢) . فهو لا يحسن استعمال سلطانه (exousia) « كمدبّر » لبيت الله ، الذي ينبغي له أن يسهر ويحرس الباب حتّى يعود سيّده (٣٤:١٣) . في هذا إشارة إلى مثل ١٣: ٣٤-٣٦. يدلّ على هذا موضوع صياح الديك الذي يظهر في الموضعين[(٣)]. وفي نكران بطرس لكونه « جليليًّا » إشارة إلى رفضه إنجيل بولس . أمّا اسم « الجليليّ » فهو

مرقس ١٤: ٥٨) . حول « غير المصنوع بأيدٍ بشريّة » أنظر ٢ كورنثوس ٥: ١ وكولوسي ٢: ١١.

(١) دانيال ٧: ١٣-١٤ .

(٢) دانيال ٧: ٢١-٢٢،٢٥. قد تكون هناك صلة أخرى مع بولس في هذه الفقرة . فاللافت أنّ البصاق (emptyo) في ١٤: ٦٥ (أنظر أيضًا ١٠: ٣٤ و١٥: ١٩) يذكّر بعبارة ekypto في غلاطية ٤: ١٤ (وهي لا ترد إلّا في هذا الموضع) حيث يشبّه بولس نفسه بـ « ملاك (الرسول) الله » و« يسوع المسيح » . أمّا الأمثلة الأخرى عن emptyo في العهد الجديد ، والتي ترد في متّى ٢٦: ٦٧؛ ٢٧: ٣٠؛ لوقا ١٨: ٣٢ فتتبع مرقس ١٤: ٦٥؛ ١٥: ١٩؛ ١٠: ٣٤، على التوالي .

(٣) اسم alektrophonia في ١٣: ٣٥ فريد في العهد الجديد ، وهو الاسم الثاني فيه الذي تدخل في تركيبه كلمة alektor (ديك) .

عبارة أساسيّة في إنجيل مرقس مرتبطة بقبول الأمم مثل اليهود في الكنيسة . وتعني عبارة anathematizein التي يستعملها بطرس « أن يلعن الواحد نفسه » وهذه تذكّر برسالة غلاطية ، حيث يطلق بولس عبارة anathema على كلّ مَن يبشّر بإنجيل غير الإنجيل الحقيقيّ الوحيد (غلاطية ١:٨-٩) .



٢١

رفض أورشليم الثاني للإنجيل

يسوع أمام السلطات الرومانيّة

يذكّر موضوع الاتهام في المقطع الذي يتحدّث عن استجواب بيلاطس ليسوع (١٥:١-٥) بالموضوع ذاته في رواية شفاء الرجل اليابس اليد في ٣:١-٦. تنقل الفقرة الأولى رسالة حول منح الأمم سلطانًا كالذي لليهود بجعلهم أعضاء مساوين لهم في الجماعة المسيّانيّة. تعتمد هذه الفقرة على تعابير رسالة رومية التي تشكّل محاولة بولس الأخيرة دعوة القيادة الأورشليميّة إلى قبول الإنجيل. نجد هنا أنّ الدعوة قد رفضت في النهاية. أظهرت القيادة الأورشليمية (« رؤساء الكهنة »)، عند اتهامها يسوع، رفضها قبول « ملك اليهود » الذي يقبل بصمت الهزيمة على يد الرومانيّين عوض أن يقود ثورة مسلّحة ضدّهم[1]. لقد بشّر بولس بمسيح متألّم، وهذا المسيح المتألّم هو الذي يرفضونه.

مَن هو برنابا، أو ما هي وظيفته في هذه القصّة (الآيات ٦-١٥)؟ إنّه يظهر مرّة أخرى أنّ القيادة الأورشليميّة، عندما كان لها أن

(١) لاحظ كيف لا يجيب يسوع بيلاطس أكثر من إقراره بأنّه ملك اليهود (الآيتان ٢،٥)

تختار بين الثورة أو المعاناة اختارت الثورة. يعني اسم **بارأبا** « ابن الآب ». وفيه، لهذا، إلماح إلى تسمية « ابن الله »، لقب المسيّا. من هنا عبارة « المدعو » (ho legomenos) قبل هذا الاسم، التي تحمل مدلول: « الخطأ[١] ». ولأنّ هذا « المسيّا » هو عكس يسوع، لكونه متمردًا وثائرًا[٢]، فهو يصلح لتصوير طبيعة رفض القيادة الأورشليميّة للمسيّا المتألّم الذي نادى به بولس[٣].

وكما هو صحيح في مرقس، يمثّل بولس في شخصه يسوع الذي يكرز به، ونرى هذا هنا في تسليم رئيس الكهنة ليسوع « حسدًا » (phthonos). يرد هذا الاسم في فيليبّي ١٥:١ كوصف للذين استغلّوا سجن بولس لينشروا تعليمهم الخاصّ[٤].

أخيرًا، وكما هي الحال في نكران بطرس، يحصل متّهمو يسوع على ثلاث فرص ليغيّروا رأيهم (الآيات ٩، ١٢، ١٤). لكنّهم، عوضًا

---

(١) أنظر مرقس الإصحاح ١٣ حيث إشارة إلى « مسحاء » كاذبين (الآيتان ٢١-٢٢) يعتبرون الحرب شرطًا لتأسيس ملكوت الله (الآيتان ٦-٧).

(٢) باراباس هو الشكل اليونانيّ للاسم الآرامي **بار أبا**. يمكن أيضًا أن يكون في الاسم لعب على **بار ابا وبار اباس**؛ فالكلمة الأخيرة قلب للفظة العبريّة **صبا** التي تعني الخدمة في الحرب أو الرجال المحاربون أو الجيش. (أنظر لاحقًا في هذا الكتاب التعليق على يوسف الراميّ). لاحظ أيضًا كيف يسأل بيلاطس السؤال حول يسوع كملك لليهود لا مرّة بل مرّتين (الآيتان ٩، ١٢): في هذا التشديد إشارة إلى أنّ اليهود أصرّوا على اتباع مسيّا ثوريّ.

(٣) « **فهيّج** رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحري باراباس » (الآية ١١).

(٤) في هذا الموضع فقط لا تكون هذه العبارة جزءًا من لائحة الأعمال الشريرة (كما في رومية ٢٩:١؛ غلاطية ٢١:٥؛ ١ تيموثاوس ٦: ٤؛ تيطس ٣: ٣).

عن هذا، يستمرّون في اعتبارهم الصليب علامة لرفض الله لمسيّانيّة يسوع، وهي نظرة تمثّل رفض خصوم بولس قبول «إنجيل الصليب» «كلمة الله» وحيدة[١]. يعني رفضهم العنيد قبول «إنجيل الصليب» أنّه على الذين يتبعون المسيّا الحقيقيّ أن يتركوا هؤلاء القادة بدل أن يحاولوا إتباعهم أو هدايتهم.

ويؤكّد الاستهزاء بيسوع (١٥:١٦-٢٠) تعليم بولس بأنّ الصليب عثرة ليس لليهود فقط بل للأمم أيضًا (١ كورنثوس ١:٢٠-٢٥). فقد انضمّ العساكر الرومان، ممثلو «عظماء هذا الدهر» إلى اليهود في البصاق على يسوع واقتياده إلى الصلب. ويعتبر الفريقان أنّ فكرة ملكيّة يسوع مضحكة. وهذا موقف يناسب «عظماء هذا الدهر» كما تصفهم ١ كورنثوس ٢: ٨: «التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا ربّ المجد».

الصلب والموت

ضمن رواية الصلب نقع على دعوة أخرى إلى بطرس وأتباعه إلى إهمال اليهود الذين يدعمون الثورة المسلّحة واتّباع إنجيل الصليب البولسيّ (الآيات ٢١-٣٢). هذا الإنجيل مقدّم هنا وفي الفقرة التالية وفق المزمور ٢٢، الذي يصوّر آلام الملك[٢]. ولعلّنا نجد في شخص

---

(١) أنظر غلاطية ٣:١؛ ١١-١٦؛ ١ كورنثوس ١:١٧- ١٨، ٢٠-٢٥؛ فيليبّي ٢:٨؛ ٣:٦؛ كولوسي ١:٢٠؛ ٢:١٤.

(٢) يشار إلى مزمور ٢٢:١٨،٧، و١ في مرقس ١٤:٢٤،٢٩،و٣٤ على التوالي. أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثاني، صفحة ٧٥-٧٦.

« سمعان القيروانيّ » إشارة إلى بطرس . فالعبارة اليونانيّة kyrenaios تشبه العبريّة قِيرن (قرن)[١]، التي تفيد القوّة ، وخصوصًا قوة الملك ، مسيح الله[٢] . وكما سبق وبيّنت يختار مرقس غالبًا الأسماء لقيمتها الرمزيّة التي تساعده على نقل رسالته . إذا صحّ هذا ، فما الذي جعله يربط الاسم الأوّل « بطرس » بلقب « **القيروانيّ** »؟ الجواب الذي يناسب ما نعرفه عن هدف مرقس من كتابة إنجيله هو أنّ مرقس يدعو بطرس إلى أن يصير **قيرن** ، أو قائد الكنيسة البولسيّة الأمميّة[٣] ، التي هي الجماعة المسيّانيّة الحقيقيّة . وإذا أراد هذا لا خيار له[٤] إلّا أن يقبل من دون شرط إنجيل الصليب البولسيّ[٥]. ويتكرّر اللعب على الأحرف

---

(١) لأنّ العبريّة كالعربيّة تكتب من دون الأحرف **المتحرّكة** فتطابق الأحرف الساكنة هو الذي يهمّنا (كرن – قرن) ، ولأنّ اليونانيّة لا تعرف لفظة « ق » فهي تستعمل لفظة « ك » .

(٢) أنظر ١ صموئيل ٢ : ١٠،١؛ ٢ صموئيل ٢٢ :٣؛ أيوب ١٦ :١٥؛ مزمور ١٨ :٢؛ ٧٥ :٤،٥،١٠؛ ٨٩ :١٧،٢٤؛ ٩٢ :١٠؛ ١١٢ :٩؛ ١٣٢ :١٧؛ ١٤٨ :١٤؛ إرميا ٤٨ :٢٥؛ مراثي ٢ :٣،١٧؛ حزقيال ٢٩ :٢١؛ دانيال ٨.

(٣) لعلّ لأسماء أبناء سمعان ، الإسكندر وروفوس ، معنى رمزيًّا أيضًا . الأوّل هو اسم مؤسّس الهلينيّة والثاني ترجمة للاسم اللاتينيّ – وتاليًا الرومانيّ – الشائع Rufus. ربّما استعمل اسم روفوس لأنّه إذا كتب باليونانيّة يبدأ بحرفي « رو » وهما الحرفان الأوّلان في اسم روما . هذه هي مناطق الأمم التي بطرس مدعو إلى قيادتها كأب .

(٤) لاحظ فعل anagareuousin (سخّروه) في بدء الآية ٢١.

(٥) لاحظ كيف تستعمل جملة are ton stauron autou (أن يحمل صليبه) هنا التعابير ذاتها التي وردت في وصيّة يسوع التي وجّهها إلى الجمع وإلى تلاميذه ، أي إلى **الجميع** : « من أراد أن يتبعني ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه (arato ton stauron autou) ويتبعني » .

الساكنة ق - ر - ن في الآية ٢٢ حيث تترجم الجلجلة بـ « موضع الجمجمة » (kraniou topos) حيث حصل الصلب. بقبوله وزر صليب يسوع يبرهن بطرس أنّه تابع ليسوع، الذي لا يقبل الصلب وحسب، بل يرفض كلّ مسح مسيّانيّ (هذا هو معنى المرّ في الآية ٢٣) إذا لم يرتبط بإنجيل الصليب البولسيّ[١].

وظيفة اللصّين في الآيتين ٢٧ و ٣٢ التشديد على عدم الاتفاق بين الإنجيل البولسيّ وتعليم القيادة المسيحيّة في أورشليم. والحقيقة أنّ هؤلاء القادة المسيحيّين اليهود سبق أن وصفوا باللصوص (١١:١٧)[٢]. الفكرة هنا أنّه حتّى ولو قبلنا الصلب، فهو لا يعني شيئًا إذًا كان سببه غير وجيه؛ فكثير من المتمرّدين اليهود المسلّحين صلبوا، ولكنّهم كانوا « مسحاء كذبة » (١٣:٢٢). المسيّا الحقيقيّ هو الذي يتمّم النبوءات ويفتح باب بيت الله **لكلّ الأمم** (١١:١٧). ويوحي حديث يسوع في الإصحاح ١٣ بأنّ المسحاء الكذّابين يمكن أن يقنعوا في ظواهرهم؛ لكنّ « مضمون » التعليم هو الذي يميّز الحقيقيّ من الكذّاب. أمّا إدخال **كلّ الأمم** (١٣:١٠) فجوهريّ في مضمون الإنجيل الحقيقيّ[٣]. لاحظ كيف كان اللصّان « يعيّرانه » (١٥:٣٢) مع أنّهما « صلبا معه » (syn

(١) أنظر ١٤:٣-٩ مع التعليق.

(٢) إذا كان طرحي بأن ثمّة صلة بين ١١:١٧ و١٥:٢٧ جدير بالتصديق فلأنّه مبنيّ على أنّ عبارة « لصوص » لا نجدها إلّا في هذين الموضعين في مرقس.

(٣) ينعكس هذا الاهتمام في استعمال المزمور ٢٢ الذي يقول: « تذكر وترجع إلى الربّ كلّ أقاصي الأرض. وتسجد قدّامك كلّ قبائل الأمم. لأنّ للربّ الملك وهو المتسلّط على الأمم » (الآيتان ٢٧-٢٨).

auto staurousin) في الآية ٢٧ synestauromenoi في الآية ٣٢) . مصدر الجملة الثانية واضح : فهي تستعمل العبارات ذاتها التي يستعملها بولس ليتحدّث عن « الصليب مع المسيح » قبول إنجيله[1] . غير أنّ الأنبياء الكذبة والمسحاء الكذبة لن يقبلوا الصلب ؛ فهم يفهمون الخلاص وكأنّه رفض للصليب بقدر ما يدافعون عن التمرّد المسلّح . من هنا ، حتّى الاثنان اللذان صلبا معه « هزئا به » كما فعل الذين على الأرض .

« وكان المجتازون يجدّفون (eblasphemoun) عليه وهم يهزّون رؤوسهم قائلين آه يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيّام ، **خلّص نفسك وانزل عن الصليب** . وكذلك رؤساء الكهنة وهم مستهزئون في ما بينهم مع الكتبة قائلين : خلّص آخرين وأمّا نفسه فما يقدر أن **يخلّصها** » (الآيات ٢٩-٣١).

مساواة الخلاص برفض الصليب هي التجديف في هذا النصّ[2].

وتستعمل الفقرة التي تتحدّث عن موت يسوع (١٥:٣٣-٤١) أيضًا مزمور ٢٢. لكنّها تضيف إشارة إلى المزمور ١٩، وهو مزمور ملكيّ آخر[3]. في حين أنّ الأوّل يناقش ردّ الأمم الإيجابيّ على الربّ الممسوح ، يتحدّث الثاني عن أعداء الملك من شعبه الخاصّ : « صرت

---

(١) رومية ٦:٦؛ غلاطية ٢: ١٩؛ ٥:٢٤؛ ٦:١٤.

(٢) أنظر ٣:٢٨-٢٩ وقابل مع ٢:٧ و١٤:٦٤.

(٣) في الآية ٣٦ إشارة إلى مزمور ٦٩:٢١. أنظر المدخل إلى العهد القديم ، الجزء الثالث ، صفحة ٧٦.

أجنبيًا عند إخوتي، وغريبًا عند بني أميّ. لأنّ غيرة بيتك أكلتني وتعبيرات معيّريك وقعت عليّ. وأبكيت بصوم نفسي، فصار ذلك عارًا عليّ. جعلت لباسي مسحًا، وصرت لهم مثلًا. يتكلّم فيّ الجالسون في الباب وأغاني شرابي المسكر» (الآيات ٨-١٢). في حين يعترف قائد المائة الأمميّ بأنّ يسوع المصلوب هو ابن الله، وهذا بالضبط مضمون الإنجيل، لا يزال اليهود ينتظرون إيليّا «لينزله» عن الصليب، غير فاهمين أنّ إيليّا قد أتى بشخص بولس،[1] الذي بشّر بالمسيّا **الظاهر كذلك في صلبه**.

ولكن، مَن هن النسوة اللواتي «كن ينظرن من بعيد» (١٥:٤٠)، أي اللواتي لا يشأن أن يقتربن من يسوع المصلوب؟ في تعليقي على ٣:٦ أشرت إلى أنّ مريم (وأولادها) تمثّل أقرباء يسوع وبولس اليهود[2]. عندنا هنا مريمان، كلّ منهما تمثّل مجموعة كاملة. فالثانية تمثّل جماعة يعقوب ويوسي؛ وكما سبقت الإشارة، اسم «يوسي» قريب من عبارة «سمّ» في اليونانيّة، والمقصود فيه جماعة برنابا[3]. أمّا الأولى فتدعى المجدليّة، وهو اسم يذكّر بالعبريّة **مغدال**[4] (برج المراقبة) وهو

(١) أنظر تعليقي على ٤:٨ و٩:٩-١٣.

(٢) أنظر أيضًا تعليقي على ٣:٣١-٣٤. لاحظ كيف يوجّه النقد إلى يعقوب ويوسي / /برنابا؛ فتسمية «الصغير» (tou mikrou) تقلّل من شأنه خصوصًا إذا أخذنا بعين الاعتبار مكانته كـ «عمود» أو شيخ.

(٣) أنظر تعليقي على ٦:٣.

(٤) أودّ تذكير قارئي بأنّ العبريّة لا تكتب الحروف المتحرّكة، ولذلك علينا أن نرى التطابق في الحروف الساكنة فقط (**مغدل**).

برج الكرم في إشعياء ٥:٢ ومرقس ١:١٢[١]. ربّما يلمح هذا إلى جماعة تيموثاوس التي بقيت أمينة للإنجيل البولسيّ، فصارت بهذا وحدها كرمة الربّ الحقيقيّة.

أمّا اسم سالومة ففيه، على الأرجح، إلماح إلى أورشليم والهيكل بشكل أخصّ: لاحظ تشابه الحروف الساكنة بين اسم المرأة من جهة، واسمي سالم - وهي تسمية أورشليم الأصليّة - وسليمان، باني الهيكل، من جهة أخرى. إذا صحّ هذا تكون الجماعة التي تمثّلها سالومة اليهود الأورشليميّين بشكل خاصّ، وكلّ يهود اليهوديّة بشكل عامّ. إنّ هذه الفرق الثلاث، بمن فيها مريم المجدليّة، صارت في ضياع بعد موت بولس (وتيموثاوس أيضًا على الأرجح)، وتركت وحدها لتواجه نهاية أورشليم على أيدي الرومانيّين؛ لذا «كن ينظرن من بعيد».

الدفن في النسيان

من كان يوسف الراميّ (١٥:٤٢-٤٧)؟ يعطينا لقب «الراميّ»، في اليونانيّة، بعض الحلول. إذ يمكن أن يكون مشتقًّا من العبريّة هار - ريماتايم (جبل الفساد)، وفي هذه الحال يمهّد لاستعمال عبارتي ptoma و soma (جسد): أمّا باقي ما نعرفه عن هذا الشخص، فيكفي لنفترض الشخص الذي يمثّله يوسف الراميّ: اسم «يوسف» نفسه؛ ووصفه بـ «مشير شريف، وكان هو أيضًا منتظرًا ملكوت

(١) أنظر تعليقي على ١:١٢.

الله » ؛ وإنزاله يسوع عن الصليب . هذا كلّه يوحي بأنّ يوسف يمثّل برنابا الذي عمل مع بولس أوّلًا ثمّ تركه :

١) فسّرت يوسي في ٣:٦ كالماح إلى « يوسف » بمعنى سبط يوسف ، أو المملكة الشماليّة التي انفصلت عن يهوذا . فصورة الأخ الذي يترك أخاه تشبه برنابا لمّا ترك بولس .

٢) كان برنابا عضوًا محترمًا في كنيسة أورشليم ، الأمر الذي منحه سلطة في أعين جماعة الكنيسة في أنطاكية ، وجعله صلة وصل مقبولة بينها وبين أورشليم[١] .

٣) إلى أنّ انفصل بولس وبرنابا عملا يدًا بيد في خدمة إنجيل ملكوت الله ، وكانا بهذا المعنى ينتظران مجيئه[٢] .

٤) إذا أخذنا بعين الاعتبار العلاقة الوثيقة بين الأناجيل الإزائيّة ، وأنّ متّى ولوقا يعتمدان على التقليد ذاته الذي يستعمله مرقس ، يمكننا أن نشير إلى دلائل إضافيّة من التقليد اللوقانيّ اللاحق . فيوسف الراميّ في لوقا مرتبط ببرنابا في أعمال الرسل ، فكلاهما يوصفان بـ « الرجل الصالح » (aner agathos)[٣] ، وهي عبارة لا نجدها في أيّ موضع آخر في العهد الجديد .

٥) الأمر الإيجابيّ الذي يقال عن يوسف يعطيه طابعًا جيدًا ، لكنّ

---

(١) أعمال ١١:٢٢-٢٤،٣٠ .

(٢) غلاطية ٢:١- ١٠؛ أعمال ١١:٢٥-٣٠؛ ١٣؛ ١٤ . أنظر مرقس ١:١٤-١٥ .

(٣) لوقا ٢٣:٥٠ وأعمال ١١:٢٤ .

هذا الجود سطحيّ لا يدوم. فإنزاله «يسوع عن الصليب» يخالف إنجيل بولس كما يقدّمه مرقس، ويعتبر خيانة إنجيل الصليب البولسيّ. سأشرح هذا بتفصيل أكثر في الوقت المناسب: أمّا الآن فأكتفي بالإشارة إلى أنّه، لو صحّ تحليلي الطابع السليب لعمل الراميّ، يكون مرقس قد أحسن المطابقة بينه وبين برنابا. فقد بدأ برنابا عمله كأقرب معاون لبولس، ولكنّه تركه في ما بعد ليتبع عوضًا عن ذلك خصوم بولس المتهوّدين، الذين يقول عنهم بولس إنّهم يخجلون بالصليب أو ينكرونه... أو بكلام آخر، ينزلون يسوع عن الصليب.

ثمّة إشارات أخرى إضافيّة حول هذه النقطة الأخيرة تؤكّد الطابع السلبيّ لعمل يوسف. تأمّل في الملاحظة حول «انتظاره ملكوت الله» وقابلها مع الملاحظة حول «ملكوت الله» في ١٢:٢٨-٣٤، حيث يقال لكاتب (يمثّل في مرقس الفرّيسيّين) إنّ الشريعة كلّها تكمن في محبّة الله والقريب[١]، فيقبل هذا بحماس، ويقول له يسوع إنّه، «ليس بعيدًا عن ملكوت الله». وبعد هذا «لا يجرؤ أحد على أن يسأله [يسوع] شيئًا. فقد كانوا يسألون أسئلة ليمتحنوه ويوقعوه[٢]، والآن، إذا لم «يجرؤوا» على أن يسألوه بعد فلأنهم لا «يجرؤون» على أن يقوموا بشيء ضدّ يسوع، بشيء يعبّر عن عدم إيمان به. الموضع الآخر الوحيد الذي ترد فيه عبارة «يجرؤ» (tolmo) يظهر في ١٥:٤٣: «يجرؤ» يوسف الراميّ فيدخل إلى بيلاطس ويطلب منه

(١) ملخّص عن مضمون إنجيل بولس؛ أنظر رومية ١٣:٨ وغلاطية ٥:١٤.
(٢) أنظر سؤال الصدّوقيّين في الفقرة السابقة، ١٨:١-٢٧.

جسد يسوع ليدفنه في قبر يختم بحجر « عظيم » لا تمكن إزاحته (١٦ :٣-٤) . وكسائلي يسوع ، ليس قصد يوسف حميدًا ، لأنّه حاول أن يدفع بجسد يسوع إلى نسيان الموت . لكنّ مرقس سبق وأوضح أنَّ محاولات كهذه لا بدّ فاشلة ، لأنّ جسد يسوع سيقوم هيكلًا لله غير مصنوع بأيد بشريّة ، وأنّه سيكرز به هكذا ، ويفهم ، ويعاش في الجماعة المسيّانيّة المؤسّسة بإنجيل بولس والمجتمعة حوله[١].

عندما طلب يوسف الراميّ جسد يسوع من بيلاطس (الآية ٤٣) اتخذ موقفًا مضادًا لبولس في ناحية أخرى . فهو يعترف بهذا أنّ لروما السلطة الأخيرة على يسوع المصلوب ، ولها أن تتصرّف به كما تشاء . لكنّ بولس يعلّم تكرارًا أنّ هذا غير صحيح ، وأنّ جسد يسوع تحت سلطان الله وحده وقوّته ، وأنّ الله ، كما شدّد مرقس في موضع سابق ، سيقيمه في اليوم الثالث هيكلًا جديدًا مبنيًا من الله وحده (١٤ : ٥٨؛ ١٥ :٢٩) . أمّا تردّد مرقس في إعطاء السلطات الرومانيّة سلطة كهذه على يسوع المصلوب فينعكس في اختياره الدقيق لكلماته : فما أعطاه بيلاطس ليوسف ليس « جسد » (soma) المسيح بل « جثّته » فقط (ptoma؛ الآية ٤٥) .

والخضوع غير المشروط لسلطة روما مضادّ لإنجيل بولس . فبولس لم يعلن الخضوع لروما وأباطرتها بل الولاء لسلطة مختلفة وأعلى . فقد حمل إلى روما ، قلب الأمبراطوريّة الرومانيّة ، إنجيلًا يحلّ محلّ الأمبراطور كمصدر لقوّة الله وخلاصه . ودعا **كلّ** سكّان الأمبراطوريّة

(١) أنظر تعليقي على ١٣ :٥٢-٦٥ .

الرومانيّة **وكلّ** الخاضعين للأمبراطور – لا اليهود فقط بل الأمم أيضًا، بمن فيهم اليونانيّون والبربر – إلى الخضوع بطاعة تامّة ليس للأمبراطور بل للإنجيل[1].

لقد أنزل يوسف الراميّ يسوع عن الصليب. وبهذا فعل ما انتظر الواقفون عند الصليب أن يفعله إيليّا، ولكنّه لم يفعله قطّ. ففعل يوسف ورفض إيليّا يطابقان تصرّف الشعب الذي يمثّلانه في مرقس: في نظر بولس أنكر برنابا الصليب؛ فأنزل بهذا يسوع عن الصليب عندما انضمّ إلى خصوم بولس المتهوّدين[2]؛ أمّا بولس فقد بقي أمينًا لإنجيله رافضًا دومًا إنكار الصليب؛ وإنزال المسيح عنه، كإيليّا في رواية مرقس[3]. في قلب إنجيل بولس الذكرى الأخيرة عن يسوع قبل قيامته هي صورته معلّقًا مصلوبًا على الصليب[4]. وإلى أن يجيء يبقى يسوع، في نظر كلّ السلطات في هذا العالم، الرومانيّة وغيرها، «ربّ المجد **المصلوب**» **(١ كورنثوس ٢:٨)**.

يوضع يسوع في قبر منحوت في «صخر». يمثّل هذا «الصخر» جبل الهيكل[5]، كما يوحي غياب اسم سالومة اللافت في الآية ٤٧

---

(١) انظر رومية ١:٦، ١٤-١٦ وتعليقي عليها.

(٢) أنظر تعليقي على غلاطية ٢:١٢-٢١ في تفسير رسالة غلاطية، صفحة ٧٥-٩٠.

(٣) أنظر التعليق على ٩:٤-٥ و١٥:٣٦.

(٤) غلاطية ٣:١؛ ٥:١١، ٢٤؛ ٦:١٢، ١٤؛ ١ كورنثوس ١:١٣، ١٧-١٨، ٢١؛ ٢:٢؛ ٢ كورنثوس ١٣:٤؛ فيليبّي ٢:٨؛ ٣:١٨؛ وأيضًا كولوسي ١:٢٠؛ ٢:١٤؛ وأفسس ٢:١٦.

(٥) أنظر تعليقي على عبارة **سور** العبريّة (صخرة جبل) في المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثالث، صفحة ٤٢-٤٤.

(قابل مع الآية ٤٠) : بما أنّها تمثّل الهيكل فلا حاجة إلى ذكرها مع «صخر» قبر يسوع الذي يحمل المعنى الرمزيّ ذاته، يضع يوسف الراميّ إذًا إيمانه، رمزيًّا، في أورشليم، ليس بوضعه يسوع في الهيكل فحسب، بل بالإغلاق عليه هناك بصخر ثابت (١٥:٤٦؛ ١٦:٤).

ليس صعبًا أن نرى في عمل يوسف إشارة إلى الغيورين الذين حاربوا روما في الحرب اليهوديّة بين ٦٦ و٧٠ للميلاد لسبب أنّهم وضعوا إيمانهم في المكان الخطأ، في أورشليم الأرضيّة. يرفض مرقس هذا الإيمان مظهرًا أنّ يسوع لن يهزمه «الصخر» وأنّه لا يخضع لهيكل أورشليم. هذه بدورها ترجمة أمينة لمفهوم علاقة الله بالهيكل في التقليد النبويّ. فقد علّم إرميا وحزقيال أنّ سكنى الله انتقلت من هيكل أورشليم إلى شخص ممثّله، أيّ النبيّ نفسه. فأصبح شخص النبي المكان الذي يجتمع حوله إسرائيل الجديد[1]. وعليه لا تعني هزيمة «مدينة الله» ودمارها هزيمة الله، لأنَّ الله لم يعد يتماهى مع مدينته. كما لا يعني دمار هيكل أورشليم هزيمة يسوع لأنّ جسده «هيكل غير مصنوع بأيدٍ» وهو على وشك أن يبنى بعد ثلاثة أيّام (١٤:٥٨).

---

(١) أنظر المدخل إلى العهد القديم، الجزء الثالث، صفحة ١٣٦-١٣٩؛ ١٥٥-١٦٠. أنظر أيضًا التعليق على ١٣:٥٢-٦٥.



٢٢

عرض أخير على أورشليم

للوهلة الأولى، لم يكن للجماعات الثلاث التي تمثّلها النسوة الثلاث من خيار آخر إلّا أن تحذو حذو يوسف الراميّ وتعتبر أنّ مصير جسد يسوع قد ختم عليه في القبر (في أورشليم الهالكة). ولكنّ سامعي إنجيل مرقس قد علموا من المقطع الذي يتحدّث عن المسح في بيت عنيا أنّ المسح الوحيد الشرعيّ لجسد يسوع هو ذاك الذي قامت به المرأة التي اعترفت بأنّه المسيّا[١]. وهكذا، عند القبر، واجهت النسوة الثلاث الخيار الآخر الذي قدّمه لهن الشاب الذي يمثّل مرقس نفسه، القائد الجديد للتلاميذ البولسيّين، والذي اعتمد الآن في إنجيل بولس (١٦:١-٨)[٢]. يعلّمهم أن يعترفوا بأنّ يسوع المصلوب قد قام وأنّه ينتظرهم. أمّا هم، وخصوصًا جماعة بطرس منهم، فعليهم أن يطلبوه في الجليل ــ جليل الأمم-، حيث هو منذ «بدء الإنجيل[٣]». في أيّ حال، عليهم كلّهم أن يغادروا القبر، أي أورشليم، بسبب الحرب المشتعلة ويحاولوا أن يستقرّوا في مكان آخر (الآية ٨).

---

(١) أنظر ١٤:٣-٩ وتعليقي عليها.

(٢) يرتدي الشاب ثياب المعموديّة «البيضاء».

(٣) ١:١،٩،١٤،١٦؛ أنظر تعليقي على هذه الآيات.

ويصبح سماع مرقس (الشاب) وأتباع تعليماته ممكنًا فقط « عندما ينقضي السبت » ، أي عندما نترك « السبت » بمعنى يهوديّة يعقوب[(١)] . وإلّا ، حتّى بعد انتهاء أورشليم المحسوسة ، يمكن المحافظة على الموقف العقليّ القائل بإرغام التلاميذ الأمميّين على « التهوّد » ، الأمر الذي ما فتئ خصوم بولس يحاولون أن ينفّذوه[(٢)] . تظهر أهمّيّة هذه النقطة في الإشارة المتكرّرة إلى السبت في بدء المقطعين الآخيرين :

« ولما كان المساء إذ كان الاستعداد ، أي ما قبل السبت ...» (١٥:٤٢) .

« وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدليّة ومريم أمّ يعقوب وسالومة حنوطًا ليأتين ويدهنّه . وباكرًا جدًّا في أوّل الأسبوع (ton sabbaton، حرفيًا ، « أوّل السبت ») أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس » (١٦:١-٢) .

عندئذ تكون هناك بداءة جديدة ، ونهار جديد ، وسلسلة أخرى من السبوت (الأسابيع) حيث « لا الختان بشيء ولا الغرلة ، بل الخليّة الجديدة » (غلاطية ٦:١٥) ، وحيث يسود سلام الله ورحمته على إسرائيل وعلى الذين يحفظون شريعة بولس ، إنجيله (الآية ١٦) . فلا

(١) لاحظ أنّ هذه الآية تقول عن مريم الثانية إنّها أمّ يعقوب وحده . لم يعد برنابا شريكًا في الحوار ؛ الشريك الوحيد هذه المرّة هي الجماعة الأورشليميّة المجتمعة حول يعقوب . عندما كان بولس الرسول الحقيقيّ في نطاق الأمم (خارج أورشليم واليهوديّة) كان برنابا في بدء الأمر معاونه . لكنّ برنابا خان الإنجيل في ما بعد وبطل عن أن يكون رسولًا.

(٢) كما حصل في أنطاكية (غلاطية ٢:١٤) .

يوسف الراميّ ولا مريم المجدليّة ولا مريم أمّ يعقوب ويوسي ولا سالومة قادرون على أن يجلبوا حكم الله الأخرويّ على الأمبراطوريّة الرومانيّة وتاليًا على العالم أجمع، بل وحدها **الدعوة** التي نطق بها الشاب اللابس حلّة بيضاء. مضمون هذه الدعوة إنجيل بولس، الذي قدّمه مرقس هنا بشكل مكتوب؛ فإذا لم يأبه قارئوه وسامعوه للدعوة، مضطربين من الخوف، فعكس سلام الله هو الذي سيسود.

نهايتان لاحقتان لإنجيل مرقس

ينتهي إنجيل مرقس الأصليّ بالآية ٩ وذلك بحسب مخطوطين مهمّين هما السينائيّ والفاتيكانيّ. هذان المخطوطان من أهمّ المخطوطات وأوثقها من بين ما وصلنا من شهادات عن إنجيل مرقس. تضيف مخطوطات أخرى المقطع التي يظهر في الكتاب المقدّس العربيّ بين الآيات ٩ و ٢٠. هذا المقطع معروف عند العلماء بـ «النهاية الطويلة». وثمّة أيضًا مخطوطات تستبدل هذه النهاية بأخرى أقصر توردها بعض نسخ الكتاب المقدّس في الحواشي. النهايتان القصيرة والطويلة إضافتان لاحقتان وسوف أتطرّق إليهما في الجزء الأخير من هذه السلسلة.

هذا يعني أنّ النصّ الأصليّ لإنجيل مرقس لم يكن يحوي على ظهورات ليسوع بعد القيامة، الأمر الذي يبدو للبعض مربكًا وصعب القبول. لكنّنا، كما أشرت في تعليقي على ١٤:٢٢-٢٦، نفهم هذا عندما ندرك أنّ ذبيحة المسيح على الصليب في مرقس مقدّمة مباشرة لمجيئه في المجد. في هذا أيضًا يتبع مرقس بولس. لاحظ، على سبيل

المثال، الغياب اللافت لكلّ ذكر للقيامة في ١ كورنثوس ١١: ٢٦، حيث نجد موجزًا عن هدف عشاء الربّ بعد رواية تأسيسه في الآيات ٢٣–٢٥. وكما هي الحال في نهاية مرقس يقفز بولس من الصلب إلى المجيء الأخير: لأنّكم كلّما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكأس تعترفون بموت الربّ إلى أن يجيء».

المراجع

B. Byrne, Romans, (Sacra Pagina), Collegeville, 1996.

C.E.B. Cranfield, Romans: A Shorter Commentary, Grand Rapids, 1985.

J.D,G. Dunn, Romans, Vols 1 and 2 (WBC), Dallas, 1988.

J. Fitzmyer, Romans, (Anchor Bible), Garden City, 1993.

H. Conzelman, 1 Corinthians (Hermeneia), Philadelphia, 1975.

R. B. Hays, 1 Corinthians (Interpretation), Louisiville, 1997.

E. Best, 2 Corinthians (Interpretation), Atlanta, 1987.

R. Bultmann, The Second Letter to the Corinthians ET, Minneapolis, 1976.

R. Martin, 2 Corinthians (WBC), World Books, Waco, 1986.

J.L. Martin, Galatians (Anchor Bible), Garden City, 1997.

F. Matera, Galatians (Interpretation), Louisiville, 1992.

G. Hawthorne, Philippians (WBC), Waco, 1983.

P.T. O'Brien, Philippians (NIGTC), Grand Rapids, 1991.

J.D.G. Dunn, Colossians and Philemon (NIGTC), Grand Radids, 1996.

E. Lohse, Colossians and Philemon (Hermeneia), Philadelphia, 1971.

B.R. Gaventa, 1 et 2 Thessalonians (Interpretation), Louisiville, 1998.

C.A. Waranaker, 1 and 2 Thessalonians (NIGTC), Grand Rapids, 1990.

R. Guelich, Mark 1-8:26 (WBC), Waco, 1989.

M. Hooker, The Gospel According to Saint Mark, Hendrickson, 1991.

J, D. Kingsbury, The Christology of Mark, Philadel
W. Marxsen, Mark The Evangelist: Studies on the
History of the Gospel ET, Nashville, 1969.
W. Telford (ed). The Interpretation of Mark (Issues
and Theology 7), Philadelphia, 1985.
L. Williamson Jr., Mark (Interpretation), 1983.

مدخل إلى العهد الجديد

الجزء الأوّل: بولس ومرقس

بولس نديم طرزي

هذا هو الجزء الأوّل من أربعة تشكّل سلسلة المدخل إلى العهد الجديد للأب بولس طرزي. وهو يتضمّن أبحاثًا خاصّة بالمؤلّف لم يسبق لها أن نشرت. وفيه نجد هذا النوع التفسيريّ الخاصّ لرسائل القدّيس بولس كما نتوقّعها من مؤلّف تفسيري تسالونيكي الأوّل وغلاطية اللذين أرسيا خطًّا تفسيريًّا جديدًا لكتاب العهد الجديد. لكنّنا نجد أيضًا طرحًا جديدًا بالكليّة للهدف الأساس من إنجيل مرقس متبوعًا بتفسير يدافع عن هذا الطرح مظهرًا كيف أنّ كلّ جزء من الإنجيل الثاني في خدمة هذا الهدف.

يشرح الأب طرزي كيف تكوّن الجانب «الكتابيّ» في العهد الجديد وذلك ابتداءً من رسائل بولس. فقد ترك موت بولس فراغًا في قيادة المسيحيّة الأمميّة التي كانت لا تزال مستهدفة من المسيحيّة اليهوديّة. ولكي يدافع بعض أتباع بولس عن الإيمان الذي كان يبشّر به خلقوا ما نعرفه اليوم بإنجيل مرقس. لم تكن غايتهم كتابة تاريخ لحياة يسوع أو عرضًا منهجيًّا للعقيدة المسيحيّة بل الدفاع عن فهم بولس للمسيحيّة. وغايتهم أيضًا أن يربحوا للإنجيل مدافعين عن المسيحيّة الأمميّة من الرسل (اليهوديّين) الآخرين.

وحين كتبوا قصّة يسوع، فسّروا يسوع نفسه وأحداث حياته على أساس ما عرفوه من تعاليم قائدهم بولس وسيرة حياته.

سوف تتطرّق الأجزاء المتبقّية من هذه السلسلة إلى لوقا وأعمال الرسل (الجزء ٢)، ويوحنّا والرؤيا (الجزء ٣) ومتّى وتكوّن القانون (الجزء ٤).

الأب بولس طرزي أستاذ مادة العهد القديم في معهد القدّيس فلاديمير. وضع مدخلًا إلى العهد القديم من ثلاثة أجزاء، وتفسيرًا لرسالة غلاطية وآخر لرسالة تسالونيكي الأولى سبق لمنشورات النور أن نشرت بعضها باللغة العربيّة.

